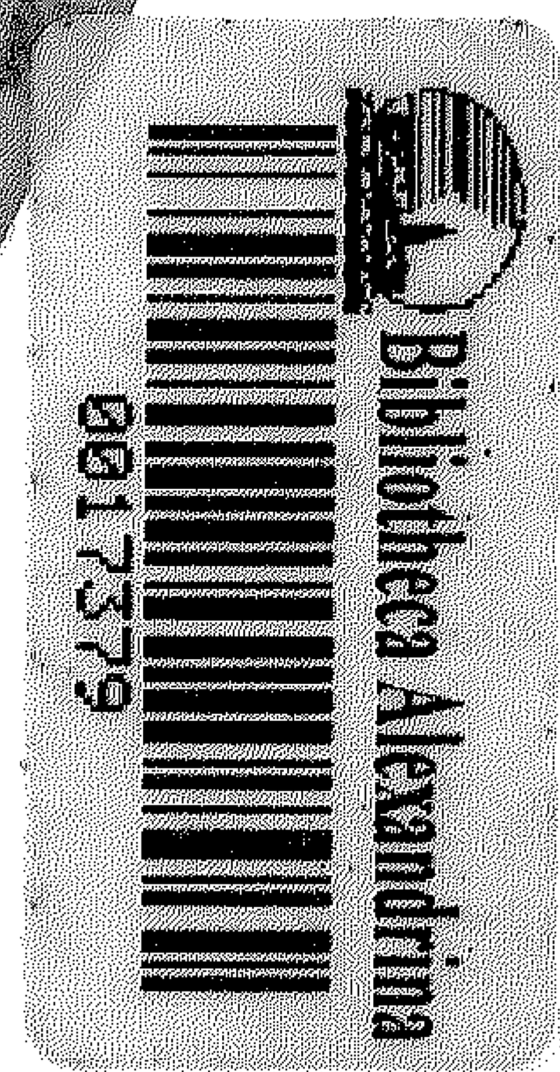
عبّاس خامه يار

# إيران والإخوان المسلمين

دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق






مركز الدراسات
الاستراتيجية
والبحوث والتوثيق

# ايران والإخوان المسلمين

## دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق

عباس خامه يار

# ايران والإخوان المسلمين

## دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق

قدّم له:

د. خالد زيادة

تعريب:

عبد الأمير الساعدي

(الآراء الواردة في الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز)



**الطبعة الأولى**

**بيروت - ١٩٩٧**

**مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق**

بئر حسن - شارع السفارات

تلفون : ٨٢٠٩٢٠ - ٨٢٠٩١٣ - ٨٣٣٦٩٨ - ٦٠٣٢٥٣

فاكس : ٨٣٥٤٩٥ - ص.ب ٥٦٦٨ / ١١٣

**بيــروت - لبنــان**

e - mail : cssrd @ dm.net.Ib

# المحتويات

# تقديم

**د. خالد زيادة(*)**

يريد هذا الكتاب أن يكون دراسة تاريخية مستندة إلى المصادر الغزيرة ، موضوعها العلاقات التي قامت بين إيران والحركة الإسلامية فيها منذ الأربعينات ، وحركة الاخوان المسلمين في مصر . ويجد المؤلف أكثر من سبب واحد لتبرير هذه الدراسة عبر المقارنة بين كل من مصر وإيران ؛ فهناك أولاً الوزن المميز لكل من البلدين ، داخل العالم الإسلامي ، وهناك ثانياً موقع مصر داخل العالم السني ، وموقع إيران داخل العالم الشيعي . فضلاً عن ذلك ، فإن المؤلف يريد أن يسلط الضوء على تاريخ من الصلات امتدت خلال خمسين سنة من التاريخ المعاصر ، وانتهت بغير ما بدأت .

وكتاب «ايران والاخوان المسلمين» لمؤلفه الأستاذ عباس خامه يار ، والذي يترجم إلى العربية ، يبذل جهداً في سبيل تعريف قرائه بلغة الأصل بحركة الاخوان المسلمين منذ نشأتها ، ومرورها بأطوار ومراحل ، وصولاً إلى الوقت الراهن . وقد كانت حركة رائدة في العمل الإسلامي وسابقة ، إذ يعود تأسيسها

(*) أستاذ الفكر العربي في الجامعة اللبنانية .
له مؤلفات عدة منها :
ـ اكتشاف التقدم الأوروبي : دراسة المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر (١٩٨١) .
ـ تطور الرؤية الاسلامية الى أوروبا (١٩٨٤) .
ـ كاتب السلطان (١٩٩١) .
ـ يوم الجمعة ، يوم الأحد (١٩٩٦) .

إلى عام ١٩٢٨ ، ولعلها ألهمت كثيرين من الشباب إلى طرق العمل في الكثير من البلدان الإسلامية في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين .

وإذا كان الكتاب يحمل عنوان «ايران والاخوان المسلمين ، دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق» ، فذلك ليس إلا من باب تسمية الكل بإسم الجزء . فقارئ الكتاب يمكنه أن يتعقب تاريخ العلاقات بين حركتين تتشابهان وتختلفان في نقاط عدة . وكأن المؤلف يريد أن يقول أن الجمهورية الاسلامية في إيران قد ورثت تاريخياً هذه العلاقات ، على الرغم من ان علاقة الجمهورية بالحركة قد عرفت مداً وجزراً ، وانتهى الأمر إلى ضعف الصلات بين الطرفين .

وتعود العلاقات بين الحركتين في كل من إيران ومصر إلى منتصف الأربعينات ، وكان أبرز الذين قاموا برعايتها آنذاك الشيخ القمي والشيخ الكاشاني ، إضافة إلى نواب صفوي قائد حركة «فدائيان إسلام» من جهة ، وشيخ الأزهر محمود شلتوت ، ومرشد حركة الأخوان المسلمين الإمام حسن البنا من جهة أخرى . ويكشف الكتاب عن صفحة مهمة من التاريخ تمخضت عن نتائج ذات أهمية ، أبرزها تأسيس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية . وإذا كانت مساعي التقريب لم تتمخض عن نتائج ، على الرغم من المغزى العميق لقيام مثل هذه «الدار» ، فمن الواضح أن حركة الاخوان المسلمين كانت تؤدي دوراً ملهماً بالنسبة للناشطين في حركة «فدائيان إسلام» ، وقد دلتهم إلى سبل من العمل .

كانت تلك فترة غابت فيها التشنجات بين المذاهب ، الأمر الذي دفع نواب صفوي إلى القول في إحدى المناسبات : «من أراد أن يكون جعفرياً حقيقياً فلينضم إلى صفوف الاخوان المسلمين . . .» .

ولا ريب أن حركة الاخوان المسلمين في مصر ، والتي امتدت إلى عدد من البلدان العربية ، كانت في الأربعينات في أوج انتشارها ، وأعطت النموذج لتجربة ناجحة استطاعت أن تستنبط أشكالاً من العمل في صفوف الفئات الاجتماعية المختلفة . وهذا يفسر التأثير المعنوي الذي كان لها داخل البلاد العربية ، وداخل بلدان العالم الاسلامي في آسيا .

لكن المؤلف يرى فرقاً بين الحركتين ؛ فإذا كانت حركة الأخوان في مصر قد طغى عليها الطابع الإصلاحي ، فإن الحركة الإسلامية في إيران كانت حركة

«جهادية» في الوجهة التي اختطتها منذ بداياتها . وهذا الاختلاف يرده إلى أسباب تاريخية وعقائدية ، تجعله يرجع إلى أسس الموقف من السلطة والحكومة لدى كل من السنّة من جهة ، والامامية من جهة أخرى . فيرد موقف الإخوان الاصلاحي والارشادي والتزامهم طاعة الحاكم ، إلى عقائد أهل السنة في طاعة الحاكم حتى ولو كان جائراً ، بينما كان موقف الشيعة تاريخياً موقف المعارضة من السلطة القائمة ، كما إن دعوتهم المعارضة تتصل بمفهوم الإمامة لديهم . فضلاً عن أن عناصر الافتراق بين الحركتين تتعلق بالموقف من القوى والتيارات العالمية المعاصرة ، أو ما يسميه الموقف من الشرق والغرب ؛ فقد اعتبر الاخوان الشيوعية العالمية الملحدة خطراً على الاسلام ، بسبب إلحادها بالدرجة الأولى ، بينما اعتبرت الحركة الاسلامية في إيران ، وخصوصاً في أدبيات الامام الخميني ، أن أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة والمحرومة في العالم .

لكن أهم الأسباب التي ساهمت في الافتراق بين الحركتين ذات منبع سياسي ، إثر انتصار الثورة الاسلامية في إيران ، وخصوصاً ما تعلق منها بالصراعات الداخلية في إيران وصراعات إيران مع بعض الدول العربية ، مما أدى إلى حملة واسعة من جانب عدد من الدول ضد الدولة في إيران .

إلا إن عناصر الافتراق بين الحركتين لا تمنع وجود عناصر التقاء ، أبرزها الفكر الوحدوي لدى الحركتين . فالكل يدعو إلى الوحدة الإسلامية . لكن القضية الأبرز التي جمعت بين الحركتين هي القضية الفلسطينية عامة ، ومسألة تحرير القدس خاصة .

وما يمكن أن نأخذه على المؤلف هو أنه لم يضع حدوداً واضحة بين عناصر الالتقاء والافتراق المبدئية والعقائدية ، وتلك السياسية والآنية المتعلقة بمصالح الدول وتضاربها . وما يزيد في الصعوبة المنهجية ، المقارنة بين دولة هي الجمهورية الاسلامية في إيران ، وحركة معرّضة للمراقبة والمنع هي حركة الأخوان في مصر . فمواقف الأولى تنطلق من علاقات ومصالح إقليمية ودولية ، علماً بأنها دولة اقليمية كبرى اقتصادياً وعسكرياً . أما الثانية فإنها حركة تعرضت للمنع منذ أواسط الخمسينات ، ولا ريب أن المواقف ستتأثر بوضع كل طرف وقوته وضعفه في ظروفه الخاصة به .

ومع ذلك ، فإن كتاب الاستاذ عباس خامه يار ، هو الأول في موضوعه ، وتكمن أهميته في توخي المؤلف للموضوعية ، وبناء المعطيات التي يقدمها على مصادر غزيرة جعلته ملماً بكل جوانب الموضوع الذي يتناوله . إضافة إلى كون الكاتب قد جعل موضوعه العلاقة بين إيران والاخوان ، إلا أنه في واقع الأمر قد استعرض مواضيع مهمة أخرى متصلة بموضوعه الرئيسي ، وتتعلق بمواقف الحركات الاسلامية في البلدان العربية المختلفة ، من الجمهورية الاسلامية في إيران ، وتبدل هذه المواقف تبعاً لتبدل أو تطور الظروف السياسية .

وقد لاحظ المؤلف ، كمراقب يتوخى الموضوعية ، كيف أدت التطورات إلى أفول العلاقات بين الأخوان وإيران . يقول : «لم تكد تمضي بضع سنوات على انتصار الثورة الإسلامية حتى أصاب الوهن العلاقات بين الأخوان والثورة . . . على أن الأخوان ، وكما ذكرنا سابقاً ، لم يحدث أن وقفوا موقفاً صريحاً ورسمياً ضد الثورة ، بل حافظوا على بقايا جسور معها . إلا أنهم في تحليلاتهم ونشراتهم الداخلية كانوا يصرحون بمعارضتهم لبعض خطوات ومواقف . . .» .

وبالرغم من التزام الموضوعية ، فإن المؤلف يشغله هاجسان : الأول يتعلق بمسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية . أما الهاجس الآخر فيتعلق بموقع إيران لدى الحركات الاسلامية في البلدان العربية . ولا شك في أن الكتاب يقدم للقارئ مواد ومعطيات مهمة بخصوص المسألتين . لكنه يبين لنا بطريقة غير مباشرة ، أن المسألتين منفصلتان ، وينبغي أن تكونا كذلك ، فمسألة التقريب بين المذاهب لا يجوز أن تخضع للعوامل الآنية والمصالح السياسية ، بل يجدر أن تترك للعلماء وأهل الاختصاص .

وفي جميع الأحوال ، فإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، هو محاولة جديرة في موضوعه . فالقارئ الذي قد يطلع عليه بلغته الأولى ، يمكنه أن يتعرف على الدور الذي اضطلعت به حركة الأخوان في الأربعينات ، والتطورات التي عصفت بها بعد ذلك ، ومواقف الأطراف العرب من الثورة والدولة في إيران . أما القارئ الذي سيقرأه بلغته الثانية ، فيمكنه أن يتعرف على صفحات غير معروفة من تاريخ العلاقة بين الحركة الاسلامية في إيران والاخوان .

ولعل الكتاب في الحصيلة مراجعة أولى في ملف يحتاج إلى مراجعات كثيرة .

# سطور قبل المقدمة

كانت الحساسية المبالغ فيها بين الجمهورية الاسلامية وحركة الأخوان المسلمين ، وراء ترددي فترة غير قصيرة في البحث في العلاقة بين إيران والاخوان . ولأن هذه العلاقة لم تعالج بموضوعية وحيادية ، فقد خشيت من السير في حقول من الألغام . لكن شعوري بضرورة وجود (متطوع) أو إن صح التعبير (فدائي) يقوم بعملية كسح لهذه الألغام الاصطناعية ، ألغى من ذهني المخاطر المحتملة ، فقررت القيام بهذه (المغامرة) التي أرجو الخروج منها سالماً .

وبسبب خطورة مثل هذه الأبحاث ، فقد كانت الخطوة الأولى التي اعتقدت منذ البداية بضرورتها ، التزام الحياد التام ، خاصة ان هذا البحث هو في الواقع رسالة ماجستير تمت مناقشتها في كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة طهران ، وحصلت على درجة امتياز شرف . ورغم كل ما بذلته لتحقيق هذا الهدف ، فانني لن أنزِّه نفسي وانكار ميولي السياسية التي ربما لم تمنعني من إنصاف الآخرين ، وهذا ما سيطلع عليه الباحثون للفت نظري إلى أي نقطة تتعارض مع هذا الاتجاه .

ولأن هناك فاصل زمني كبير نسبياً بين إعداد البحث ونشره ، فضلاً عن أن الكتاب يتطرق إلى العلاقة بين إيران والاخوان خلال الفترة ما بين ١٩٧٩ و١٩٩٠ ، فان القارئ الكريم سيلاحظ حشداً من المتغيرات والتطورات

المتلاحقة على الساحتين الدولية والاقليمية ، والتي لم يتم التعاطي معها ، خاصة أن تلك المتغيرات التي حدثت في عام ١٩٩٠ كانت عميقة ولها افرازات غير عادية عن سياسات واتجاهات الكثير من القوى الاقليمية والدولية ، ومنها ايران ، وكذلك الكثير من الحركات السياسية ، ومنها حركة الاخوان المسلمين تحديداً .

لقد شعرت وأنا أعد هذا البحث ، بأهمية التركيز على تاريخ الثورة الاسلامية في ايران ، وتأثير الفكر الشيعي في مجمل التحولات السياسية والثقافية والاجتماعية فيها ، وكذلك على تاريخ نشوء حركة الاخوان المسلمين . وبما أن المخاطبين كانوا بداية من الإيرانيين ، وهم بشكل عام مطلعين على تاريخهم ، فقد آثرت عدم الخوض تفصيلاً في الموضوع الأول ، بينما خصصت فصلاً كاملاً حول الموضوع الثاني .

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الذين ساعدوني في إعداد هذا البحث ، وأخصّ منهم الأساتذة المشرفين الدكتور منوجهر محمدي ، والدكتور شيخ الاسلامي ، وكذلك مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ بيروت ـ والمترجم الذي نقله إلى العربية ، والدكتور خالد زيادة الذي قدّم للكتاب ، على أمل أن نكون قد قدمنا خدمة بسيطة للأوساط العلمية والجامعية ، وللأمة الاسلامية التي نشعر باعتزاز كبير للانتماء لها .

ع.خ

# مقدمة

«الأصولية الإسلامية» ، «الصحوة الإسلامية» ، «الثورة الإسلامية» ، «الراديكالية الاسلامية» وسواها من عبارات ترددها اليوم بكثرة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في نشراتها الاخبارية والتحليلية في جميع أنحاء العالم ، هي مصطلحات تنطوي على أهم وأعقد الاحداث التي شغلت العالم والمنطقة على امتداد العقدين الأخيرين ، وكانت العامل الأساس لظهور «النظام العالمي الجديد» ، وربما تكون العقبة الاساس التي تحول دون وصول هذا النظام إلى المستوى الذي تبغيه أقطاب القوى العالمية . ويعتقد أغلب الخبراء ان أي تغيير أو تحول في التركيبة الفعلية للعالم ، وتخطيط لمستقبله يتجاهل حالة «الأصولية الاسلامية» سيكون عملاً عقيماً لا جدوى منه ؛ لأن صحوة الاسلاميين الأصوليين عمت البلدان الاسلامية ، وجعلت الحكام أمام خطر جدي لم يسبق له مثيل .

وليس بوسع أحد ان ينكر أو يتجاهل حركة «الأصوليين» في الجزائر وتونس والمغرب ومواجهتهم بشكل جدي لأنظمة بلدان «اتحاد المغرب العربي الكبير» ، ونجاح «الأصوليين» في طرد الروس من أفغانستان واقامة دولتهم المستقلة ، وفي قتلهم السادات في مصر ، ووصولهم إلى سدة الحكم في الخرطوم بحركة عسكرية مفاجئة ، وتفجيرهم الانتفاضة في الأراضي المحتلة وتغييرهم أسلوب المقاومة فيها ، واستعدادهم في شطري اليمن المتحدة وفي الأردن لخوض

المواجهة المصيرية ، واشتداد شوكة الانفصاليين في كشمير والجهاد الدامي للاستقلاليين المسلمين في يوغسلافيا السابقة وجمهوريات آسيا الوسطى . . اضافة إلى عشرات الاحداث والظواهر الأخرى .

وإذا كانت المكاسب الحالية لهذه النهضة الكبيرة ليست بمستوى الحركة ، فإنما ذلك لوجود تيارات سياسية ودينية وثقافية كثيرة وثغرات أخرى تمسك بخناق هذه الظاهرة . ومن هنا ينبغي في دراستنا لجذور وعوامل هذه الظاهرة أن لا نغفل دراسة عامل الاتجاه الديني ، وبعبارة أخرى وجود المذهبين السني والشيعي ، ومن ثم لا نغفل دور «جماعة الاخوان المسلمين» التي تعد المدرسة الام للحركات الاصولية السنية ودور «الثورة الاسلامية الايرانية» التي تمثل ذروة الاصولية الاسلامية والثمرة الناضجة للحركات الشيعية .

ولا شك ان طبيعة العلاقات بين هذين التيارين العظيمين أثرت تأثيراً كبيراً في مسيرة الحركة الأصولية وتطورها ، وسيكون لها في المستقبل دور مصيري على هذا الصعيد ، وبعبارة أخرى نقول إن التعاون أو عدم التعاون (الالتقاء أو الافتراق) بين هاتين القوتين اللتين يمكنهما تحقيق وحدة نسبية بين أتباع المذهبين ، سيكون شديد الأهمية في المعادلات السياسية المستقبلية في العالم الاسلامي وحتى في طبيعة النظام العالمي الجديد . وعلى الأرجح ان هذه العلاقات لم تخضع لدراسة جدية وتقويم دقيق حتى بعد مرور أكثر من عقد على انتصار الاصولية الشيعية في ايران وتصاعد الأصولية السنية في البلدان العربية .

ولعلنا ندرك أهمية دراسة هذه العلاقات بصورة أفضل لو ألقينا نظرة على النقاط المشتركة بين ايران المهد التاريخي للحركات الشيعية ومنطلق الثورة الاسلامية ، ومصر التي تعد مسقطاً لرأس جماعة الاخوان المسلمين :

١ ـ كلا البلدين ذو مساحة شاسعة وتراث ثقافي عريق وحضارة قديمة ، وكلاهما عرف الحكم الدكتاتوري لآلاف السنين .

٢ ـ يشكل البلدان بديموغرافيتهما وكثافتهما السكانية موقعين مهمين للمذهبين السني والشيعي .

٣ ـ يتميز البلدان بأهميتهما الجغرافية وموقعهما الاستراتيجي الخاص .

٤ ـ يحظى البلدان بأهمية لوجود المراكز الدينية فيهما ، متمثلة في الحوزات العلمية الشيعية في قم ومشهد ، وفي جامعة الازهر في مصر .

ونظراً إلى هذه القواسم المشتركة بين البلدين وما يتميزان به من أهمية بالنسبة إلى الحركات الأصولية المعاصرة ، فقد رأينا ان يدور بحثنا حول العلاقات بين الاخوان المسلمين والجمهورية الاسلامية الايرانية في الفترة الواقعة بين عام ١٩٧٩ وحرب الخليج الثانية ونحاول ان ننطلق بحديثنا من انتصار الثورة ، ونكتفي بالاشارة في ما قبل ذلك .

ويجدر بنا قبل ذلك ان نلقي نظرة على تاريخ الاخوان المسلمين والمراحل المختلفة للتحولات التي مروا بها .

والموضع المناسب لهذا الموضوع هو «أهمية ايران ومصر» ودراسة العلاقات بين الحركتين المذكورتين ، ومن ثم يلزم تقويم (الاصولية) وبحثها باعتبارها القضية المحورية في هذه الدراسة .

## أهمية البحث

تبرز أهمية بحث العلاقة بين هاتين الحركتين الأصوليتين المعاصرتين ، أي الثورة الاسلامية في ايران وحركة الاخوان المسلمين في مصر ، لظهورهما في بلدين يلتقيان في عدة قواسم مشتركة . فايران مهد تاريخي للحركات الشيعية ومنطلق لأكبر ثورة اسلامية معاصرة ، ومصر هي القاعدة الكبرى للسنة ومسقط رأس حركة الاخوان المسلمين .

وقد وجدت الحركة الاسلامية في هذين البلدين الكبيرين مكاناً مناسباً للنمو والتوسع لعدة أسباب ، منها ما يتميز به البلدان من تاريخ موغل في القدم وحضارة عريقة وحكم دكتاتوري يمتد لآلاف السنين ، وارتباط بعجلة الغرب ، وشيوع البيروقراطية والفساد الاداري والاجتماعي ، واستحكام الأزمات الاقتصادية وهجرة القرويين إلى المدن ، وأكثر من ذلك موقع هذين البلدين في قلب العالم الاسلامي .

وإلى جانب ذلك ثمة خصائص مميزة لايران ومصر تزيد من دورهما في هذا المجال ، ومن هنا نرى الكثير من المؤلفين يعتقدون ان الشعب المصري يعد من أكثر شعوب الشرق تديناً ، وقد لعب الدين في تاريخه دوراً بارزاً[1] . ولذلك يلاحظ ان «الشارع المصري» مع الصحوة الاسلامية ومن دونها ، شديد العاطفة تجاه الدين ، ومن أكثر الكلمات التي يسمعها الزائر في مصر كلمة «حرام»[2] .

«وفي رأي الاخوان المسلمين ان العلاقة بين مصر والاسلام علاقة خاصة وفريدة ، وهم يعتقدون ان مصير مصر مرتبط بمصير المسلمين منذ بداية تاريخ الاسلام وحتى الآن . فمصر هي المكان الأكثر اطمئناناً بالنسبة إلى القاعدة الاسلامية ، سواء من الناحية التاريخية أو من الناحية المنطقية ، باعتبارها مهداً لأعرق الحضارات البشرية . وفي اعتقاد الاخوان المسلمين ان مصر في زمن انحطاط الامبراطورية العربية كانت الوحيدة التي رفعت راية الاسلام ، لا لتأصل الاسلام في روح المصريين وضميرهم وحسب ، بل لأنه يمثل ايمانهم ولغتهم وحضارتهم . ومن هنا كان لمصر دور خاص في حفظ الاسلام»[3] .

«ومن المعالم البارزة الأخرى للواقع المصري قابليته للتفاعل مع الحركة الاسلامية دون معوقات . ولعل هذا الأمر يعود إلى طبيعة الشعب ، فالشعب المصري يتميز بعاطفة قوية نحو الاسلام تتيح له فرصة التفاعل السريع مع الحركة الاسلامية»[4] ، ومن جانب آخر فان وجود «جامعة الأزهر» ضاعف من أهمية هذا البلد ودوره وتأثيره لماضيه التاريخي المشرق الذي يمتد لمئات السنين ، ولدوره في

---

(١) صالح الورداني ، الحركة الاسلامية في مصر ، (القاهرة : البداية للنشر والاعلام والتوزيع ، ١٩٨٦) ص٢٩ . يعتقد بعض المؤلفين ومنهم الورداني ان تمسك المصريين بدينهم ، وتفاعلهم معه كان تفاعلاً لا يتجاوز حدود الفطرة بمعنى ان تدينه لم يكن تديناً سياسياً ديناميكياً وإنما انحصر في الأمور الاعتقادية والتعبدية .

(٢) مجلة الشراع ، بيروت ، (العدد ٤٧٣ ، ٢٩/ ٤/ ١٩٩١) . صحيفة السياسة الكويتية ، ٩/ ١٠/ ١٩٨٨ ، لقاء مع وزير الأوقاف المصري محمد علي محجوب ، وهو يقول ان في مصر سبعين ألف مسجد .

(٣) بهمن آقائي وخسرو صفوي ، اخوان المسلمين ، طهران ، ص١٦٨ .

(٤) صالح الورداني ، المصدر السابق ، ص١١ .

تربية وتعليم الكوادر الاسلامية وارساله الدعاة إلى مختلف البلدان واستقباله طلاب العلوم الاسلامية من سائر أنحاء العالم .

وفي ايران نرى مثل هذه الخصائص التي يؤكدها وجود الحوزات الشيعية الكبرى للعلوم الدينية في قم ومشهد . وإلى جانب ذلك فان الأغلبية الساحقة من المصريين يتبعون المذهب الشافعي (وهو أقرب المذاهب إلى المذهب الشيعي الاثني عشري) ، مما يجعل الشعب المصري يتمتع بوحدة مذهبية جيدة ؛ فهو بعيد عن كل الخلافات المذهبية السائدة بين الفرق الاسلامية . وهذا الأمر هو الذي يميز مصر وبلدان شمال افريقيا الأخرى عن غيرها من البلدان الاسلامية السنية .

و«احترام المصريين الشديد لأئمة الشيعة وتكريمهم لذكرى ولادات وشهادات آل البيت ، وهم الناس الكرماء وأحفاد خير البشر وسيد الشافعين»[٥] ، لا يمكن ان يقارن بما هو عليه في البلدان العربية الأخرى ، «فحب المصريين لأهل البيت معروف ومسجل في أبيات الشعر والأقاصيص والأغاني التي تتردد بطريقة تلقائية تنم عن الحب والتعلق بالعترة الشريفة التي تنتسب إلى سيد البشر»[٦] ، «وما تزال السلطات المصرية تعلن حالة طوارئ في كل عام لمناسبة عيد المولد النبوي لضبط احتشاد ما بين المليونين والثلاثة ملايين محتفل في مقام الحسين»[٧] ، «والقاهرة تتشيع في مولد الزهراء»[٨] .

«ويعتبر المصريون يوم عاشوراء يوماً من أيام الله ويوماً للجهاد والنجاة يستحق أن يسطر بأحرف من نور على صفحات من ذهب»[٩] ، وإلى ذلك فإن علماء الدين المصريين «يؤكدون دوماً على ضرورة الاقتداء بالحسين بن علي(ع) والتأسي بزينب الكبرى (س) واظهار الرفض لظلم يزيد»[١٠] . ومن الأمور التي

---

(٥) شيخ عبد الحميد كشك (خطب صلاة الجمعة) . حماسة عاشوراء ، صحيفة (جمهوري اسلامي) ، العدد ٣٥١٩ ، السنة الثالثة عشرة ، ص٩ . طهران .

(٦) محمد بن عبد الله وجمال البدوي ، الشيعة قادمون ، (القاهرة ، ١٩٨٨) .

(٧) مجلة الشراع العدد السابق .

(٨) المصدر نفسه ، العدد ٣٢٨ ، السنة السابعة ، ٤/ ١/ ١٩٨٨ ، ص١٢ .

(٩) صحيفة (جمهوري اسلامي) ، المصدر السابق .

(١٠) المصدر نفسه .

تجعل المصريين قريبين كثيراً من الشيعة وجود مزار (رأس الحسين) و(مرقد السيدة زينب) ببناءيهما العظيمين اللذين يشكلان مزاراً مهماً للشعب المصري .

يقول أحد الكتاب المصريين : «ويندر ان تجد مصرياً يهبط القاهرة دون أن يزور مساجد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة سكينة ، وهم سادة القاهرة وحماتها الذين تهفوا إليهم الأفئدة وتتطلع إليهم القلوب» ، ويضيف قائلاً : «لعل هذه المكانة الراسخة لأهل البيت في العاصمة المصرية هي التي حجبت عنها أساطين التصوف فراحوا يبحثون لأنفسهم عن مواقع أخرى تحقق لهم ما ينشدونه من زعامة شعبية ، فذهب بعضهم إلى الاسكندرية ، وذهب آخرون إلى طنطا أو دسوق أو قنا . أما القاهرة فلا يستطيع زعيم صوفي أن ينافس أهل البيت على زعامتها . ولعل ارتباط المصريين بأهل البيت يفسِّر العبارة التي سمعتها يوماً من زعيم شيعة لبنان الامام موسى الصدر عندما التقيت به في أبوظبي في شتاء ١٩٧٤ وهو يتحدث عن حب المصريين لأهل البيت ، إذ قال لي : «نحن نعتبركم نصف شيعة . وهي عبارة تعبّر بصدق عن الواقع»[١١] .

وفي مثل هذا الواقع أصدر العلاّمة المصري الكبير ورئيس الأزهر الشيخ محمد شلتوت فتواه التاريخية التي اعتبر فيها المذهب الشيعي الاثني عشري واحداً من المذاهب الاسلامية المعتبرة ، وأجاز العمل بأحكام الاسلام وفقاً للأصول الفقهية لهذا المذهب . ودعا في فتواه التاريخية هذه جميع المسلمين لنبذ التعصب الفرقي[١٢] .

«والحق ان الواقع المصري يتميز بالبساطة الشديدة في تركيبه ، فهو لا يحمل بين جنباته أية صورة من صور التناقض العقائدي ، ولا وجود لفكرة الطائفية في ساحته . وتلك أبرز معالمه .

«ان الاستقرار العقائدي للواقع المصري يعد من العوامل الأساسية لنهوض الحركة الاسلامية وثباتها ، فالحركة الاسلامية في مصر حركة سنية المذهب ، ولا تواجه أي تحد مذهبي آخر على ساحتها ولا يشغلها أمر الصراع المذهبي وهو غير

---

(١١) محمد بن عبد الله ، المصدر السابق ، ص٦ .

(١٢) كتيب أسبوع الوحدة ، دمشق ، المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية .

وارد عندها . ومن المعلوم ان الصـراع المذهبي يشكل عـائقـاً خطيـراً في طريق نهـوض أية حركة وثباتها واستقرارها على ساحة الواقع ، وهـو معوّق ملازم لهـا طوال مراحل تحركها سواء قبل التمكين واقامة الدولة أو بعدها»(١٣) .

ويصـدق هـذا الـرأي علـى الشـعـب الايـراني أيضـاً ، فـايران تحظـى بانسجـام مذهبي كـامل على الرغم من وجـود أقليـات سنية فيـهـا . وقد أسـهم التحـول الفكري وطرح قـضية الوحـدة بين السنة والشـيعـة بعـد انتصـار الثـورة الاسـلامية في ازالة جميع الحساسيات المذهبية والفرقيـة ، حتى أضحى المذهب عنصـراً من عناصـر التكامـل والتعـاون في المجتـمـع رغم مـؤامـرات الاعـداء الخيانية .

من هنا تكمن أهمية إيران ومصر من الناحية الديموغـرافية والثقل السكاني للمـذهبين السني والشيعي ، إذ يحظى البلدان بكثير من الأهمية لديموغرافيتـهمـا وثقلهـمـا السكـاني للمـذهبين السني والشيـعي ، ولدورهمـا الفـاعل في العـالم الاسلامي .

فمصر تعتبر بسكانها السنّة الأكثر في العالم العربي وبخصائصها المميزة دعامة أساسية للعرب . وتشكل ايران قاعدة مهمة للشيعة لكثرة سكانها وخبرتهم وثوريتهم .

يتحدث أحد الكتّاب المصريين المهتمين بالشؤون الايرانية عن خصـائص ايران الاسلامية والعناصر المشتركة في علاقاتها بالعالم العربي ، وخصوصاً مصر ، فـيـقـول : «ايران هي أحـد أضلع المثلث الذي تعـتـبـره الدراسـات السيـاسـيـة والاستـراتيـجية ركـيزة مـا يسمى بالشرق الأوسط ومركز الثقل فيه . الضلعان الآخران هما مصر وتركيا ، والدول الثلاث هي الكبرى في تعداد سكان المنطقة ، كل منهـا يدور في فلك الخمسين مليونـاً ، فـضلاً عن أن لكل منها خصـوصية استراتيجية معينة» .

---

(١٣) صالح الورداني ، المصدر السابق ، ص١١ .

ويضيف الكاتب نفسه قائلاً : «وايران دولة اسلامية شقيقة ، تجمعنا بأهلها أخوة الدين ، وهو اعتبار يستخف به البعض أو يقلّلون من شأنه ، لكننا نضعه في المقام الأول من المنظور الاستراتيجي باعتبار ان ايران بالنسبة لنا تمثل عمقاً استراتيجياً وخزاناً أو رصيداً بشرياً كبيراً»(١٤) .

## الموقع الاستراتيجي لايران ومصر في المنطقة

يشير المؤلف عينه إلى الموقع الجغرافي لايران ومصر في الشرق الأوسط والخليج الفارسي ، وإلى وجود الكثير من الشيعة في البلدان المجاورة لايران ، وكذلك الحضور الكثيف للمصريين في بلدان المنطقة ، ثم يقول : «تمثل ايران باب العالم العربي إلى آسيا ، كما ان السودان بابه إلى افريقيا . وتاريخياً فقد كانت ايران هي الجسر البري الذي كانت التجارة تنقل عبره بين الشرق والغرب من خلال ما عرف باسم «طريق الحرير» . والأهم من ذلك ان الهضبة الايرانية وراء الجناح الشرقي للعالم العربي تعتبر حارس الظهر وحاميه .

«وعلى الطرف الآخر ، فان ايران تقع في مؤخرة الاتحاد السوفياتي وظهره ، لصيقة بالحزام الاسلامي في الجنوب السوفياتي (أوزبكستان وكزاخستان واذربيجان ذات الأغلبية الشيعية) ، ولأنها كذلك فان أعين القوتين العظميين تتركز عليها ولا تتحول عنها ، وكل ما يجري في ايران يلقى كل اهتمام من السوفيات والأميركان في آن واحد . لهذا السبب فان لايران مكانة متميزة في مخططات القوى الكبرى .

«وبسبب أهميتها الاستراتيجية وثقلها السكاني وعمقها الحضاري ، فان الدور الايراني يتجاوز حدود البلاد الجغرافية ، وتاريخياً فان ايران لم تكن يوماً ما منكفئة على ذاتها داخل الهضبة ، وإنما كان تأثيرها يمتد إما شمالاً وشرقاً في

---

(١٤) فهمي هويدي ، المصالح الاستراتيجية تجمع العرب وايران في كتلة واحدة ، صحيفة تشرين ، دمشق ٢٨/٠٦/١٩٨٩ ، ص٣ .

العمق الآسيوي ، أو جنوباً وغرباً باتجاه المحيط العربي ، وتكاد حركتها تتم بطريقة تبادلية على هذين المحورين»[١٥] .

ومن جانب آخر فان مصر ، باعتبارها رائدة الأمة العربية ، تمتلك الخصائص نفسها «وريادة مصر لوطنها العربي في ميادين عديدة ليست أمراً جديداً ، فمنذ ولادة الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي ومصر هي رائدة أمتها العربية . فيها بدأ عصر النهضة الثقافية (الذي يرمز الطهطاوي إليه عادة) والتعليم المصري وانشاء المؤسسات الحديثة والتصنيع وما إلى ذلك .

وفي الفترة من ١٩٤٥ (وهو تاريخ انشاء الجامعة العربية) إلى عام ١٩٧٧ (كامب ديفيد) أضافت مصر إلى دورها الرائد دورها القائد . وفي مرحلة الافول المؤقت (١٩٧٧ ـ ١٩٨٧) تخلت مصر عن دوريها «الرائد» و«القائد» . ان الدولة الرائدة هي المجتمع النموذجي في رؤاه وممارساته وانجازاته»[١٦] .

وعن أهمية مصر يقول كاتب آخر : «ليست مصر المنفذ الحقيقي للسيطرة على العالم العربي وحسب ، بل على جميع حوض المتوسط . فالاسكندر بدأ امبراطوريته بمصر ، ولم يتسنَّ لقيصر ان يصنع من روما امبراطورية إلا بعد سيطرته على مصر . وعرف سليم الأول أهمية دولته بعد فتحه لمصر . وكان نابليون في مصر لدحر بريطانيا . ولم تتحقق الامبراطورية العالمية لبريطانيا إلا بعد احتلالها مصر ، ولم يبدأ نجمها بالأفول إلا بعد تركها هذه البلاد . ولم تتخل فرنسا وبريطانيا عن مصاف القوى الكبرى إلا بعد اندحارهما في سواحل قناة السويس عام ١٩٥٦ . في مصر وحدها ، حيث مثلث الكثافة السكانية ، تتطور الحضارة ويتجسد الموقع الاستراتيجي»[١٧] .

وتكمن أهمية هذا البحث في اعتبار مصر عمقاً استراتيجياً للثورة الاسلامية الايرانية . ونظراً إلى أهمية الموضوع ، نختم الحديث بنقل مقاطع من محاضرة

---

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) سعد الدين ابراهيم ، كيف تقوم مصر بدور (الدولة ـ الرائد)؟ ١/ ١٩٨٨ ، ص٦ .

(١٧) أنور الجندي ، تاريخ الدعوة الاسلامية في مرحلة الحصاد ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٧ ، ص١٣٣ . هيروديليب ، الأصولية الاسلامية ، لندن ، دار نشر بالادين .

الدكتور فهمي الشناوي ، الشخصية المصرية المؤيدة للثورة الاسلامية ، والتي أوردها عام ١٩٨٤ في المركز الاسلامي في لندن تحت عنوان «أهمية مصر للثورة الايرانية» ، حيث يقول : «إن تخليص ثورة «ايران» من الحصار الموجود يستلزم السباحة في المحيط العربي ، واجتذاب الحركة الاسلامية العربية . عملية تكتيكية تفيد ايران والعرب والاسلام . انه من الصعب جداً أن نتخيل امكانية وجود حركة اسلامية عالمية بدون العرب . فالعرب هم وعاؤه الأول ، ولغتهم هي لغة القرآن الكريم ، ونبي الاسلام هو من العرب . ولا يمكن الانطلاق من الحدود الايرانية بدون اكتساب الفكر العربي .

«ان عملية اختراق الحصار العربي إنما تبدأ من مصز ، وعملية السباحة عبر المحيط العربي إنما تبدأ من مصر ، لا لأهمية مصر بين العرب وحسب ولكن للأهمية الاستراتيجية لمصر في اللعبة الدولية ، ولأنه ان مالت مصر مال العرب ، ولأن اكتساب مصر أسهل من اكتساب الحرب الدائرة الآن (بين العراق وايران) والتي يقف عالم الطاغوت كله خلفها . ولا يمكن تطويق قوى الطاغوت إلا من مصر ، ثم ان اكتساب مصر هو أوفر عائداً وأدوم زمناً وأعمق شراً من أي انتصار على العراق . ان مصر ليست بعيدة أبداً عن الاسلام ، فهو شعور رجل الشارع الذي قد لا يترجمه الحاكم ولا الاحزاب ولا الاعلام .

«وبذور الثورة الاسلامية هي التي سبّبت الاطاحة برؤوس حسن البنا وسيد قطب ومصطفى شكري والاسلامبولي وسرية وعشرات غيرهم ، وسبّبت ادخال ستين ألفاً في السجن ما بين عامي ١٩٥٤ و١٩٧٠» .

ويضيف الكاتب قائلاً : «ومصر لم تكن بعيدة أبداً عن ايران ايام ثورة مصدق ولا عندما دعا شيخ الأزهر شلتوت إلى اعتبار المذهب الشيعي أحد المذاهب الرسمية» .

ثم يورد ادلة تاريخية ، ويقول : «ان مصير الثورة الايرانية سوف يتقرر في مصر كما تقرر مصير الدولة الرومانية ثم الدولة العثمانية ثم الامبراطورية البريطانية ، وكما سيتقرر مصير الامبراطورية الاسرائيلية فيما بعد . . .» .

ويحذر الكاتب بقوله : «وحالياً تخطط اسرائيل لاقامة عصر الهيمنة الاسرائيلية على الشرق الأوسط وعلى افريقيا عن طريق مصر ، بل انها تأمل ان تركع أوروبا نفسها عن هذا الطريق بعد ذلك .

«وفي يوم ما سوف تجد الثورة الاسلامية في ايران السؤال عينه معروضاً عليها للاجابة : هل تفوز برضى مصر فتكون لها الغلبة وتنطلق عالمياً كقوة دولية كبرى أم تفقد مصر فتظل محصورة توصف مرة بأنها مجرد ثورة داخل الفكر الشيعي ، ومرة بأنها ثورة جنس الفرس فقط؟» .

ويخلص الكاتب إلى القول : «بل ان الطموح الاسرائيلي في مصر يجب ان يستحث ويحفز وينبّه الثورة الايرانية على أن تتسابق لا ان تنسحب . . .

«ان التفاهم بين مصر والثورة الاسلامية الآن هو عملية انقاذ لمصلحة مصر ولمصلحة العرب ولمصلحة الثورة الاسلامية ولمصلحة الانسانية ولمصلحة معاني الخير والفضيلة ، بل ان عملية التفاهم هذه صارت عملية مقدسة بعد التطور الأخير في الفكر الصهيوني . . .

«انني أرى ان مسؤولية الثورة الاسلامية في ايران تفوق مسؤولية مصر ومسؤولية العرب ، نظراً إلى الوعي واليقظة التي انبعثت فيها ، والغرب يدرك خطورة هذه اليقظة . . . وتجاهل التعاطف الشعبي الموجود حالياً ازاءها واهداره هو خسارة كبيرة لا تعوض»[١٨] .

(١٨) فهمي الشناوي ، أهمية مصر للثورة الايرانية ، محاضرة في المركز الاسلامي في لندن بمناسبة إقامة المؤتمر العالمي (الثورة الاسلامية الايرانية ، المنجزات ، الاشكاليات ، الامكانيات) ٨ - ١١/ آب/ ١٩٨٤ .

## الفصل الأول

# بحث في الأصولية

قبل الخوض في بحث الأصولية ، يجدر بنا ان نتحدث عن حالة أعم ، ألا وهي حالة «الصحوة الاسلامية» التي تستعمل اليوم بكثرة ، وتطلق النهضة الاسلامية التي تعم أنحاء العالم .

## تعريفات الصحوة الاسلامية

«الأصل في الصحوة هو الافاقة أو الاستيقاظ من النوم . تقول صحا إذا أفاق أو استيقظ من النوم . ثم استخدم اللفظ في كل ما يكون تنبهاً من بعد غفوة أو غفلة أو غيب عن الوعي بفعل سكر أو تخدير . والانسان الصاحي هو الذي لا يغيب عن الوعي في ما فيه مصلحته بحيث لا يستطيع غيره أن يخدعه بأي حال من الأحوال .

والصحوة حين تضاف إلى مفاهيم أخرى ، مثل مفاهيم القومية أو الوطنية أو الاسلام ، إنما تعني ان الأهداف القومية أو الحقوق الوطنية أو الاسلامية أخذت حظها من عقول الناس بعد غيبة جاء بها التخلف أو فرضها الاستعمار ، وتعني ان الناس قد تنبهوا بعد غفلة إلى ما فيه مصلحتهم عن طريق الأهداف القومية أو الحقوق الوطنية أو القيم الاسلامية ، وانهم سوف يمارسون حياتهم في المستقبل على أساس من كل ذلك ، أو من بعض ذلك حسب ما تمليه الظروف والمناسبات»[1] .

---

(١) محمد خلف الله ، «الصحوة الاسلامية في مصر» ، الحركات الاسلامية في الوطن العربي ، (ط٢ ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الامم العربية ، ١٩٨٩) . ص ٣٨ ـ ٣٩ .

وحركة الاحياء الاسلامي تعني تسييس كل ما هو اسلامي والعودة به إلى الأصول ، وإن استلزم ذلك «العودة المسلحة» . والصحوة الاسلامية مصطلح جديد يطلق على مساعي الجماعات الاسلامية لاقامة الدولة الاسلامية . وفي رأي هذه الجماعات ان الدولة الاسلامية لا تتحقق إلا بالعمل على ايجاد مجتمع اسلامي جديد ، وعلى اقامة حكومة اسلامية تحفظ الدين وترعى شؤون الأمة الاسلامية .

«وليس يخفى ان المصطلح الذي يليق بالعمل الذي يبذل في سبيل اقامة الحكومة الاسلامية وبناء المجتمع الاسلامي على انقاض الحضارة العلمية الحديثة ، هو مصطلح الثورة الاسلامية ، وليس مصطلح الصحوة الاسلامية ، ما دامت السبيل هي النضال والجهاد في سبيل الله بالانفس والأموال . والجماعات الدينية التي تعمل في ميدان الصحوة الاسلامية تعلم ذلك حق العلم ، تعلمه من حيث ان النضال والجهاد من الأعمال الثورية ، وتعلمه من حيث ان الدولة الخمينية في ايران التي تزهو بها هذه الجماعات الدينية المصرية إنما تطلق على نفسها مصطلح الثورة الاسلامية . وعلم هذه الجماعات الدينية بهذه الحقيقة هو الذي دفع بها إلى أن تحمي نفسها بالعمل تحت مصطلح الصحوة الاسلامية ، وعياً منها بأن مصطلح الثورة الاسلامية يجعلها تحت طائلة قانون العقوبات ويزج بها في ميدان المحاكمة من حيث انها إنما تعمل على تغيير نظام الحكم بالقوة .

والسبيل إلى تحقيق الدولة الاسلامية قد يكون بالجدل بالتي هي أحسن عندما يكون الهدف هو بناء المجتمع الاسلامي ، أما حين يكون الهدف اقامة الحكومة الاسلامية ، فان السبيل تكون شاقة وعسيرة وتكون بالنضال وبالجهاد في سبيل الله»[٢] .

ويرى العالم المصري الدكتور محمد الغزالي أن «الصحوة» كلمة جديدة شاعت بعد ثورة الخميني ، وانها اطلاق أجنبي ، وكان المستعمل عند الاخوان هو كلمة «حركة» أو «فكرة اسلامية»[٣] .

---

(٢) المصدر نفسه ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) محمد الغزالي ، الحركات الاسلامية في الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص١٠٠ ـ ١٠١ .

وعلى أي حال ، إن الصحوة ظاهرة اجتماعية واقعية يزداد نصيبها من المبادرة في حاضر المجتمع العربي ، بل قد تقفز إلى المرتبة الأولى في صنع التاريخ وتحتل الصدارة من بين العوامل الكبرى كما حصل ذلك في مصر عند مقتل أنور السادات ، وكما حصل بعد ذلك في السودان عند خلع جعفر النميري . أليست التجربة الايرانية القائمة على أساس اسلام المستضعفين وما حققته من تغييرات جذرية في المنطقة العربية شرقيها وغربيها وما تزال تمعن فيه من حرب ضروس في الخليج ، شاهداً آخر على ما أصبح للاسلام من حضور ومبادرة في التاريخ المعاصر؟

«ليست الصحوة الدينية فزّاعة تحركها قلة مؤمنة مغتربة عن الواقع المعاصر ومنفية في تصوراتها الماضوية لاسلام انتقائي ناصع ، بل قد غدت اليوم حقيقة حاضرة في الواقع النخبوي والشعبي في المدن والقرى وفي الأرياف ، وأصبحت عاملاً كبيراً بين عوامل التغيير والمبادرة في المجتمع العربي . وما كانت هذه الصحوة الدينية جديرة بالعناية والدرس من جانب مشروع المستقبلات العربية البديلة إلا باعتبار هذا الواقع الصادق وبما يتزايد من نصيبها في نحت ملامح هذا الواقع حاضراً وفي المستقبل المنظور . فهي بحق «حركة بناء ديني وتغيير اجتماعي عام» كما نعتها الدكتور عبد الله النفيسي»[(٤)] . ويعتبرها عبدالله فهد النفيسي ، أستاذ جامعة الكويت في بحثه عن مستقبل الصحوة الاسلامية ، حركة بناء ديني لتزكية الفرد وتعبئة الجماعة ، وهي حركة أصولية تجديدية وحركة تغيير اجتماعية تأخذ بأسباب التعبئة المنهجية والحركة المخططة في سبيل ترشيد حياة المجتمع[(٥)] .

«لقد أصبحت الصحوة الاسلامية حقيقة قائمة وأمراً واقعاً ، تشغل بال الغيورين على الاسلام وأمنه كما تشغل بال أعداء الاسلام ، لأنها تعد مؤشراً إلى يقظة المسلمين بعد اغفاء طال في عصور التخلف والضعف ، غير ان هذا لا يمنعنا

(٤) مصطفى الفيلالي ، الحركات الاسلامية في الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص٣٤٠ ، الصحوة الدينية الاسلامية ـ خصائصها ـ أطوارها ـ مستقبلها .

(٥) عبد الله النفيسي ، «مستقبل الصحوة الاسلامية» ، الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، ص٣٢٣ .

من الاعتراف بوجود طائفة من المشكلات التي تواجه الصحوة الاسلامية من منظور فكري وسياسي واجتماعي»(٦) .

«لكن وإن انهارت المجتمعات التقليدية في أكثر من مكان وانهزمت في أكثر من معركة ، فان مقولة «الاسلام ـ الحل» اكتسبت قدرة استثنائية على التعبئة والتجييش ، وتجاوزت سياسات الحصار لتستمر بعد خروج المستعمر وقيام الدولة «الوطنية» أو القطرية»(٧) .

«ولم يعد يشك أحد في أهمية الحضور الذي أصبحت تتمتع به الحركات الاسلامية داخل أقطار ما يسمى بالعالم الاسلامي . ويكاد يجمع الباحثون المختصون في شؤون محور (نواق شوط ـ جاكرتا) ، على ان كل حديث عن المستقبل السياسي والاجتماعي لهذه الرقعة الجغراسياسية يخلو من الأخذ بعين الاعتبار دور هذه الحركات ، هو حديث غير علمي ولا يعتمد . لهذا ليس عبثاً أن تتولى وكالة المخابرات المركزية الأميركية في سنة واحدة (١٩٨٣) التمويل الكامل أو الجزئي لأكثر من مائة وعشرين مؤتمراً وندوة في موضوع واحد هو (الصحوة الاسلامية) ؛ ففي ذلك دليل قاطع على تنامي هاجس الخوف من هذه الظاهرة لدى مراكز الاستخبارات والشؤون الاستراتيجية التابعة للدول الكبرى ، وهو هاجس بدأ منذ اغتيال الشهيد حسن البنا (١٣ شباط/ فبراير ١٩٤٩) ، وبلغ أقصاه بعد قيام الثورة الايرانية»(٨) .

## الأصولية

بعد ايراد تعاريف الصحوة الاسلامية ننتقل إلى مصطلح الاصولية الذي دأب الغرب على اتخاذه ذريعة له ، وفيما يلي ندرسه باختصار :

---

(٦) فريد عبد الخالق ، «نحو مراجعة المقولات والآليات» الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية ، (تونس : دار مدبولي ، ١٩٨٩) ، ص٣١٩ .

(٧) صلاح الدين جورشي ، «الحركة الاسلامية مستقبلها رهين المتغيرات الجذرية» ، الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية ، ص١٢١ .

(٨) المصدر نفسه ، ص١١٩ ، مجلة (المستقبل العربي) الشهرية ، العدد ١٠٨ ، محاضرة محمد حسنين هيكل تحت عنوان (هواجس مستقبلية) في جامعة القاهرة .

إن «الأصولية الاسلامية في جوهرها كانت ـ كما يشير منطوق اللفظ ـ تمثل عودة إلى الأصول الأولى للاسلام بالنقاء الذي كانت عليه حين تنزّل بها وحي السماء على محمد بن عبد الله (ص)»[٩] . ومن خلال هذا التعريف نستنتج ان الصحوة الاسلامية تعني حركة العودة إلى الأصول الاسلامية النقية ، والعودة إلى القرآن والسنة النبوية على مستوى الفرد والجماعة . يقول الكاتب المصري المعروف حسن حنفي : «فمن الصعب ايجاد مصطلح دقيق لما جرى تسميته في الآونة الأخيرة ، خاصة في الغرب (Islamic Fondmemalism) كأفضل تسمية لما يوصف الآن بالصحوة الاسلامية ، أو البعث الاسلامي ، أو الاحياء الاسلامي . فالترجمة الحرفية «الاصولية الاسلامية» لا تعبر عن تيار فكري أو سياسي معين في تاريخ الأمة الاسلامية ، ولو أن لفظ (الأصول) لفظ اسلامي كما هو معروف في علمي «أصول الدين» و«أصول الفقه» ، فالأصل هنا يعني الأساس الذي ينبني عليه الشيء ، الأساس العقلي عند علماء أصول الدين والأساس المادي (المصلحة) في علم أصول الفقه . الأصولية الاسلامية بهذا المعنى تعني البحث عن «الأساس» أو «الشرعية» . فكل واقعة وكل نظام وكل دولة تقوم على فكرة أو على تصور هو الأساس . فكما تقوم الدول الرأسمالية على تصور للحرية ، والدول الاشتراكية على تصور للعدالة الاجتماعية ، كذلك تقوم الدولة الاسلامية على تصور للشرعية الاسلامية . والأصولية الاسلامية في أحد معانيها تحاول صياغة هذه الشرعية وتحقيقها ، وتأسيس النظام الاسلامي وتدافع عنه بصرف النظر عن النظم القائمة وانجازاتها . وهي تعتمد على بحث شرعي وليس على تحليل واقعي ، وتقوم على فكرة مبدئية وليس على ضرورة عملية ، وتستعمل منهجاً استنباطياً يقوم على تأويل النصوص وليس منهجاً استقرائياً يعتمد على رصد الوقائع وحصرها .

كما يترجم هذا المصطلح أيضاً بلفظ اسلامي هو «السلفية» . فالسلف هم القدماء ، والخلف هم المحدثون ، والسلف أفضل من الخلف بنص القرآن : ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾ (١٩ : ٥٩) ، السلف أكثر طهارة وإيماناً وأقوم فعلاً وسلوكاً من الخلف . . .

---

(٩) محمد حسنين هيكل ، خريف الغضب ، ط٨ ، القاهرة ، شركة المطبوعات للتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص٢٧٣ .

وقد ظهر هذا المعنى في التاريخ في الحركة السلفية التي أسسها الامام أحمد بن حنبل وسار فيها فقهاء المسلمين حتى ابن تيمية وابن القيم . ثم أخذت طابعاً شعبياً في الحركة الاصلاحية الحديثة عند محمد بن عبد الوهاب والشوكاني والمهدية والسنوسية أو عند زعماء الاصلاح مثل الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي وابن باديس والبشير الابراهيمي وعبدالقادر الجزائري والطاهر بن عاشور . . . إلخ .

ولا تعني «الاصولية الاسلامية» بالضرورة المحافظة والتخلف ومعاداة المدنية الحديثة . فهناك اصلاحيون تقدميون مستنيرون يأخذون بوسائل التقدم وأساليب النهضة الحديثة ، ويدعون المسلمين إلى الأخذ بالعلم والصناعة ونظم الحرية والديمقراطية . كما لا تعني التعصب وضيق الأفق ورفض الحوار والانغلاق على الذات ، فهناك من ممثليها مفكرون متحررون وعقلانيون وواسعو الأفق وملمّون بتاريخ الشعوب ، ويقبلون تحديات العصر ومنفتحون على الحضارات الحديثة يكتبون في التسامح وفي التعاون ويدعون إلى الاخاء والمحبة ، ولا تعني أيضاً الجماعات المغلقة ، السرية منها والعلنية ، وجماعات المضطهدين المنبوذين ، بل تدعو إلى بناء الفرد الكامل من أجل القيام بعملية توحيد شامل للأمة ككل ، وتجنيد جماهيرها وإقامة دولتها والحفاظ على هويتها ، كما لا تعني ـ بالضرورة ـ ممارسة العنف واستعمال أساليب القوة ، والعمل على قلب نظم الحكم والتخطيط للاغتيالات ، فهناك حركة تقوم على نشر الوعي الديني وإيقاظ الوعي الوطني وتأسيس الوعي السياسي باستعمال وسائل الاصلاح مثل التربية الدينية والحفاظ على اللغة العربية والدعوة إلى الطهارة والنقاء وتنشيط العقائد في قلوب المؤمنين .

ولا تعني «الأصولية» أخيراً مجرد التمسك بالمظاهر واطلاق اللحى ولبس الحجاب والدعوة إلى تطبيق الشريعة واقامة الدولة الاسلامية وبناء المساجد ، فقد ولدت «الأصولية الاسلامية» حركات تحرير شعوب ضد الاستعمار في السودان وليبيا ومصر وتونس والجزائر والمغرب وفلسطين ، وقد دفع الرئيس الراحل أنور السادات حياته ثمناً لهذا الفهم المشوه للأصولية الاسلامية . وكانت سخريته ـ في

خطابه الأخير ـ من المرأة التي تمكث في المنزل «مثل الكرسي والخيمة» التي تضعها الأخت المؤمنة على الرأس ، أحد الأسباب المباشرة التي أدت إلى تنفيذ خطة الاغتيال ، ويبدو ذلك في التحقيقات التي قامت بها النيابة العسكرية مع خالد الاسلامبولي ورفاقه الثلاثة وباقي المتهمين الأربعة والعشرين .

الأصولية الاسلامية أو السلفية إذن ليست وليدة العصر الحاضر ، كما هو شائع في الغرب منذ اندلاع الثورة الاسلامية في ايران ، واشتداد المقاومة الافغانية ضد الغزو السوفياتي ، وظهور حركة (أمل) الشيعية بزعامة الإمام موسى الصدر في لبنان ، وازدهار الطرق الصوفية لدى المسلمين في أوروبا الشرقية ، وظهور حركة الاحياء الاسلامية في الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي ، ودخول الاسلام في المعترك السياسي في الملايو واندونيسيا والفليبين ، وانتشار الزي الاسلامي في مصر . . . إلخ . فالأصولية الاسلامية ـ أو السلفية ـ موجودة على مدى التاريخ الاسلامي ، لها جذورها التاريخية وروافدها الفكرية وانفجاراتها السياسية ، كما ان لها ظروفها النفسية والاجتماعية التي تتكرر في كل عصر ، فتتجدد الأصولية الاسلامية ، وتتواصل حركاتها منذ الامام ابن حنبل والامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم حتى الجماعات الاسلامية المعاصرة وانفجاراتها السياسية في «حزب التحرير الاسلامي» . . . عند صالح سرية والاستيلاء على الفنية العسكرية في مصر عام ١٩٧٤ حتى اغتيال الرئيس السادات على يد جماعة الجهاد في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٨١»[١٠] .

## خصائص الأصولية

١ ـ **القاعدة الشعبية وسرعة الانتشار** : «وهي تعد من أهم خصائص ظاهرة الاحياء الاسلامي المعاصرة التي تتخطى «القومية» وتحدث بالقدر نفسه في كل مجتمع اسلامي بغض النظر عن البيئة السياسية والاقتصادية والثقافية ، فنجد ان الدعوة إلى هوية اسلامية جديدة لا تظهر بوضوح فقط في المحيط العربي ، بل تمتد أيضاً في نيجيريا وتركيا وباكستان وايران واندونيسيا ، كما انها لم توجد فحسب

(١٠) حسن حنفي ، الحركات الاسلامية في مصر ، ط١ ، القاهرة ، المؤسسة الاسلامية للنشر ، ١٩٨٦ ، ص٩ ـ ١٣ .

في البلاد التي تضم غالبية اسلامية ، بل انتشرت في الهند والفليبين والاتحاد السوفياتي والبلدان الغربية . والأهم مما سبق ان الأحياء الاسلامي لا يقتصر فحسب على طبقات اجتماعية واقتصادية دون غيرها ، فبينما نجد ان ظاهرة الاحياء قد اعتمدت في تأسيسها على الطبقات الدنيا والمتوسطة الدنيا ، فان هناك من الدلائل المتزايدة على انتشار محاكاة نمط الحياة الاسلامية السليمة بين الطبقة الوسطى والوسطى ـ العليا في البلدان المتقدمة نسبياً مثل مصر وتركيا وتونس»(١١) .

ومن علامات هذه الحركة الاسلامية «التسييس المتعاظم للرموز الاسلامية ولكل ما له صلة بالحياة والمجتمع الاسلامي بدءاً بالسياسة الدولية المعاصرة ووصولاً إلى تسييس البنوك وتسييرها وفقاً لمفاهيم الاسلام والاحياء الاسلامي وتجنيد كل القوى المذهبية في الاسلام لاسباغ هويته على تنمية الثروة والاستمتاع بالطبيعة كما أمر الله»(١٢) .

٢ ـ **الثورية التي يطلق عليها منتسبو هذه الحركة اسم الجهاد** : «أحد أهم خصائص حركة الاحياء الاسلامي في السبعينات هي العودة المسلحة إلى أصول الاسلام النقية ، وأداتها في تلك العودة هو أسلوب الجهاد ، بل ان قياس شرعية الحركة الاسلامية ، ثم الدولة الاسلامية بعد ذلك في عرفهم السياسي ، يكون بالجهاد ، بل ان النهضة الاسلامية الحقيقية ارتبطت عند البعض منهم ـ كما يرصد المتأخرون ـ بالجهاد المسلح»(١٣) ، «وتنطلق بعض الرؤيات الثورية (ايرانية الاتجاه تحديداً) إلى جعل الجهاد هو صلب النظرية السياسية في الاسلام وجوهر عملية الصراع السياسي»(١٤) .

---

(١١) رفعت سيد أحمد ، الحركات الاسلامية في مصر وايران ، القاهرة ، سيناء للنشر ، ١٩٨٩ ، ص٤٣ .

(١٢) جمال فاضل ، «البنوك الاسلامية إلى متى» ، الأهرام الاقتصادي ، العدد ٨٧٨ ، ١١ نوفمبر ١٩٨٥ ، ص٤٨ و٤٩ . زايدة جمال ، «الاحياء الاسلامي والاقتصادي المصري» ، ملف بمجلة الاهرام الاقتصادي ، العددان ٩٠٣ ـ ٩٠٥ ، ٥/ ٥/ ١٩٨٧ ـ ٢٦/ ٥/ ١٩٨٧ ، القاهرة ، مؤسسة الاهرام .

(١٣) محمد عماره ، الاسلام والحرب الدينية ، بيروت ، دار الوحدة ، ١٩٥٢ ، ص١١ ـ ١٩ . محمد العيتاني ، النضال المسلح في الاسلام ، ص٧٠ ـ ٩٠ .

(١٤) صدر الدين القبانجي ، المذهب السياسي في الاسلام ، بيروت ، دار الاضواء ، ١٩٨٥ ، ص٤٥ . رفعت سيد أحمد ، الحركات الاسلامية في مصر وايران ، ص٥٨ .

٣ ـ **شمولية النظر إلى الاسلام** : «تميزت حركة الاحياء الاسلامي في السبعينات بشمولية النظر إلى الاسلام ، وصار ذلك إحدى خصائصها ، وهي خاصية تتضح أكثر بمعرفة قوانين الحركات التي تقوم بالاحياء ، أي حركات الرفض الاجتماعي والسياسي ذات التوجه الاسلامي . وفي هذا المعنى يتجه رأي بعض الباحثين إلى أن حركات الاحياء الاسلامي القديمة اقتصرت جهودها على أن تنادي بالقضاء على البدع ، أو ان تسيطر على دولة لتنشر مذهبها ، وبذلك اتسمت في الأغلب الأعم بالنظرة الجزئية والتوجه إلى الداخل وسيادة النزعة الاصلاحية ، باستثناءات فردية حاولت ايقاظ الوعي الاسلامي لدى الشعوب المستعمرة مثل الأفغاني ومحمد عبده»[١٥] .

«غير أن حركات الاحياء في القرن العشرين اتخذت شكل جماعات تتبنى نظرة شاملة للاسلام مع تزايد التحديات الفكرية الخارجية واستمرار وضع التخلف للشعوب الاسلامية . وقد اتسمت بشعبيتها وانتهاجها لأسلوب العمل العنيف ضد السلطات الحاكمة ؛ وتاريخ أكبر وأفعل جماعتين اسلاميتين في القرن العشرين ، وهما جماعة الاخوان المسلمين في مصر وبعض الدول العربية والجماعة الاسلامية في باكستان ، شاهد على ذلك»[١٦] .

«والحركة الاحيائية المعاصرة إذا نظرنا إليها من خلال نشاط وفكر هاتين الجماعتين من جهة ، ومن خلال الثورة الشعبية الايرانية من جهة أخرى ، سوف نجد انها تقدّم فكراً تجديدياً يتسم بسيادة نزعة عقلية معتدلة وتركيز على البعد الاجتماعي»[١٧] ، «بالاضافة إلى أنها تقدم فكراً تجديدياً يتجاوز الاطار الضيق للاجتهاد الفقهي وتطرح الاسلام من جديد كايديولوجية ثورية تسعى إلى اكساب الهوية المتميزة لشعوب المنطقة أو إلى رفع الظلم الاجتماعي والدعوة إلى اتحاد

---

(١٥) Alsayyid Afaf Lufi, "Marsoty Religion of opposion urbon Protest Moremuts", Eyupt international jornal of Middle East studie's (No, 4 November 1980), Vol, 16.

(١٦) صلاح أبو النجا ، «تطور مفهوم التجدد الاسلامي» ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦١ ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٨٠ ، ص٨٩ ـ ٩٣ .

(١٧) راشد الغنوشي وحسن ترابي ، الحركة الاسلامية والتحديث ، ط١ ، مكتبة دار الجيل ، الخرطوم : مكتبة دار الفكر ، ١٩٨٠ ، ص٥ ـ ٢٠ .

المستضعفين والمقهورين ضد طواغيت العصر متمثلة في الاستعمار بشتى أشكاله ، ومن ناحية أخرى فانها تتسم بشموليتها الجغرافية . ومن الملاحظ ان هذه السمات التجديدية لحركة الاحياء الجديدة تبعد بها كثيراً عن النظرة السلفية الجامدة القديمة ، وهي بهذا تعد ثمرة تطور فكري طويل الأمد منذ سيادة الجمود في الفكر الاسلامي باغلاق باب الاجتهاد ومروراً بالاتجاهات المختلفة حول مفهوم التجديد الحق في الاسلام»[١٨] .

٤ ـ **خاصية الانتشار بين الطبقات** : ونعني بهذه الخاصية ان الحركة الاسلامية في السبعينات اتسعت لكونها لم تنحصر في طبقة واحدة ، بل اتسمت بالانتشار بين الطبقات المختلفة ، وان كان البعض يرى ان أغلبية الأعضاء المنتمين إليها يتحدرون من شرائح الطبقة الوسطى وخاصة الطبقة المتوسطة الدنيا ، أي صغار الملاكين في الريف والحضر وصغار التجار والموظفين الحكوميين[١٩] . غير أن البعض يختلف مع هذه الرؤية ، «ويرى أنها غير صائبة لكونها تقصر التحليل على مجتمع اسلامي بعينه (المجتمع المصري) ثم تسحب هذا التحليل على باقي المجتمعات الاسلامية الأخرى .

ويؤكد خاصية الانتشار الطبقي تلك نماذج اسلامية أخرى مثل ايران التي شهدت أحداث الثورة الاسلامية ـ باعتبارها أعلى درجات الاحياء الاسلامي ـ وتلاحم طبقات المجتمع الايراني على تمايزها واختلافها خلف ايديولوجية دينية جامعة ، الأمر الذي دفع بعض علماء الاجتماع والتاريخ الماركسيين إلى الحيرة ازاء التوصيف الأمثل لهذا النموذج غير الطبقي ، والذي أخذ من الاسلام أداة للاحتجاج والثورة فاستقروا على أن ما حدث في ايران «يمثل نموذجاً ثورياً فريداً في عدائه للغرب وفي طبيعة ايديولوجيته التي التفت من حولها أغلب طبقات المجتمع»[٢٠] .

---

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) سعد الدين ابراهيم ، مصر تراجع نفسها ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٣ ، ص٢٦ .

(٢٠) سيد أحمد ، الحركات الاسلامية في مصر وايران ص٤٤ ـ ٤٥ نقلاً عن يونداريفسكي ، الغرب ضد العالم الاسلامي منذ الحملات الصليبية حتى أيامنا ، ترجمة الياس شاهين ، موسكو ، دار التقدم ، ١٩٨٥ ، ص٣٦ ـ ٣٤٩ .

## أسباب وعوامل نمو الأصولية

في دراسة سريعة للاحياء الاسلامي يمكن أن نتعرف على العوامل التي اسهمت في صنعه ، وفيما يلي خلاصة لبعض هذه العوامل :

### ١ ـ الاحياء الاسلامي كرد فعل على الغرب والتغرب

يرجع عدد كبير من الباحثين في أسباب انتشار الاحياء الاسلامي وتعاظم دوره السياسي في السبعينات داخل العالم الاسلامي ، إلى طبيعة التحدي الرئيسي الذي واجهه على امتداد مائتي عام مضت ، وتحديداً منذ الزحف الفرنسي على إحدى الدول الاسلامية (مصر ابان الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨) وبدء الارساليات التبشيرية ، والاستشراق الذي لازم الاستعمار الغربي لأغلب بلدان العالم الاسلامي والعربي إلى الحد الذي قام فيه الاستعمار الغربي باعادة خلق البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية لعالم الاسلام[٢١] . ولقد تحتم على الحركة الاسلامية ان تواجه هذا التحدي بان تستنفر قواها العقلية والسياسية ، وبالتراكم التاريخي لعملية الاستنفار تلك وبالمواقف المتتالية من الاستعمار الأوروبي ـ الغربي اجمالاً ، تشكلت حركة الاحياء بخصائصها وملامحها التي وجدت عليها في السبعينات .

ويؤكد عدد من المفكرين الإسلاميين أن الاستعمار الغربي نفسه خلال القرنين الماضيين كان أحد أسباب حركة الاحياء الاسلامي المعاصرة التي شهدت تعاظم الاداء السياسي خلال السبعينات ، ذلك لأن هذا الاستعمار جاء حاملاً معه أهم دوافع الاستفزاز للأمة الاسلامية ، وهو دافع التغريب الفكري بكل مستوياته وأشكاله . وكان هذا التغريب العامل الرئيسي في استنفار مشاعر الجماهير المسلمة وقيادتها[٢٢] . والناظر إلى جوهر مقولة التغريب الفكري يكتشف عوامل الاستفزاز تلك تاريخياً[٢٣] .

---

(٢١) المصدر ذاته ، نقلاً عن ادوارد سعيد ، الاستشراق ، ص١٣٧ ـ ١٤٥ .

(٢٢) منير شفيق : الاسلام وتحديات الانحطاط المعاصر ، لندن دار طه . منير شفيق ، الاسلام والمعركة الحضارية ، تونس ، الشركة الساحلية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص١٦٤ ـ ١٧٠ .

(٢٣) مروان البحيري ، الفكر الاستعماري والاحياء الاسلامي عام ١٩٠٠ ، المستقبل العربي ، العدد ٤٠ ، حزيران ١٩٨٣ ، ص١ ـ ١٥ .

يقـول الـدكتـور مـصطفـى الفيـلاني : «والحق ان الحـركـات الاسـلاميـة المعبرة عن الصحوة الدينية قد نشأت وسط أزمة حضـارية استفحلـت مظاهرها في عـمـوم الأقطـار العـربـيـة ، وقـد توالــت على المجتـمـع العـربـي الاسـلامـي منظـومة متداخلة من التغيرات الداخلية والخارجية تمثلت أبـرز مظاهرها في الغاء نظام الخـلافة ، وفي فـقـدان العـديد من الأقطار العـربـية استـقـلالهـا في الحكم ، وتوهين السلطـة الوطـنيـة ووقـوعـهـا في أوحـال التـبعيــة والاستكـانة للـحكـم الأجنبي»[٢٤] . ويذهب كاتب آخر إلى حد القول انه «لم تكن الصحوة الاسلامية في داخل الوطن المحتل رد فعل مناهض للاحتلال بقدر ما كانت اكتشافاً للفعل والخيار الأوحد والحقيقي إزاء تحدي التغريب المتأصل في كيان سياسي واجتماعي وثقافي واقـتـصادي يحـاول فـرض نفسه دومـاً من خـلال أداة عـسكرية متطورة وقادرة»[٢٥] .

من هنا ، فـان بعض المحققين والبـاحثين يتفقـون على ان انتشار التـوجهـات الاسلامية في البلدان الاسلامية في السبعينات أتت كـرد فعل على السياسـات العلمانية ، ومن ثم أخذت تواجهها على مسلكين :

أ ـ بروز المسلمـين الأصـوليين في بعض البـلاد كـرد فـعل عـلى الاغـراق في التوجهـات الغـربية حيث كـانوا يهـدفون ان يكون الاسـلام وسيلة للـحيـاة على المستـوى الداخلــي والخارجــي باقـامـة نظام اسـلامي اقـتـصــادي واجـتـمـاعي وسياسي وتوجـيـه الشؤون الدولية وتشكيل سياسـات خـارجية طبقـاً للتـوجه الاسلامي .

ب ـ رفض الاسـلام للنفـوذ الأجنبي ، وذلك بتـأكيد أهـمـية العنصـر الديني في نشأة الأمة الاسلامية[٢٦] .

---

(٢٤) الفيلاني ، المصدر السابق ، ص٣٤٢ .

(٢٥) علي نور الدين ، الحركة الاسلامية في فلسطين ، التحديات والمهام ، الطليعة الاسلامية ، العدد ٥ ، السنة الأولى ، لندن ، ١٩٨٣ ، ص٥٣ .

(٢٦) للاطلاع أكثر يراجع :
Metin Heper and Raphead Israeli, Islam and politics in the Modern Middle East, (London croom HM limited, 1984).

والواقع ان الأصولية ولدت في العالم الثالث وبكل أشكالها ، من زعم الغرب منذ النهضة فرض نموذجه الانمائي والثقافي . والأصولية الغربية هي العلة الأولى ، ثم ولدت كل الأصوليات الأخرى رداً على أصولية الغرب[27] .

يقول حسن الترابي في مقابلة أجرتها معه مجلة «وول ستريت جورنال» عام ١٩٨٤ : «إن الانبعاث الأصولي رد على خديعة المؤسسات التي تركها الاستعمار ، وهي مفسدة وعاجزة عن تعزيز التطور الاقتصادي[28]» .

### ٢ ـ دور الانحلال الأخلاقي الغربي

المصدر الثاني للأصولية هو انحلال الغرب أخلاقياً ؛ الغرب الذي يقدم بكل أسف حجة حقيقية لحذف اجمالي لكل ما لا يعود إلى الماضي والذي يسمح بتعارض «المرمى» الروحي للحركة مع تفكك الغرب . ففي مجتمعاتنا ومنذ النهضة ، أي منذ الولادة المتزامنة للرأسمالية والاستعمار ، كان ضمور البعد المتعالي في الانسان يميل إلى حصر الانسان وجعله ذا بعد واحد : منتج ومستهلك فقط ، تحركه المصلحة وحدها .

ويعتقد روجيه غارودي ان هذا الأمر هو «نموذج» فلتان بلا قانون ولا ايمان

---

(٢٧) كذلك يعتقد روجيه غارودي انه حتى حرب الخليج وهجوم أميركا على العراق ناشئان من الاستمرار في الأصولية الغربية اللاواعية ويقول : «إن هذه الأصولية الغربية اللاواعية والمميتة التي تستخدم ، منذ ٥ قرون ، كمبرر ايديولوجي لكل تجاوزات الاستعمار ، إنما تلعب مرة أخرى دورها اللعين في آخر المغامرات الاستعمارية في التاريخ : مغامرة الأميركيين في الخليج . فهذه المغامرة تُصوّر كأنها دفاع عن شعب ذي سيادة وضحية غزو ؛ دفاع باسم احترام مقدس للقانون الدولي ، غير أنّ مقارنة بسيطة تُظهر للعيان نفاق هذا «الدفاع عن القانون الدولي» وقرارات هيئة الأمم المتحدة حسبما يكون الانتهاك من صنيع قوة عظمى أو من صنيع ربيباتها ، أو حسبما يكون من صنيع بلد من بلدان العالم الثالث ، فعندئذ تكون ردّة الفعل معكوسة تماماً» .

أنظر روجيه غارودي ، الأصوليات المعاصرة ، ط١ ، باريس ، دار عام ألفين ، ١٩٩٢ ، ص٢٠ .

(٢٨) الأسبوع ، العربي ، العدد ١٦٧٨ ، بيروت ، كانون الأول ، ١٩٩١ .

يفرضه الغرب على العالم في صور شتى : عالم حر ، ليبرالية ، ديمقراطية ، حداثة . . . إلخ[٢٩] .

### ٣ ـ الاحياء نتيجة لازمات المجتمع الاسلامي

يرى أصحاب هذا التفسير أن الاحياء الاسلامي يعد نتيجة لمجموعة أزمات وكرد فعل إزاء واقع اجتماعي وسياسي وعسكري معقد . ففي رأي أحد المتخصصين في عملية التحليل البنائي للاحياء الاسلامي ، ان صحوة المسلمين والإسلام في السبعينات وما اتفق على تسميته بالاحياء الاسلامي ، تعود أسبابه إلى ثلاث أزمات : أزمة الشرعية وافتقاد الفاعلية ، أزمة العدالة الاجتماعية ، أزمة الهزائم العسكرية[٣٠] . وهي الرؤية عينها التي ركزت عليها المؤتمرات الغربية التي حاولت تفسير الاحياء الاسلامي على أنه مجرد رد فعل على أزمات متعددة[٣١] .

ويشهد الواقع التاريخي ان الحركة الاسلامية أصيبت بخيبة أمل بالغة المرارة عندما رأت الأنظمة تبني نظام الدولة وتسن التشريعات والقوانين على أساس التفريق بين أمور العقيدة التي «هي من خصائص الضمير الفردي» وبين شؤون المجتمع في عامة مصالحه فتقيم مجتمعاً مدنياً على نمط المجتمع الغربي المستمد من تعاليم المسيح القاضية بالتمييز بين «ما هو لله وما هو لقيصر»[٣٢] .

---

(٢٩) يقول غارودي في هذا المضمار في ص٦٣ من كتابه الأصوليات المعاصرة :
«يتجسد هذا الانحلال المعنوي والخلقي في ارتفاع متصاعد للجرمية : سنة ١٩٨٩ يموت شخص في نيويورك اغتيالاً كل ٥ ساعات ، وتنتهك حرمة امرأة كل ٣ ساعات ويعتدى على شخص كل ٣ دقائق . وهذا يعني سنوياً بالنسبة إلى هذه المدينة وحدها ارتكاب ٧١٢٤١٩ جريمة . والشرطة لا تحصي سوى الجرائم التي قدمت شكاوى بها ـ منها ١٩٠٥ جرائم اغتيال ، ٣٢٥٤ جريمة انتهاك ، ٩٣٣٧٧ عملية سطو في الشارع . وهناك ١٤ مليوناً من المدمنين على المخدرات من مجموع سكان الولايات المتحدة . زد على ذلك ان (أسلوب الحياة) هذا ينعكس في الافلام الأميركية المبثوثة يومياً على كل أقنية العالم (الحر) . . . هوذا (نموذج) فلتان ، بلا قانون ولا ايمان يفرضه الغرب على العالم في صور شتى : عالم حر ، ليبرالية ، ديمقراطية ، حداثة ، إلخ . . .» .

(٣٠) سيد أحمد ، المصدر السابق ، ص٢٤ نقلاً عن R.H. Dcuejanes, op, pp 31 - 50 .

(٣١) محاضرة حسن حنفي تحت عنوان «الدين والحركات الدينية في حوض البحر المتوسط» التي ألقاها في امستردام عام ١٩٧٩ ، مجلة (قضايا عربية) الشهرية ، العدد ١٣ ، السنة السابعة ، آذار ١٩٨٠ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٣١ .

(٣٢) الغيلاني ، المصدر السابق ، ص٣٤٤ .

وكان تزايد التفاوت الطبقي، السياسي والثقافي، والاختلافات المذهبية سبباً لظهور الحالات المخالفة للأمور المذكورة. «أن هتلر والنازية، وهما التعبير الأقوى عن الأصولية، لم يولدا فقط من مراهنة انسان على الاذلال والبؤس المفروضين على الشعب الألماني بموجب معاهدة فرساي، مثلما تولد اليوم في العالم الثالث الثورات والأصوليات من الاذلال والبؤس اللذين تفرضهما «السياسات التكييفية» التي ينتهجها صندوق النقد الدولي والمصرف الدولي، بل ولدا أيضاً من غضب ملايين الألمان العاطلين عن العمل، المحشورين في طريق مسدود. لم يصل هتلر إلى السلطة بانقلاب، بل وصل إليها بالانتخابات «الديمقراطية» حيث نال الأكثرية، فقد اجتذب إليه أصوات ملايين العمال الذين كان يعدهم بنهاية البطالة والعبودية. وعملياً، حل على طريقته مسألة البطالة، إذ حوّل العاطلين إلى عمال في مصانع التسليح، ثم حولهم إلى جنود، ثم إلى جثث»[٣٣].

### ٤ ـ هزيمة العرب الكبرى في حرب ١٩٦٧

كانت محصلة حرب ١٩٦٧ احتلال أراضي ثلاث دول عربية (مصر ـ الأردن ـ سوريا) في وقت واحد، واحتلال القدس. وقدرت المساحة التي احتلتها اسرائيل من مصر ٦١,٠٠٠ كلم٢ وهي مساحة سيناء، وقتل فيها ١١,٥٠٠ شخص وخسر الطيران المصري ٩٥٪ من قوته وتم تدمير ٨٥٪ من معدات القوات البرية. ووفقاً لرواية محمود رياض، فانه في يوم ١١/ ٦/ ١٩٦٧ لم يكن في القاهرة سوى سبع دبابات[٣٤].

ويرى بعض الباحثين انه قبيل رحيل عبد الناصر وتولي السادات لمقاليد السلطة، امتزجت عدة عوامل في وقت قياسي جداً للتعجيل بعملية التحول نحو تكوين مركب سياسي/ اقتصادي/ اجتماعي جديد ساهم في صعود التيار الاسلامي الأصولي الذي قاد من بعد حركة الاحياء الاسلامي في السبعينات[٣٥].

---

(٣٣) غارودي، الأصوليات، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٣٤) محمود رياض (السكرتير العام الأسبق لجامعة الدول العربية)، البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ص٨١.

(٣٥) حميد اسامة، موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية (١٨٠٩ ـ ١٩٨٦)، القاهرة، ١٩٨٦ (البحث لم ينشر)، ص١١٤، نذكر ان حميد هو أحد مفكري حركة الجهاد: أجري معه لقاء حول شؤون الحركة الاسلامية ورؤية الجهاد لهذه الحركة.

ومن تلك العوامل انفصال سوريا عام ١٩٦١ وفشل الوحدة مع العراق وسوريا عام ١٩٦٣ وانحسار مد القومية العربية والتحول عن الاشتراكية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وهي الهزيمة التي كانت سبباً من أسباب تآكل الولاء للدولة . وانتشار التنظيمات السرية وزعزعة مفهوم الاستقرار السياسي ، ثم وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ وإقرار صيغة الانفتاح الدولي عام ١٩٧٢ ، ودولياً تأثيرات المال النفطي . وهي العوامل التي دفعت بالسادات إلى محاولة خلق بدائل اقتصادية وسياسية أخرى مثل محاولة تصفية القوى الناصرية والشيوعية داخل الجامعات والنقابات المهنية من خلال تقوية الاتجاه الاسلامي أو محاولة ايجاد بدائل للحرب بالسلام(٣٦) .

ومن النتائج الهامة لحرب ١٩٦٧ الانتعاش الملحوظ في الاتجاه الاسلامي والمسيحي بما تضمنه هذا من تآكل حجم الولاء للدولة وبدء تكون تنظيمات سرية عديدة وبروز عوامل عدم الاستقرار السياسي التي ارتبطت في أغلبها بانتعاش التوجه الاسلامي . ومن المظاهر التي تؤكد هذا الانتعاش العام لدى الشعب المصري عقب ١٩٦٧ انه عند وضع دستور ١٩٧١ وصل إلى مجلس الشعب ومشيخة الأزهر العديد من البرقيات تطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية في البلاد ، فأصدر ـ وقتها ـ شيخ الأزهر بياناً بهذا الشأن (حزيران/ يونيو ١٩٧١) ، وأصدر مجلس الشعب ، ثم المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي قراراً بأن تكون الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع ، ولكن لجنة صياغة الدستور جعلتها مصدراً رئيسياً ، مفترضة وجود مصادر أخرى للتشريع(٣٧) .

### ٥ ـ السياسة الإسرائيلية الاستعمارية

أما العامل الآخر الذي أسهم في نمو الأصولية ، خصوصاً في لبنان لدى اللبنانيين الأكثر تطرفاً على رغم جهود منظمة التحرير الفلسطينية التوازنية وكذلك

---

(٣٦) فاروق يوسف أحمد ، الثورة والتغيير السياسي في مصر ، ص٨٥ ، يذكر بعض الكتاب الغربيين ان السادات سعى خلال الأعوام (٧٣ ـ ١٩٧٧) للافادة من الشرعية التي اكتسبها في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ لتحقيق توجه شديد في سياسة مصر الداخلية والخارجية ، وهو التوجه ، الذي دفعه إلى سياسة الصلح مع اسرائيل ، على سبيل المثال يراجع :

Roymond A. Himnebnsch, Egyptain politic Sunde Sudat, (New York: Combridge university Press, 1985), pp 33 - 45.

(٣٧) سيد أحمد ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

في العالم العربي بأسره ، فقد تمثل في سياسة القادة الاسرائيليين الذين واصلوا قومية الغرب واستعماريته . لقد سبق لثيودور هرتزل ، مؤسس الصهيونية السياسية أن أظهر للأوروبيين «الفوائد التي يمثلها وجود دولة يهودية بالنسبة إلى مصالح أوروبا كلها» ، وكان قد أعلن في كتابه «الدولة اليهودية» ، الصفحة٣٢ : «ستكون هذه الدولة حصناً متقدماً للحضارة الغربية في مواجهة البربرية الشرقية» .

«إن الحاخامين الأصوليين ، إذ يرفعون التوراة كعنوان للملكية موقعة من الله ، إنما يقدمون الذريعة الايديولوجية لطرد وقتل المواطنين الأصليين الفلسطينيين من مسلمين أو مسيحيين . ويمكن لارهاب الدولة هذا ان ينتشر ويستشري بلا عقاب ، نظراً إلى دعم الولايات المتحدة السياسي والمالي غير المشروط منذ ٤٢ عاماً لتواطؤ الغرب برمّته مع اسرائيل»[٣٨] .

وهكذا تنامى لدى الشعوب الاسلامية قلق من مؤامرة عالمية ومن حصار يحظى بالضوء الأخضر الذي تعطيه الولايات المتحدة لكل تعديات دولة اسرائيل (من ضم الأراضي عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ إلى غزو لبنان حتى القمع الوحشي للانتفاضة في الأراضي المحتلة) ، كما يحظى بتناغم منظم في وسائل الاعلام للروحية الصليبية المعادية للاسلام . ومن الواضح ان جواً كهذا في كل البلدان ذات الأغلبية الاسلامية هو جو مؤات لكل الدهماويات وكل المذهبيات الأصولية التي تقدم نفسها كقوى مدافعة عن التراث الاسلامي دفاعاً خالصاً ومتشدداً في مواجهة الغرب وطليعة حملاته الصليبية الجديدة : الأصولية الاسرائيلية .

وإذا كان انتصار الثورة الاسلامية الايرانية في السنوات الأخيرة قد أسهم بفاعلية في اطلاق شرارة الانتفاضة ، فان المواقف الاستسلامية لمنظمة التحرير الفلسطينية واعترافها باسرائيل كان لها دور أقوى في تفعيل الأصولية الاسلامية في فلسطين .

**٦ ـ فشل الأيديولوجيات السائدة**

شهد العالم الإسلامي أفول وفشل الأطروحات والايديولوجيات السائدة في العالم العربي كالماركسية والقومية وغيرها بعد سنوات من مقاومة الاستعمار وتقديم الأطروحات الثورية .

(٣٨) غارودي ، المصدر السابق ، ص٧٠ ـ ٧٢ .

وقد نتفق جزئياً مع هذا التفسير الذي يرجع الاحياء الاسلامي إلى الانتكاسات السياسية والعسكرية التي أصابت المجتمعات الاسلامية الناهضة في نهاية الستينات فأصابت معها كل الأطروحات البديلة التي قدمت ، مثل «القومية العربية» كما صاغها عبد الناصر ، والخيارات الوطنية كما صاغتها اندونيسيا وباكستان وبعض البلدان الاسلامية الافريقية التي تحررت مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين ، وهذا كله قد انتج ضرورة تجاوز هذه الأطروحات الضيقة إلى أطروحة أكثر شمولاً فكان الاسلام هو هذه الأطروحة(٣٩) .

ولكن قطار التقدم والوحدة والتحرر والاشتراكية والعلمانية إلى آخر ما أطلقته الحقبة القومية من شعارات ومقولات منذ مطالع الخمسينات ، وقبل ان يطلق صفارة الاقلاع الفعلي ، راح يعود القهقرى أو توقف في مكانه بغياب عبد الناصر مطالع السبعينات ، مشرعاً الأفق السياسي العربي برمته أمام حقبة جديدة ظهرت معالمها وتباشيرها حرباً أهلية مديدة في لبنان ومعاهدة سلام منفرد بين مصر السادات واسرائيل ، دون أن يتوقع أحد أو يحدس ان انهيار النظام الامبراطوري الايراني نهاية السبعينات أمام زحف آيات الله من رجال الدين وجماهير الصحوة الاسلامية سوف ينجلي عن حقبة أخرى جديدة في الأفق العربي الملبد بالغيوم على الرغم من ان الرقم الايراني كان حاضراً في استراتيجية عبد الناصر وغيره من القادة والحكام العرب . . .

وكلما ابتعدنا زمناً عن الحالة القومية وشعاراتها والاندفاع الجماهيري الذي أطلقته نقترب من الصحوة الاسلامية الأصولية . والأكثر جلاء ربما هو ان غياب عبد الناصر وانحسار ظله كان العنصر الأبرز والمباشر في تشريع الباب على مصراعيه لتسرب ما يمكن تسميته بالحقبة الخمينية أو الحالة الاسلامية الأصولية وهبوب رياحها على المزاج أو (الضمير) الجماهيري الشعبي العربي المسلم الذي بفقده لصوت عبد الناصر ولشعاراته القومية والوحدوية والتحررية ، فقد خط دفاعه الأول والأخير ، ووجد نفسه عارياً وعاجزاً ويتيماً بلا هدف ومصير ولحمة وشعارات شاملة وجامعة سوى (اسلام فطري) راح يتشبث به كتشبث غريق

(٣٩) سيد أحمد ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

بحبال الهواء أو السراب عَلّه يستل منه خلاصاً من يتمه وعجزه واحباطات الحقبة القومية ، وكأن عبد الناصر في وجه من وجوهه المتعددة ، كان صمام أمان المزاج أو الضمير الجماهيري العربي المسلم من المحيط إلى الخليج ، وحصانته الوحيدة من اسلاس قياده لدعوات واهواء تهب عليه وتعصف به رياحها من الجهات كلها[٤٠] .

عامل آخر ساهم بقوة في دعم رصيد الاسلاميين دون ان يكون من رأس مالهم ، ونقصد به أزمة الايديولوجيات المنافسة . لقد تعرضت كل من الاشتراكية (في قراءتها الماركسية بالخصوص) والقومية (ناصرية كانت أو بعثية) لهزات معرفية وسياسية أفقدتها الكثير من بريقها . ان حصيلة خمسين سنة من التجارب الاشتراكية في مواقع مختلفة من العالم بينت قصور النظرية الماركسية . ورغم التعديلات التي أجريت من هذه الجهة أو تلك وبعض المكاسب المهمة التي تحققت ، فان ذلك لم يخفف من قبح النظم السياسية التي شكلتها الأحزاب الماركسية في أوروبا وآسيا وافريقيا ، بما في ذلك الوطن العربي والاسلامي .

وفي السياق نفسه تعيش الحركات والأنظمة القومية حالة انحسار شديدة بعد سلسلة من الاخطاء والانتكاسات والصراعات جعلت حتى الحزب الواحد غير قادر على اصلاح ذات البين بين جناحيه . وإذا كان تباين المصالح واختلاف التحالفات وحصول تداخل بين القومي والطائفي هي أسباباً مباشرة لهذا الانحسار ، فإن ضعف البناء الايديولوجي للطرح القومي وتورطه في نزعة تماثلية مع القومية في ثوبها الأوروبي عاملان آخران ساهما أيضاً في ارباك الصفوف القومية التي لم تفقد تماماً حضورها السياسي .

وهكذا ومع هزيمة ١٩٦٧ عاد شعار الاسلاميين المتعلق بفشل الحلول المستوردة ليحتوي أزمة الآخرين ويستقطب اهتمام الشباب بالخصوص باعتبارهم الجهة المرشحة أكثر من غيرها ـ بحكم الشعور بالحرمان ـ للاشتغال بقضايا الايديولوجيا والتغيير[٤١] .

---

(٤٠) الشراع ، العدد ٢٨٨ ، بيروت ، ٢٨ أيلول ١٩٨٧ .

(٤١) صلاح الدين جورشي ، المصدر السابق ، ص١٢٥ .

### ٧ ـ يأس الشباب من الأجهزة الدينية الرسمية

«إن كثيراً من تصرفاتنا هي التي دفعت الشباب دفعاً إلى ما نسميه التطرف ، فنحن ندعي الاسلام ولا نعمل به ، ونقرأ القرآن ولا نطبق أحكامه ، ونزعم حب الرسول (ص) ولا نتبع سنته ، ونسجل في دساتيرنا ان دين الدولة هو الاسلام ولكننا لا نعطيه حقه في الحكم والتشريع والتوجيه . وإذا كان الشباب «قد ضاق ذرعاً بنفاقنا وتناقضاتنا» فليست هذه التناقضات أمراً جديداً خاصاً بجيلنا ، فما الذي دعا الشباب اليوم بالذات إلى ان يسلك مسالك التطرف والغلو؟ وإذا كان من الصواب كذلك ان الشباب قد فقد الثقة بالمؤسسات الدينية وبمن فيها وعلى رأسها من رجال فليس ذلك بالأمر المستحدث في تقويم الزيتونة والأزهر والقرويين ، بل هي حالة موروثة من أجيال . فما الذي جعل الكأس تطفح بالعنف على أيدي هذا الجيل وفي نطاق حركة الصحوة الاسلامية المعاصرة؟ . . .» .

«وقد يجوز القول بان التطرف السلوكي من جانب بعض الحركات الاسلامية إنما هو نتيجة لتضافر عوامل عدة وتزامنها ، فهي من جانب أول الاجابة الوجودية على الضغط الناتج من اشتداد عناصر الأزمة الجاثمة على صدر المجتمع العربي وعلى أكثر فئاته حساسية ، وهي فئة الشباب ، وهي من جانب ثان صرخة ـ كما يسميها حسن حنفي ـ معبرة عن خيبة الأمل العميقة وعن اليأس في حصول التغيير المنشود بالوسائل السلمية والطرق «المهذبة» على أيدي السلطة الحاكمة التي تنكرت للدين بعد أن اتخذته مطية للفوز بالحكم ، وعلى أيدي النخب من علماء الدين ورجالاته الذين قعد بهم الخوف عن نصرة الدين وشدّتهم إلى الأنظمة القائمة مصالحهم الشخصية فجعلت منهم سدنة الحكم وخدامه المطيعين»[٤٢] .

«ان القيم الاسلامية وعمليات التحديث نرجعها إلى عنف وبشاعة التعذيب الجسدي الذي تعرض له الشباب المسلم بعد عام ١٩٦٥ عام الصدام الثاني بين عبد الناصر والاخوان المسلمين . عندما خرجوا في السبعينات كانت آثار التعذيب

(٤٢) الفيلاني ، المصدر السابق ، ص٣٤٩ ، نقلاً عن د . يوسف القرضاوي .

واضحة على تعبيراتهم الفكرية وعلى مجمل مقولاتهم ، وظهرت للمرة الأولى مقولات تكفير الحاكم والنظام السياسي القائم وأحياناً المجتمع كله»[٤٣] .

**٨ ـ قمع الأنظمة السياسية الحاكمة للمسلمين والحركات الاسلامية**

إن المصدر الأساسي لكل أصولية اليوم ، هو قمع واضطهاد هوية متخذها وثقافتها أو دينها . هناك مثال قريب هو مثال ولادة الأصولية في الجزائر . ففي خلال أكثر من قرن لم يكتف الاستعمار الفرنسي بانكار القيم الخاصة بهذا الشعب ، فنجد عمليات التحطيم الشديد المرافقة للغزو ، ولم يتوقف عن السعي لـ (دمج) و(استيعاب) أولئك الذين كانوا يقبلون بفقدان هويتهم . لقد شجع وساند ، بطريقة مبرمجة ، العناصر الأكثر تأخراً وأصولية ، المرابطين الذين كان انصياعهم للسلطة يفسح في المجال أمام متعاونين متملقين . وفي الوقت نفسه كان الاستعمار الفرنسي يغرب العلماء التقدميين ، كالشيخ ابن باديس أو الشيخ الابراهيمي ، الذين كانوا يعلمون اسلاماً منفتحاً ، ملبياً لحاجات عصرنا ، وجعل منهم المعلمين الفكريين لمعظم قادة حركة التحرير وحب الاستقلال[٤٤] .

**٩ ـ انتصار الشيوعية**

انتصار الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وتصديرها الأفكار الماركسية إلى البلدان الاسلامية ودخولها هذه البلدان الواحد تلو الآخر ، ومحاربتها للدين تحت عنوان «الدين أفيون الشعوب» .

**١٠ ـ انتصار الثورة الاسلامية**

ان الناظر إلى خريطة العالم المعاصر يلحظ صعوداً لما اصطلح على تسميته بالاحياء أو البعث أو الصحوة الاسلامية ، وتمثل ذلك في الاهتمام النظري والسياسي بحركات الاحياء الاسلامي وباطروحاتها السياسية على امتداد العالم الاسلامي ، وتزايد هذا الاهتمام مع نجاح الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ باعتبارها أعلى درجات الصحوة الاسلامية[٤٥] .

ان ثورة ايران هي النموذج الأرفع لكل أشكال الرفض هذه ، فهي أول ثورة

---

(٤٣) سيد أحمد ، المصدر السابق ، ص٧٨ .
(٤٤) غارودي ، الأصوليات . . . المصدر السابق ، ص٥٩ .
(٤٥) سيد أحمد ، المصدر السابق .

موجهة ضد حضارة ، حضارة الغرب ، وليس ضد نظام سياسي أو ضد بنية اقتصادية واجتماعية . فعلى امتداد السنوات ، كان هذا البلد الحضاري الكبير قد شهد عبر نظام الشاه ، إفكار واحباط أعظم ما كان يمتلك في ماضيه الاسلامي . كان الشاه يفرض على ايران استبداداً ارهابياً بمساعدة جيش تدعمه الولايات المتحدة عسكرياً وتقنياً ومالياً ، بواسطة السافاك (Sawak) المدربة على أسوأ أساليب التعذيب ، وكان يبقي الأغلبية الساحقة من السكان الفلاحين والعمال وصغار التجار في وضع خليق بما كان قبل ألف سنة ، وذلك لحساب عدد من التجار من أصحاب المليارات المرتبطين بشركات الغرب الكبرى . وكان مشهد برسبوليس الكبير هو الرمز لهذا التضليل الذي كان الغربيون ، وخصوصاً الأميركيون ، يسمونه (المعجزة الايرانية) لأن سياسة الشاه تلك كانت قد جعلت منه الشرطي الحارس لآبار نفط الخليج ، فقد ظهر الشاه في ذلك المشهد الاحتفالي كأنه متمم للسلالة الأخمينية فيما يتعدى العصور الحضارية الاسلامية . وشارك كل قادة البلدان المهتمين والمستفيدين من بقاء الوصاية على شعوب الخليج ، من تلك المهزلة المخزية حيث جرى دفن المليارات في صحراء كان يهيمن عليها الجوع(٤٦) .

ويرى أصحاب الاتجاه السابق الماركسيون ان الأثر المباشر للثورة الاسلامية الايرانية اتخذ أكثر من بعد واحد ، ويمكن تحديد هذه الابعاد فيما يلي :

أ ـ أثبتت الثورة الاسلامية الايرانية بشكل عملي ، انه يمكن في ظل أوضاع العصر الراهن قيام حكومة وفقاً لأسس اسلامية سياسية ، وأجابت عن كيفية استخدام المقولات الاسلامية في بناء حركة سياسية قادرة على النضال الفعّال ضد السلطة القائمة ، وقادرة على اسقاط هذه السلطة في النهاية واقامة نظام حكم وفقاً للتصورات الاسلامية .

ب ـ قدمت الثورة الايرانية للحركات الاسلامية رصيداً هائلاً لطريقة صوغ أدوات صنع حركة جماهيرية اسلامية ، وكيف يمكن استخدام هذه الأدوات للحشد الجماهيري في اتجاه اسقاط النظام القائم .

وبعبارة واحدة ، كما تقول الرؤية السابقة ، قدمت الثورة الايرانية للحركات الاسلامية مثالاً عملياً للثورة الاسلامية النموذجية في العصر الراهن ، ومثلت

---

(٤٦) غارودي ، المصدر السابق ، ص٦٥ .

الثورة الايرانية على هذا النحو دفعة هائلة لحركة الاحياء الاسلامي في البلاد الاسلامية(٤٧) .

وما من شك في ان تطور الحركة الاسلامية اكتسى أهمية خاصة في بعض التجارب الكبرى مثل التجربة الايرانية أو التجربة السودانية . . . قامت على أيدي رجال الصحوة ثورة شعبية في ايران اكتسحت نظاماً شامخاً كان يحتفل منذ بضع سنين مضت بمرور ألفي سنة على قيامه ، وكان يمثل أكبر قوة عسكرية وأضمن حليف في منطقة الشرق الأوسط لأكبر دولة في العالم ، ويزهو على سائر دول الاقليم بما حققه من آيات التحديث ومن أسباب التنظيم والقوة . فإذا بهذا الصرح الراسخ ينهار في أيام قلائل على أيدي رجل شيخ وراءه فئة قليلة مؤمنة ، جرت إلى الثورة شعباً بأسره ، هبّ كالطوفان يدك الصرح ويقوض البنيان ، وينشئ دولة الاسلام .

يقول الغنوشي : «ان ثورة ايران هي ثورة الاسلام ضد الاستبداد والقهر والتبعية والاستغلال ، انها ثورة المستضعفين ضد الطغيان السياسي والاستغلال الاقتصادي» . ومهما يكن من أمر هذه الحركة العارمة في ما انقلبت إليه أحوالها بسبب حربها مع العراق وفيما آلت إليه من مشروعها الحضاري الأول ، فانها تبقى بالنظرة الموضوعية التاريخية حركة انقلاب شعبية ، قامت باسم الاسلام ونجحت في تغيير أوضاع سياسية واجتماعية عريقة . وهي قد غدت في تطور الحركة الاسلامية عامل استقطاب سياسي تقيم الدليل على أن نجاح مشروع الدولة الاسلامية أمر ممكن ، وان اختصار الطريق إليه بالثورة الشعبية قابل للتحقيق ، وان العنف الديني قادر على أن ينتصر على العنف الرسمي . كذلك اكتسبت الثورة الايرانية في خط التطور الذي شهدته الصحوة طابعاً تأسيسياً تجدد كوسيلة عنف شرعية متميزة .

---

(٤٧) رفعت ، سيد أحمد ، مصدر سابق ، ص٣٦ ـ ٣٧ . نقلاً عن : السيد زهرة : حركة الاحياء الاسلامي مؤشراتها ودوافعها ، السياسة الدولية ، العدد ٦١ يوليو ١٩٨٠ ، ص٨٥ ـ ٨٨ ، للاطلاع الأكثر ، يراجع راشد الغنوشي «دراسة حول الثورة» الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، المصدر السابق .

لا شك في ان نجاح التجربة الايرانية في تغيير نظام الحكم هو اليوم من أكبر حوافز الحركات الاسلامية السنية على أحكام التنظيم وعلى التحري في ضبط الخطة العملية مع ما يمتاز به الشيعة على أهل السنة من واجب انقياد الجماعة كلها لسلطة الامام انقياداً كلياً ، ومن طابع السرية المحيطة بالامام وبوقت قيام الدولة الامامية المنتظرة[٤٨] .

(٤٨) المصدر نفسه ، للاطلاع أكثر يراجع : الغنوشي ، المصدر السابق ، وكذلك الفيلاني ، ص٥٤ ـ ٣٥ . المصدر السابق .

## الفصل الثاني

# تاريخ الاخوان المسلمين

# العالم الإسلامي قبل انهيار السلطنة العثمانية وبعده

كانت هزيمة الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بمثابة الضربة الأخيرة التي توجه إلى هذه السلطنة ، ولكن قبل ذلك بفترة طويلة كانت عوامل عدة تهدد مصير هذه الدولة وتوحي بانهيارها الكامل ، وقد تجلت هذه العوامل في الأوضاع الناتجة من ثلاثين عاماً من حكم السلطان عبد الحميد والضغوط الغربية والتصرفات الداخلية .

ولقد اقترنت هذه العوامل بتعاظم القوة العسكرية والاقتصادية للغرب الذي ساعد على انفصال المحافظات الحدودية للامبراطورية في القرن الثامن عشر .

فقد وسعت روسيا والنمسا أراضيهما إلى داخل أراضي الامبراطورية ، وخضعت مصر عام ١٧٩٨ في هذا الوقت للاحتلال الفرنسي ، وأقامت بريطانيا امبراطوريتها على انقاض الامبراطورية المغولية في الهند ، واستولت هولندا على شرقي الهند ، واحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ ، وهكذا تلاشت دار الإسلام ، وتحول الجهاد إلى دفاع ، وأصبحت علاقة الشرق الاسلامي بالغرب المسيحي «علاقة الاسياد بالرعية»(١) .

---

(١) للتوسع راجع : أمين حسن عمر ، الصراع بين العلمانية والاسلام في الشرق الأوسط ، ط١ ، السودان ، بيت المعرفة ، ١٩٩٠ ، ص١٠ ـ ١٩ .

ومن جانب آخر ، فإن الأفكار الغربية دخلت مرحلتها العملية في زمن السلطان محمود الثاني وتطورت بشكل ملحوظ نتيجة لهذا التحول في مجرى الأحداث . ومما أسهم في تفعيل مسار التغرب ظهور نظام الحكم الجديد وحلول القوانين الأوروبية بديلاً من القوانين الدينية ، وظهور الأفكار الليبرالية فيما يتصل بالحرية والحقوق المدنية عام ١٨٧٦ ، ودعوتها لتغيير الامبراطورية إلى نظام ليبرالي ، وتخرج جيل جديد متغرب من المدارس الرسمية في القسطنطينية . وأخذ الشباب المسلم ينأى بنفسه عن التعليم الديني التقليدي ويقبل على الأفكار الغربية المستوردة والمعادية للدين ، وأصبح التغرب عن الذات طاغياً على جمهور المثقفين .

«وفي أواخر القرن التاسع عشر رفع السلطان عبد الحميد شعار : يا مسلمي العالم . . . اتحدوا ، وبدأ سياسة جديدة تتناسب مع هذا الشعار في محاولة متأخرة لحفظ السلطنة العثمانية المتداعية من السقوط ، بعد أن ألح عليه ضغط الدول الأوروبية إما بالصدام المباشر أو بتغذية النزعات الاستقلالية في بلاد البلقان وفي شمال افريقيا وفي العالم العربي»(٢) .

«وحارب عبد الحميد بلا هوادة (التفكير الخطير) للشباب العثماني وعمل بجد خلال ثلاثين عاماً من الحكم المطلق للتأكد من جديد من ان الليبرالية السياسية والاصلاح الاجتماعي لن يعطيا الفرصة ليظهرا من جديد في تركيا ، ومع ذلك فإنه لم يستطع اغلاق جميع المنافذ المؤدية إلى الغرب لأنه كان يحاول ان يستبقي التعليم العسكري التركي على نسق التعليم الغربي ضمن أضيق حدود مهنية ممكنة ، ولكن حينما اتيح لهؤلاء الشباب الأتراك تعلم اللغات الأوروبية ، ثبت انه يستحيل عزلهم عن الأفكار السياسية الغربية»(٣) .

«وأعلن السلطان عبد الحميد تحت ضغط قوى داخلية وخارجية دستور عام ١٩٠٨ الذي ساوى فيه بين الشعوب العثمانية باختلاف أجناسها وأديانها . ولكن اقرار الدستور لم يوقف الصراع ، فقفز الجيش بالاتحاديين إلى السلطة في العام

(٢) أحمد محمد شاموق ، كيف يفكر الاخوان المسلمون ، الخرطوم ، مكتبة دار الفكر ، ص١٠ .
(٣) حسن عمر ، المصدر السابق ، ص٢٩ .

التالي (نيسان/ ابريل ١٩٠٩) وعزل السلطان عبد الحميد ونصب مكانه السلطان محمد رشاد .

وبينما كانت الدولة العثمانية ـ كانوا يسمونها رجل أوروبا المريض ـ مشغولة بصراعاتها الداخلية ، كان جيرانها الأوروبيون ينتظرون موت هذا الرجل المريض لتوزيع ارثه بينهم . ولكن الادهى ان بعضهم كان يريد أن يرث الرجل المريض وهو حي .

وهكذا . . . وفي عام ١٩١١ أغارت ايطاليا على طرابلس في شمال افريقيا وانتزعتها وانتزعت جزيرة كريت . وفي العام التالي تحالفت دويلات البلقان بقيادة اليونان وشنت الحرب على تركيا حتى انتزعت كل الجزء الأوروبي منها .

وبعد عامين اندلعت الحرب العالمية الأولى ، ودارت في خاتمتها الدائرة على معسكر الوسط ، وكانت تركيا إحدى دوله ، فاستولى الحلفاء على كل أوصال تركيا بعد ان قطعوها تقطيعاً . ثم زحفت قوات بريطانيا وفرنسا وايطاليا على الاستانة عاصمة الخلافة نفسها وفرضت على الخليفة شروطاً للاستسلام ، وكانت تلك معاهدة «سيفر» المشهورة . وعند هذا الموقف قفز مصطفى كمال أتاتورك إلى الواجهة[٤] .

وكان هذا الضابط التركي الشاب في انطلاقه بقواته العسكرية من مقر قيادته (أنقرة)وهجومه على القوات اليونانية المحتلة وطردها من تركيا عام ١٩٢٢ مثاراً للاعجاب .

استطاع كمال أتاتورك بهجماته الشجاعة ان يشد العالم الاسلامي إلى انتصاراته وان يمسح عار هزيمة الخلافة العثمانية وانهيار الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، ومن ثم اعتبرت انتصاراته مكسباً للاسلام[٥] .

---

(٤) شاموق : المصدر السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

(٥) حظي هذا الانتصار باهتمام كبير في أوساط المسلمين في مصر ، حتى ان أحمد شوقي شبّه مصطفى كمال بخالد بن الوليد ، ويقول في شأنه :

الله أكبر كم بالفتح من عجب    يا خالد الترك جدّد خالد العرب

ثم يشبهه بصلاح الدين الأيوبي الذي وقف في وجه الصليبيين ، ويقول :

حذوت حذو الصلاحيين في زمن    فيه قتال بلا شرع وبلا أدب

ويشبه نصر أتاتورك بنصر المسلمين في معركة بدر ، ويصف نصرة الملائكة لجيش المسلمين بقيادة أتاتورك فيقول :

يوم كبدر فخيل الله راقصة    على الصعيد وخيل الله في الحسب

راجع شاموق ، المصدر السابق ، ص ١٢ ـ ١٥ .

ولم يمض وقت طويل حتى أفصح هذا الضابط بأعماله عن ماهيته ، فبعد عزله السلطان وحيد الدين عن الخلافة ، فصل الدين عن الدولة وعين الأمير عبد الحميد خليفة للمسلمين دون أدنى سلطة ، فأثار بذلك مشاعر المسلمين ، وانتهى به الأمر في عام ١٩٢٤ إلى إلغاء الخلافة إلى الأبد وإخراج الخليفة واتباعه من تركيا ، وأعلن تركيا بلداً علمانياً ، وألغى التعليم الديني في المدارس الرسمية وعطل المحاكم الشرعية ، ومنع الأتراك من حج بيت الله الحرام ، وفرض نزع الحجاب بقسوة ، ومنع تعدد الزوجات ، واستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، ومنع الحديث والآذان بالعربية .

«عرّف توينبي (TOYNBEE) الثورة الكمالية بالنهضة الأوروبية ، فالاصلاح وثورة العلمانيين العقلية والثورة الفرنسية والثورة الصناعية وتصفية المؤسسات الدينية وفرض القومية كايديولوجية جديدة وبديلة وإحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في اللغة التركية تدخلت جميعها في حقبة واحدة وبصورة زائفة . وهذه الثورة نفذت بواسطة حكومة ديكتاتورية وبصورة استبدادية عنيفة ، ومع ذلك فان أهم ما في البرنامج هما العلمانية والقومية ولهما تطبيقات في أجزاء أخرى في العالم الاسلامي ، وخصوصاً في العالم العربي بغير الشرق الأوسط»[٦] .

من هنا كانت «الكمالية» أشد وأخطر ظاهرة تحل كالصاعقة على العالم الاسلامي وتهزه هزاً عنيفاً . فقسم عظيم من المسلمين الذين كانوا يتابعون بدقة هذه التطورات رأوا أنفسهم للمرة الأولى دون خليفة منذ ١٣٤٠ عاماً . وباعتبار ان الأتراك لا يشكلون أكثر من ٢٪ من المسلمين ، فقد دان ستة عشر عالماً من علماء الأزهر الغاء الخلافة ، ورأوا عدم جواز بقاء العالم الاسلامي دون خليفة ؛ لأن «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٧] . ورأى عدد من الملوك الفرصة سانحة لعرض أنفسهم خلفاء للمسلمين ، من هنا بايع عدد من المسلمين ملك الحجاز الحسين بن علي خليفة للمسلمين ، وبايع بعض علماء الأزهر الملك فاروق ، وفي مثل هذه الأجواء لم يكن ملك أفغانستان أمان الله خان معرضاً عن الخلافة .

وأعلن الخليفة المعزول اللاجئ إلى بريطانيا في بيان له انه : «لم يهرب وإنما

(٦) حسن عمر ، المصدر السابق ، ص ١٢ ـ ١٥ .

(٧) صحيح مسلم .

يذهب إلى مكان يستطيع فيه الدفاع عن مقدسات الاسلام وكشف سوء مقصد الكماليين»[٨] . وأخذت هذه البلدان تخضع لسيطرة الاستعمار الأوروبي المباشرة الواحد تلو الآخر ، فالغيت الخلافة نهائياً من الساحة السياسية للمسلمين .

وتأثر مثقفو هذه البلدان بشدة بالأطروحات الغربية الحديثة ، وكانت تلك منطلقاً لظهور التحولات المهمة التالية . وكانت مصر بخصائصها المميزة عرضة لهذه التحولات أكثر من غيرها . وفيما يلي نعرض لثلاث قضايا مهمة كانت حصيلة انهيار الخلافة .

### ١ ـ القومية

أسهمت عوامل عدة في ظهور القومية عند العرب . ويجدر القول ان العرب كانوا دائماً مستائين من الحكم التركي . فقد ظهر الاسلام وترعرع في أرض العرب ، وكان لسان الاسلام عربياً ، وبقيت الحضارة الاسلامية تحت حماية العرب ، واعتاد العرب على الاستقلال في حياتهم ، ومن ثم كانت العلاقة بين العرب والأتراك متأزمة دائماً ، وتتجلى أحياناً بالحركات الاستقلالية ، ومن نماذج هذه الحركات : ثورة المهدي في السودان والحركة السنوسية في ليبيا والحركة الوهابية في نجد وثورة اليمن وثورة المهدي في الصومال والثورة الكبرى في سوريا . وقد برزت هذه القضية مرة أخرى بمجرد انهيار الخلافة[٩] .

ومن جانب آخر ، فان الوجود المسيحي في الشرق الاسلامي ، وخصوصاً في بلاد الشام ، ووجود الاقباط في مصر ، وهما حلقة الوصل بالثقافة الغربية ، كانا يحتضنان القومية العربية بشدة . وقد «كان المفكرون المسيحيون القوميون من أمثال نجيب عازوري أول من تقدم بطلب صريح بفصل الأراضي العربية عن الامبراطورية العثمانية . وكان مسيحيو الشام أول من رفع شعار القومية العربية لتكون بديلاً من الرابطة الاسلامية ، والوحدة العربية بديلاً من التجمع الاسلامي»[١٠] .

---

(٨) شاموق ، المصدر السابق ، ص١٥ .

(٩) للتوسع يراجع المصدر نفسه ، ص ١٦ ، ١٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص١٧ ، وكذلك راجع الحصري ، ساطع ، محاضرات في نشوء الفكر ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٦٥ ـ ١٧٥ .

وتعدت الحركة القومية العربية في ذلك الوقت حدود المسيحيين لتشمل عدداً من علماء المسلمين ، أمثال الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ، واسهمت في توتر العلاقة بالاتراك . ولا ينبغي ان نغفل دور الانجليز الأساسي في إذكاء جذوة القومية ، فقد بذل هؤلاء قصارى جهودهم لفصل العرب عن العثمانيين ولتفعيل الحركة القومية وإضفاء الصبغة الثورية عليها ، ولكنهم ما لبثوا ان حلوا بديلاً من العثمانيين وفرضوا سيطرتهم على العرب بأسوأ السبل . وعلى أية حال فقد كان في انهيار الخلافة فرصة لرفع شعار القومية العربية ولايجاد البديل في البلدان الاسلامية .

**٢ ـ العلمانية وفصل الدين عن السياسة**

انطلق عدد من المثقفين العرب في عدائهم للاسلام ومهاجمتهم اياه من منطلق القومية وتحت غطاء الشعور الوطني . فقد كان ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث يؤكد ضرورة فصل الدين عن السياسة ؛ ومثل هذه الأفكار كان يحملها بعض مفكري العرب ومنهم ساطع الحصري . وانتقلت العدوى الكمالية إلى مصر في صورة حركة فكرية مثّلها (الشيخ علي عبد الرازق) في كتابه «الاسلام وأصول الحكم»[١١] في عام ١٩٢٥ والدكتور طه حسين في كتابيه

---

(١١) الاسلام وأصول الحكم (١٩٢٥) يعتبر أهم كتاب وضع في هذا المجال ، وتأتي أهميته لكون مؤلفه قاضي شرع ومن المتخرجين في الأزهر وليس عدواً للدين . وقد خلق هذا الكتاب ضجة لا مثيل لها ، وأخرجت هيئة علماء مصر المؤلف من سلك العلماء وعزلته عن القضاء .
يبحث علي عبد الرازق في كتابه ثلاثة مواضيع أساسية تشتمل على الفصول التالية :
الفصل الأول : يرى أن الخلافة نظام تعارف عليه المسلمون وليس في أصول الشرع ما يلزم به . وهو لا يجد ما يدل عليه في الكتاب والسنة . ويقول : «ان ما جرى من أحاديث النبي (ص) من ذكر الإمام والخلافة والبيعة لا يدل على شيء أكثر مما يدل عليه المسيح فيما ذكر بعض الأحكام عن حكومة قيصر» ص ١٩ .
الفصل الثاني : ينفي وجود الحكومة أو أي دعوة لاقامتها في قوانين الاسلام . وهو يعتقد ان «النبي(ص) لم يعين في البلاد التي فتحها الله له ولاة لإدارة شؤونها وتدبير أموالها وضبط الأمر فيها ، وما يروى من ذلك فكله عبارة عن توليته أميراً على الجيش ، أو عاملاً على المال ، أو إماماً للصلاة أو معلماً للقرآن أو داعياً إلى كلمة الإسلام ، ولم يكن شيء من ذلك مضطرداً وإنما كان يحصل لوقت محدود» ص ٤٠ .
الفصل الثالث : يتناول فيه تاريخ الخلافة والحكومة والخلفاء الراشدين .
يرى أن رئاسة النبي (ص) كانت رئاسة دينية جاءت عن طريق الرسالة الخاصة به فهي زعامة =

«مستقبل الثقافة في مصر» و«في الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦[(١٢)]، وسلامة موسى في «حرية الفكر» ، وقاسم أمين في «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»[(١٣)] . وكان

= خاصة كلف بها من قبل الله فوق عمله كمبلغ للرسالة ، وبموته (ص) انتهت الرسالة وانتهت الزعامة ، ومثلما انه كان من المستحيل أن يخلفه أحد في الرسالة ، كذلك كان من المستحيل أن يخلفه أحد في الزعامة ، فزعامته (دينية دنيوية) ولا يستطيع بشر أن يخلفه في هذه الزعامة (الدينية - الدنيوية) ثم قامت الخلافة من بعده ، وهي بالتالي زعامة (لا دينية) و«بيعة أبي بكر رضي الله عنه بيعة سياسية ملكية ، عليها كل طابع الدولة المحدثة ما قامت إلا كما تقوم الحكومات على أساس القوة والسيف» ص ٩٢ .

ويتحدث المؤلف عن الردة في زمن أبي بكر بأسلوب لم يسبقه إليه إلا المستشرقون ، فيقول : «ان الردة كانت حركة سياسية لا شأن لها بالدين ، وان مقاتلة أولئك الذين سموا مرتدين إنما كانت في سبيل الدفاع عن وحدة العرب والذود عن دولتهم» .

ويضيف قائلاً : «كم نشعر بظلمة التاريخ وظلمه كلما حاولنا أن نبحث جيداً فيما رواه لنا التاريخ من هؤلاء الذين خرجوا على أبي بكر فلقبوا بالمرتدين وعن حروبهم تلك التي سموها حروب الردة» ص ٩٢ .

(١٢) يمثل كتاب «في الشعر الجاهلي» ذروة التيار العلماني الذي يدعو لتقويض الدين وبث الشك حول مكانته ومنزلته وقيمته .

وضع المؤلف كتابه هذا كمنهج دراسي لطلاب السنة الأولى في كلية الآداب في جامعة القاهرة . وأثار صدوره ضجة كبيرة في الصحف وفي أوساط المؤلفين ، وثارت ثائرة الأزهر فأرسل برقيات الاحتجاج إلى الحكومة ، وصدرت خمسة كتب للرد على المؤلف هي : «المعركة بين القديم والجديد» ، «تحت راية القرآن» لمصطفى الرافعي ، «نقد كتاب الشعر الجاهلي» لمحمد فريد وجدي ، «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» لمحمد خضر حسين ، «النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي» لمحمد أحمد الغمراوي ، (نقض مطاعن في القرآن الكريم) لمحمد أحمد عرفة . وتعود أهمية الكتاب لشخصية مؤلفه وأهمية موضوعه وحداثته ولأن أحداً من المسلمين لم يخض من قبل بكل هذه الجرأة في هذا الموضوع .

(١٣) يقول قاسم أمين في كتابه وفي رده على الذين انتقدوا كتابه الأول وأغلبهم من علماء الدين : «ان التمدن الإسلامي بدأ وانتهى قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلم ، وغالباً ما كان يقصد بالعلم ذلك العلم الذي أنتجت عنه الحضارة الغربية الحديثة وقال ان نظام الحكم الإسلامي كان أقل في المستوى من النظام اليوناني والروماني وان نظام الأسرة كان في غاية الانحلال» .

يدور كتابه حول رسم صورة جديدة للمرأة الشرقية ، ويحاول نقض الصورة السابقة للمرأة التي تقوم على أساس اتباع التقاليد ، ويطالب المصريين وبالتالي المسلمين بالتخلص من الفكر السائد بينهم والذي يقوم على التمسك بالتقاليد القديمة واعتبارها الأفضل ورفض تغييرها .

ثم يتناول في بحثه النقاط الأساسية التي تثار في الحديث عن النساء ، ويناقش آراء المعارضين للسفور ولمشاركة المرأة الرجل في الأعمال ، ويرد القول بأن المرأة ناقصة الدين والعقل ، ويستشهد بقول كاتب ايطالي مضمونه : «ان العفة تكتسب بمنح الحرية للمرأة ، ويرى من الخطأ بمكان الفكر القائل بعدم ضرورة تعلم المرأة لتعيل نفسها أو ابناءها» .

وعلى العموم فان آراء الكاتب كانت معتدلة إلا أنها غير مألوفة في عام ١٩٠٠ .

راجع : شاموق ، المصدر السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

هؤلاء في طليعة الداعين لنقل الفكر العلماني إلى مصر . «وكانت الدعوة إلى مصر «الفرعونية» تكتسح مصر كأعنف تعبير عن هذا التيه العقائدي والخلط الفكري ، وهي دعوة إلى احياء مجد الآباء الفرعوني وتراثهم الوثني . هذا التيه ـ في الواقع ـ كان تصادماً بلا جذور وتعبيراً عن رغبات لم يسعها الواقع ، واقع الشعب وواقع العصر ، فانفجرت الرغبات في تطلعات أكبر من قدرات أصحابها وأكبر من أن تسعها تكوينات البيئة العربية/ الاسلامية آنذاك . كانت أشبه بالتهويمات والتحليق في عالم المثال ، ولذلك كانت هذه التيارات سريعة الظهور والتبلور ، كما كانت سريعة السيطرة على الحركة السياسية والثقافية ، ثم في النهاية كانت سريعة الذوبان والاختفاء»(١٤) .

### ٣ ـ التغرب

كان الغزو الاستعماري الأوروبي للشرق الإسلامي قد أسهم في ظهور تيار كبير ليس في مصر فحسب ، وإنما في العالم الاسلامي بأسره ، خصوصاً في تركيا ، ويدعو إلى تبني الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة التي أثبتت تفوقها وهزمت حضارة الشرق . وكان هذا الرأي يرى «ان السبيل إلى الوصول إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية لا يكون إلا بأخذنا بأسباب هذه الحضارة الغربية ، في مادتها وروحها ، اما ان نتخذ من الحضارة الغربية عدواً لدوداً فانا نسير إلى الاضمحلال لا محالة»(١٥) .

وفي هذه الأثناء وضع طه حسين كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ضمّنه آراءه فيما يجب ان تتجه إليه الثقافة في مصر . وكان لهذا الكتاب دوي كبير في جميع الأوساط ، لا سيما الأوساط التعليمية والتربوية التي كان يعنيها موضوع الكتاب قبل غيرها . ولأن الكتاب كان دعوة صريحة إلى الاتجاه إلى الغرب بطريقة مزعجة ، فقد جاء في الكتاب ما يكاد يكون نصه «وأرى أن نأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها ، حلوها ومرها» .

---

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٦ ، ٧ .

(١٥) سامي الجرديني ، المقالة الأخيرة في سلسلة مقالات (الانعكاس العالمي للثورة على النظام العالمي العام) نقلاً عن الدكتور محمد حسين «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» ، مجلة الهلال ، آذار/ مايس ١٩٢٥ ، ص١٨٧ .

وقد تناولت الكتاب اقلام النقاد بين قادح ومادح ، وسالت انهار الصحف بهذا النقد ، فالمادحون هم الذين تربوا في أحضان الحضارة الغربية ، فهم بها مفتونون ، والقادحون كان أكثرهم من أعداء طه حسين التقليديين .

ولا أعتقد ان كتاباً في العصر الحديث في مصر استأثر باهتمام المشتغلين بالتربية والتعليم مثلما استأثر به هذا الكتاب .

## الظروف السياسية والاجتماعية لظهور الاخوان المسلمين

كانت حركة الاخوان حصيلة واحدة من أعقد مراحل التاريخ المعاصر . وقد اعتبر حسن البنا أن هذا التعقيد ناشئ عن العوامل التالية : «التنازع على السلطة بين حزب الوفد والاحزاب الدستورية والليبرالية ، والسجالات السياسية الحادة التي أعقبت اندلاع الثورة على الانجليز عام ١٩١٩ ، والتوجه نحو الالحاد الذي تفشى بعد الحرب العالمية الأولى بين المثقفين ، والمعارضة المتزايدة للسنة والتعصب والرجعية الدينية . وكان نجاح كمال أتاتورك في تركيا تشجيعاً لهؤلاء المعارضين ، وللتيارات الفكرية (غير الاسلامية) التي ظهرت في جامعة مصر الحديثة . ويبدو ان اتباع هذه التيارات كانوا يعتقدون ان الجامعة لا يمكن ان تكون جامعة واقعية ما لم تعاد الدين وتحارب التقاليد الناشئة منه . وكان الهدف الوحيد من وراء ترويج الجمعيات والاحزاب والكتب والصحف والمجلات لهذه الأفكار في المحافل الأدبية والاجتماعية والتحررية اللادينية ، هو اضعاف الدين في المجتمع المصري[١٦] .

وقد دفع التفكير في وضع حل لهذه الأوضاع المأساوية البنا إلى تأسيس جمعية الاخوان المسلمين . وقد أظهرت جمعية الاخوان منذ أيامها الأولى رغبتها في «البرنامج والعمل» من خلال تشكيلها التنظيمات الخاصة باسم الوحدات الجوّالة ووحدات الكتائب ، وكان هدف هذه الوحدات هو بلورة اخلاص ووفاء أعضاء الجمعية وتهيئة السبل الكفيلة بتحقيق آمالهم[١٧] .

---

(١٦) حميد عنايت ، (شش كفتار درباره دين وجامعة) نقلاً عن ريتشارد ميشيل ، الاخوان المسلمون ترجمة بهمن آقايي ، ص١٤ .

(١٧) المصدر نفسه .

وازعج الطقس المملوء بالاحباط والتشبيط البنا بشدة حتى كتب في مذكراته يقول : «لا أحد سوى الله يعلم كم من الليالي سهرنا في دراسة الدولة وعلاقاتها بجوانب الحياة المختلفة وآثار اعتلالها والمعالجات المختلفة ، لقد فكرنا في علاج لمحاصرة المرض ، وبانفعال يصل حد الدموع تحدثنا باسهاب عن قراراتنا ، ولكم صمدنا حينما قارنّا أنفسنا بنقاشاتنا المتقدة الانفعال بالاشخاص السلبيين اللامبالين الذين كانوا يتسكعون في المقاهي»[١٨] . ويضيف البنا قائلاً : «وقد رأيت في القاهرة التحلل والآثار المختلفة لعدم مراعاة الاخلاق الاسلامية في الأماكن العامة . انها أمور لا تحدث مطلقاً في الأرياف السليمة ، وكانت بالنسبة لي جديدة تماماً . كانت الصحف مليئة بما يخالف الدين ، وكان الناس غافلين عن تعاليم الدين . ورأيت تيار الفساد والانحراف مستحكماً ومتفشياً ، فادركت ان المساجد وحدها غير قادرة على توعية الناس بتعاليم الاسلام»[١٩] .

وفي مثل هذه الظروف الصعبة والتطورات السياسية الخطيرة تهيأت السبل المناسبة لظهور حركات تدافع عن كيان الاسلام وتقف في وجه الهجوم الاستعماري الواسع . ومن جانب آخر كان المصريون قد فقدوا ثقتهم بنظريات الغرب في التجديد والليبرالية ، واستحكمت في نفوسهم موجة من المواجهة تجسدت في ظهور جماعات «الشبان المسلمون» و«مصر الفتاة» ، ثم «الاخوان المسلمين» ، مطالبين بذلك بايجاد تغييرات كبيرة في مصر . وبلغ الأمر بأكثر المصريين ليبرالية من أمثال طه حسين ومحمد حسنين هيكل وتوفيق الحكيم ، ان يعربوا عن امتعاضهم من المؤسسات الليبرالية ومن الأساليب الناشئة من الليبرالية[٢٠] .

ويذكر أحد المحققين أن عدد المؤسسات والجمعيات المذكورة بلغ ١٢٥

---

(١٨) يراجع النص الأصلي لمذكرات الدعوة لحسن البنا ، ص٥٨ .
(١٩) المصدر نفسه .
(٢٠) آقايي ، المصدر السابق ، ص٢١ .

مؤسسة وجمعية[٢١] ، وأهمها جمعية «الشبان المسلمين» التي أسست عام ١٩٢٧ والتي ضمت وفقاً لوصف حسن البنا نفسه «الغيورين على الدين من ذوي العلم والوجاهة والمنزلة ليمارسوا من خلالها الوعظ والارشاد»[٢٢] .

«ولقد لعبت هذه الجمعية رغم توجهها الارشادي دوراً سياسياً من قبيل مساندة الحركة الوطنية في مقاومة الاحتلال البريطاني . بعد ذلك انشأت «جماعة الاخوان المسلمين» عام ١٩٢٨»[٢٣] ، وقبلهم انشئت جمعية للأمهات المسلمات عام ١٩٢٦ . وهكذا وفي مثل هذه الظروف ظهرت جماعة الاخوان المسلمين في الاسماعيلية[٢٤] على يد حسن البنا الذي كان يشتغل في مجال التعليم آنذاك . وينبغي ان نعتبر ان ولادة هذه الجماعة جاءت حصيلة الأوضاع السياسية والاجتماعية في تاريخ مصر المعاصر ، بعد رواج فكرة فصل الدين عن السياسة (Secularisme) في الأوساط المثقفة ، والمشاعر الوطنية المطالبة باصلاح أوضاع البلاد في فترة الاختناق التي أعقبت ثورة ١٩٠٩ ضد الانجليز .

ولقد استطاعت جماعة الاخوان المسلمين وفي فترة قياسية ، أن تتجاوز في حركتها الجمعيات الاسلامية المنافسة لها وان تتملك ريادة العمل السياسي الاسلامي مع منتصف الثلاثينات ، واستطاعت ان تجذب إليها أعضاء في الجمعيات الاسلامية الأخرى ، مثل «جمعية الشريعة وأنصار السنة المحمدية» والشبان المسلمين والحزب الوطني[٢٥] . ويرى برنارد لويس ان هنالك شيئاً وحيداً وفريداً في حركة الاخوان المسلمين هو أنها وطنية المنشأ ، وهذا كان له فيما يبدو فائدة جليلة بالنسبة إلى الحركة . فهي لم تجلب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة

---

(٢١) محمد حافظ دياب ، سيد قطب ، الخطاب والايديولوجيا ، ص٧٢ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص٩٦ .

(٢٣) حسن البنا (رسالة المؤتمر الخامس) ، من رسائل حسن البنا .

(٢٤) تقع هذه المدينة في الشمال الغربي من القاهرة ، وفيها نفوذ واسع للانجليز بسبب وجود قناة السويس . ومن ثم برز فيها أثر الحضارة الغربية والاستعمار أكثر من غيرها ، ولذلك أولاها حسن البنا اهتماماً خاصاً .

(٢٥) رفعت سيد أحمد ، الحركات الاسلامية في مصر وايران ، ص٩٦ .

مـن الغـرب ، بل هي بالأحـرى رد فـعل ضـد التـغـرب وتبني السـيـاسـات الغربية[٢٦] .

«تخرّج البنّا من دار العلوم ، وهو معـهـد ديني شديد التأثر بـالاصـلاحية الاسلامية لمحمد عبده ومدرسته الفكرية ، ان حركة حسن البنا يمكن ان توصف بأنها أكثر الأجنحة الجهادية في الحركة الاسلامية الحديثة التي أسسها الأفغاني وقويت على يد محمد عبده ورشيد رضا ، وقد وصفها فضل الرحمن بأنها دعوة اسلامية لاعادة اكتشاف المعنى الحقيقي للرسالة الاسلامية بدون انحرافات وتشويهات تاريخية»[٢٧] .

وإذا كان حسن البنا قد جمع من الناحية الفكرية بين تجديدية محمد عبده واصلاحية رشيد رضا وحركية سيد جمال الدين الأسد آبادي ، فانه وضع مبدأه الخاص كرؤية اسلامية شاملة[٢٨] .

ويمكن اعتبار البنّا قبل غيره تجسيداً للمطالبة بالتجدد السني في القرن العشرين ، وكان مظهراً لا مثيل له في المعنوية الصوفية وعالماً اسلامياً وقائداً نشطاً يمتلك قدرة خارقة على كسب تأييد الناس وتحويل المشاكل العقيدية إلى عمل اجتماعي . وإذا كانت حركة البنا يعوزها العمق الفلسفي للسلفية ، فانها أفلحت بكسب التأييد الشعبي بما لم تستطع أن تكسبه أي حركة اسلامية أخرى طوال القرون الأخيرة . ولم يكن البنا يرغب في الأمور الايديولوجية المعقدة والغامضة ، لالتزامه تجديد المجتمع الاسلامي بعيداً عن التقسيمات الداخلية والفرقية أو التقسيمات الأخرى ، وكان يعتمد على القرآن وكتب الحديث الستة المعتبرة في ترويجه لفكر الاخوان ، ويتأسى بأفكار وأعمال الأصوليين الأوائل من أمثال ابن حنبل وابن حزم والنووي وغيرهم من مفكري وشخصيات التاريخ الاسلامي[٢٩] .

---

(٢٦) حسن عمر ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص٣٤ .

(٢٨) آقايي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(٢٩) Five tracts & Hassan Albanna (1906 - 1946), trans and annoted by Charles Wendell (Berkeley, University & California Press, 1978), pp 100, 150.

وكذلك الاسلام في الثورة ، ص١٢٣ .

## تعريف حركة الاخوان

حركة الاخوان المسلمين حركة اصلاح تتخذ من التربية والسياسة أداة لاحداث التغيير الحضاري الذي يؤدي إلى حمل المجتمع الاسلامي لمكان الريادة الحضارية في اطار ومحتوى اسلاميين ، أي أنها حركة تغيير اجتماعي تسعى لكسب السلطة السياسية لاحداث التحول من خلال الاصلاح والثورة ، أي الجهاد[٣٠] .

ويبين البنا منهج حركته فيقول : «الاخوان دعوة سلفية ؛ لأنهم يدعون إلى العودة بالاسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ؛ وطريقة سنية ، لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنّة المطهرة في كل شيء ؛ وحقيقة صوفية ، لأنهم يعلمون ان أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والاعراض عن الخلق والحب في الله والارتباط على الخير ؛ وهيئة سياسية ، لأنهم يطالبون باصلاح الحكم من الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم في الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد ؛ جماعة رياضية ، لأنهم يعنون بأجسامهم ويعلمون أن المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف ؛ ورابطة علمية وثقافية ، لأن الاسلام يجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؛ وشركة اقتصادية ، لأن الاسلام يعنى بتدبير المال والحسبة ؛ وفكرة اجتماعية ، لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الاسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها» .

كان هذا تعريف شمولي بجماعة الاخوان على لسان قائدها ومؤسسها حسن البنا[٣١] .

## تاريخ الاخوان المسلمين

يختلف المحللون والباحثون في دراستهم لتاريخ الاخوان المسلمين في تحديد المراحل المختلفة لهذا التاريخ الحافل بالتطورات ، فمنهم من يحدد المراحل على

(٣٠) محمد أحمد حسن مكي ، حركة الاخوان المسلمين في السودان ، جامعة الخرطوم .
(٣١) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ط٢ ، القاهرة ، دار الشهاب .

أساس زمن ظهور قادة الجماعة ، ومنهم من يتخذ التطورات الداخلية للجماعة منطلقاً لدراسته ، لكننا نقترح المراحل الأربع التالية من خلال ملاحظتنا للظروف السياسية ـ الاجتماعية والثقافة السائدة في مصر والعوامل التي كانت سبباً في ظهور هذه الجماعة :

**المرحلة الأولى** : تبدأ المرحلة الأولى بتاريخ تأسيس الجماعة على يد حسن البنا عام ١٩٢٨(٣٢) . وكانت الجماعة في هذه المرحلة ذات أبعاد ثقافية ودينية واصلاحية ، ولم يكن لديها مواقف ثابتة وواضحة تجاه النظام الملكي والأحزاب السياسية والاستعمار الانجليزي .

**المرحلة الثانية** : تبدأ بزمن اغتيال حسن البنا عام ١٩٤٩ وتستمر حتى نهاية حكم عبد الناصر عام ١٩٧٠ ، وتشمل بحوثاً حول وضع الحركة بعد اغتيال قائدها ، وحول الضباط الأحرار وانتصار ثورة ١٩٥٢ ومحاولة اغتيال عبد الناصر وحل الجماعة وقمع قادتها وأنصارها والتحول الفكري العظيم في الحركة وانتشار أفكار سيد قطب .

**المرحلة الثالثة** : تشمل اطلاق سراح الاخوان عام ١٩٧٠ وتنتهي باغتيال السادات مروراً بالتعاون معه ، وحرب تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ وتوقيع معاهدة كامب ديفيد وبداية نشاط الجماعات الاسلامية وتصاعدها ، واغتيال السادات وظهور الجماعات المتطرفة بأفكار جديدة ، وتحالف الاخوان مع الأحزاب العلمانية في البرلمان المصري .

**المرحلة الرابعة** : مواقف الاخوان المسلمين وتحولاتهم بعد احتلال العراق للكويت وحرب الخليج ، وإثر الأوضاع الناتجة من مفاوضات السلام في الشرق الأوسط .

## المرحلة الأولى

تبدأ هذه المرحلة بتأسيس جماعة الاخوان المسلمين على يد حسن البنا عام ١٩٢٨ وتنتهي باغتيال زعيمها ثم تولي الضباط الأحرار السلطة عام ١٩٥٢ .

---

(٣٢) يراجع رؤوف شبلي ، الشيخ حسن البنا ومدرسة الاخوان المسلمين ، القاهرة ، دار الانصار ، ١٩٧٨ .

وكان حسن البنا قد بدأ حركته الارشادية من مدينة الاسماعيلية التي كان يدرس فيها ، وكان يتنقل فيها بين جميع المساجد والتكايا والمقاهي الشعبية وأماكن تجمع الناس الأخرى ليطلعهم على الاسلام وتعاليمه وليشكل النواة الأولية لجماعته بأسلوبه الخاص بعيداً عن أي نوع من الفرقية(٣٣) ، وكان يقول لأنصاره في شأن تسمية الجماعة : «دعونا من الشكليات والرسميات ، وليكن أول اجتماعنا أساسه الفكر . نحن اخوة في خدمة الاسلام ، فنحن إذاً «الاخوان المسلمون»(٣٤) .

ومن الأعمال التي حظيت باهتمام الاخوان قبل غيرها احباط التبشير المسيحي الذي انتشر في مختلف المناطق المصرية بدعم من الاستعمار . ومن هنا كان الاخوان يوجدون فرعاً لهم وينشطون في الدعوة فيه حيثما وجدت المراكز المسيحية .

وبعد ثلاث سنوات من العمل المتواصل في الاسماعيلية قرر حسن البنا عام ١٩٣٢ الانتقال إلى القاهرة . واجمعت هيئة أمناء الاخوان في الاسماعيلية على نقل ادارتها العامة إلى العاصمة . وقد اكتسبت الحركة أبعاداً واسعة جداً في هذه المدينة . وكان التنظيم الدقيق واحداث المؤسسات الاجتماعية والادارية والاقتصادية من خصائص الجماعة في هذه المرحلة(٣٥) .

---

(٣٣) تراجع سيرة حسن البنا في الكتب التالية :
- عمر التلمساني ، الملهم الموهوب حسن البنا ، أستاذ الجيل ، القاهرة ، دار الأنصار .
- أحمد عادل كمال ، النقط فوق الحروف (الاخوان المسلمون والنظام الخاص) ، ط١ ، القاهرة ، الأزهر للاعلام العربي ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٦٩ - ٨٠ .
- شبلي ، المصدر السابق .
- شخصية البنا كما يراها الناس ، القاهرة ، دار الطليعة المصرية الحديثة .
- محمد أحمد خلف الله ، الصحوة الاسلامية في مصر .

(٣٤) البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، المصدر السابق .

(٣٥) تراجع الكتب التالية لمعرفة الوضع التنظيمي للجمعية :
- شبلي ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ٣٢٣ .
- محمود عبد الحليم ، الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ ثلاثة أجزاء ، القاهرة ، دار الدعوة للطبع ، ١٩٨٥ .
- عبد العظيم رمضان ، الاخوان المسلمون والتنظيم السري ، القاهرة .
- اسحاق موسى حسين ، الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية ، ط٢ ، بيروت ، دار بيروت للطباعة ، ١٩٥٥ .

تقول صحيفة «آخر ساعة» التي أصبحت فيما بعد الناطقة باسم حكومة حزب سعد بلهجة حاقدة بعد حل الجماعة : «ان هذه (الحركة) لم تكن حزباً وحسب ، بل هي دولة كاملة ؛ فهي تمتلك كل المؤسسات اللازمة للدولة من جيش ومدرسة ومعمل ومؤسسات تجارية ومستشفيات»(٣٦) .

وأخذت هذه الحركة تتقدم في مصر بسرعة ، فكان عدد فروعها في مصر نحو عشرة قبل ان ينتقل البنا إلى القاهرة عام ١٩٣٢ . ولم يكد يمضي عام واحد حتى امتدت الحركة فيما يزيد على خمسين بلداً . وبعد خمس سنوات أخرى ، أي في أيار/ مايو ١٩٣٨ كان الاخوان المسلمون قد أصبح لهم كما أعلن البنا : «دار في كل مكان ودعوة على كل لسان وأكثر من ثلاثمئة شعبة تعمل للفكرة»(٣٧) . «فقد قضت الحركة عشر سنوات (١٩٢٨ ـ ١٩٣٨) دون أن يكون لها تأثير في سطح الاحداث ، لم يشعر بها الملك ولم يحس بخطرها الانجليز ولم ترَ فيها الأحزاب شيئاً من خطر المنافسة على مواقعها الشعبية ، عشر سنوات من العمل الصامت في بث الدعوة ونشر المفاهيم وتجنيد الدعاة وتجميع الأنصار وربطهم بعضهم ببعض برباط العقيدة والدين . عشر سنوات لتغيير المفاهيم وازالة البناء الفكري القديم السائد في المجتمع واحلال نوع جديد من التفكير والسلوك»(٣٨) .

وكان انعقاد المؤتمر الخامس الذي تزامن مع الذكرى السنوية العاشرة لتأسيس الجماعة فرصة مناسبة لتقويم عمل الجماعة في عشر سنوات من حياتها . وفي هذا المؤتمر وصف البنا المرحلة التالية من تاريخ الاخوان بانها مرحلة العمل المتواصل في الساحة السياسية ومرحلة تحقيق نظريات الجماعة(٣٩) . وإذا كان من النادر ان تدخلت الجماعة في أمر سياسي حتى ذلك الوقت ، فانها رأت في مؤامرة بريطانيا في الحث على هجرة يهود العالم إلى فلسطين وابادة المسلمين فيها فرصة مناسبة للحضور الفاعل في الساحة السياسية المصرية ، فحشدت كل طاقتها

---

(٣٦) حميد عنايت ، (شش كفتار در باره دين وجامعة) ، ص٨٧ .
(٣٧) رمضان ، عبد العظيم ، مصر في عهد السادات ، بيروت ، ١٩٨٦ ، دار الرقي ، ط ١ ، ص٨٠ .
(٣٨) الشاموق ، المصدر السابق ، ص٧ .
(٣٩) البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ـ ٦٤ .

واعلامها وسيّرت التظاهرات واقامت مراكز الدعم في أنحاء البلاد للوقوف إلى جانب الفلسطينيين(٤٠) . وكانت هذه أهم خطوة سياسية للاخوان المسلمين على عهد حسن البنا .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بلغت نشاطات الاخوان ذروتها ، فأصبح لها مكانة خاصة في أوساط الشعب المصري المسلم ، وتحولت إلى قوة سياسية مهمة ، مما جعلها تدخل في مواجهة مع البلاط . وكان النقراشي رئيساً للوزارة آنذاك ، فبدأ حكومته التي استمرت سنة واحدة (٢٥ شباط/ فبراير ١٩٤٥ ـ ١٤ شباط/ فبراير ١٩٤٦) بالظلم والكبت والقمع ، فبدأ الاخوان مواجهتهم لحزب الوفد والانجليز ، فكانت حركتهم تختلف اختلافاً واضحاً عنها قبل عشر سنوات ، مما جعلها تشكل خطراً حقيقياً على الحكومة .

وأعلنت الحكومة حل الجماعة في محاولة منها للتصدي للحوادث المتوقعة ، وباءت بالفشل مفاوضات حسن البنا مع النقراشي . ولم تمض ثلاثة أسابيع على صدور قرار حل الجماعة حتى اغتيل النقراشي في ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٤٨ فحمّل الاخوان مسؤولية الحادثة(٤١) . وبادر حسن البنا إلى الاعراب عن أسفه لمقتل رئيس الوزراء وإلى التأكيد أن جماعة الاخوان المسلمين حلت قبل مقتل النقراشي ، ومن ثم ليس من مصلحتها ان تقدم على مثل هذا العمل بعد حلّها .

وأضحى الاخوان المسلمون بعد هذه الحادثة عرضة للمطاردة والاغتيال ، وتم اغتيال حسن البنا في ١٢ شباط / فبراير ١٩٤٩ على يد عناصر الدولة(٤٢) . فكان فقدان الحركة لزعيمها الشاب بداية لتحول مهم في مسيرتها .

---

(٤٠) سوف نتحدث بالتفصيل عن هذا الأمر ودور الاخوان في القضية الفلسطينية في الفصول القادمة .

(٤١) يذكر عبد المجيد أحمد حسن الذي اغتال النقراشي ثلاثة أسباب لعمله : تساهله بخصوص اتحاد مصر والسودان وخيانته للقضية الفلسطينية واعتداؤه على الاسلام والمسلمين باصدار قرار حل جماعة الاخوان المسلمين باعتبارها أكبر حركة اسلامية .
يراجع عادل كمال ، المصدر السابق ، ص٢٢٣ .

(٤٢) لمعرفة كيفية اغتيال حسن البنا ، أنظر المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٦ .

وإذا كانت الجماعة لا تخلو من أشخاص عرفوا بتاريخهم كصالح العشماوي الذي أصبح نائباً لحسن البنا منذ عام ١٩٤٧ واستطاع ان يتجاوز مرحلة الأزمة بنجاح ، وكذلك عبد الرحمن البنّا الذي كان يرى نفسه الأحق بخلافة أخيه ، فان انتخاب شخص من خارج الجماعة لخلافة البنا كان مثاراً لجدل واسع جعل الجماعة أمام مشاكل حقيقية وجعلها عرضة للانهيار[٤٣] .

وكان ترشيح حسن الهضيبي وانتخابه من قبل القيادة له ما يسوّغه ، والأمر الأهم في ذلك هو الحيلولة دون انشقاق الجماعة بسبب شخصيات المرشحين وكثرتهم ونفوذهم الذي يحظون به في الحركة . إلا أن الأمر الذي لم يكن يرضي القطاع الأكبر من أعضاء الجماعة ، فهو عدم عضوية الهضيبي في الجماعة وافتقاره إلى الماضي الجهادي وخدمته لخمس وعشرين سنة في الديوان العالي للدولة ، وكذلك صلته العائلية بوزير البلاط .

واعتبر الكثير من أعضاء الاخوان المسلمين انتخاب حسن الهضيبي لقيادة الجماعة محاولة لاسترضاء الملك وتخفيف حدة ضغط الجهاز القضائي على الجماعة واستعادة الطابع القانوني لها[٤٤] ، واعتبروها خطوة للمصالحة مع النظام الحاكم في سبيل استعادة موقع الجماعة في الوسط الشعبي .

يقول الكاتب المصري محمد محفوظ في كتابه القيم (الذين ظلموا) : «المرشد حسن الهضيبي ، خليفة الشهيد حسن البنا ، استبقاه النظام خارج السجن

---

(٤٣) لمعرفة ظروف انتخاب حسن الهضيبي ، انظر :
عادل كمال ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٦ .
ـ عبد الحليم : المصدر السابق .
ـ رمضان : المصدر السابق .

(٤٤) يقال ان انتخاب حسن الهضيبي جاء باقتراح وتمهيد منير الدّيله ، وهو من كبار الملاكين في مصر ، انضم إلى شورى القيادة بعد اغتيال حسن البنا . ويذهب البعض إلى الاعتقاد بارتباطه بالسلطة وبأنه عنصر مؤامرة السلطة للقضاء على الجماعة .
للتوسع راجع :
ـ محمد علي نقوي ، شكوفايي انقلاب اسلامي در مصر ، طهران ، دار النور ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٠ ـ ١٧٠ .
ـ عبد الحليم ، المصدر السابق ، ص ٤٥١ .
ـ حسيني ، المصدر السابق ، ص ١٢ ـ ١٥ .

لظروف صحية ، ولأنه فعلياً ، لا يشكل أي خطر لا بوجوده ولا بتفكيره الوظيفي وعقليته القانونية التي تجرم أي عمل خارج عن رضا الدولة والنظام ـ أي نظام ومهما كان رأيه فيه»[٤٥] .

وقد واجه مجلس أمناء جماعة الاخوان خطر الانشقاق للأسباب المذكورة ولاهمال النظام الداخلي للجماعة حين انتخب حسن الهضيبي في اللجنة المركزية لعدم عضويته ولعدم حصوله على ثلاثة أرباع الآراء .

«لقد كان الهضيبي قائداً يفتقر إلى ميزات القيادة السياسية أو إلى ما تتطلبه قيادة حزب سياسي ـ عقائدي كالاخوان المسلمين ، وكانت المرة الأولى التي ينتخب فيها محام لقيادة حزب سياسي في العالم الثالث»[٤٦] .

وإذ كان مفتقراً إلى قوة النفوذ المعنوي التي كان حسن البنا يتمتع بها ، فقد دخل بشدة في مواجهة مع الجناح السري في الجماعة لما كان يتصف به من طبع محافظ غير ثوري ولتجنبه أي مواجهة سياسية عنيفة . من هنا أعلن في رسالة موجهة إلى الأمانة العامة للجماعة ضرورة التخلي عن سياسة العنف وحل الجناح السري ، لأن خدمة دين الله لا تستدعي التستر ، ولأن الدين لا ينسجم مع الارهاب[٤٧] .

---

(٤٥) محمد محفوظ الذين ظلموا (التنظيمات الاسلامية في مصر) ، لندن ، دار رياض الريس ، ص٣٨ .

(٤٦) عبد الله فهد النفيسي ، الاخوان المسلمون في مصر ، التجربة والخطأ ، ص٢٣٦ .
وكذلك يراجع فصل (فروق القيادات) في الشاموق ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ ـ ١٣٤ . لمعرفة خصائص هاتين الشخصيتين والفرق بينهما .

(٤٧) مجلة روز اليوسف ، العدد السابع ، كانون الأول ١٩٥٣ ، ص١٢ .
(النظام الخاص) الذي يطلق عليه في عهد جمال عبد الناصر (الجناح السري) هو شيء يشبه المليشيات ، وقد أوجده حسن البنا عام ١٩٤٠ كقوة خاصة لحفظ أمن الجماعة وقادتها ، وهو يتكون من نخبة شباب الاخوان ، ثم تطور فأصبح يشبه كثيراً الجيش النظامي ، إذ اشتمل على فروع كثيرة ولكن دون أن يعرف احدها الآخر . وحين دخلت الجيوش العربية فلسطين عام ١٩٤٨ بعث الاخوان أفواجاً من هذه القوات ، وقد أظهرت شجاعة فائقة لفتت الأنظار إليها . مما دفع المسؤولين المصريين إلى التساؤل عما إذا كان الاخوان قد استعدوا في وقت قصير أو كانوا مستعدين منذ زمن طويل .
ومهما يكن الأمر فقد ازدادت حدة البحث حول الفروع العسكرية بين الاخوان أنفسهم من جهة وبينهم وبين أعدائهم من جهة أخرى ، وانتهى الأمر بهذه القوات إلى السجون بعد عودتها من فلسطين .

وفي خطوة منه لتثبيت موقعه عمد الهضيبي إلى ايجاد تغيير في الكادر القيادي للجماعة وإلى فصل بعض الأعضاء . وإضافة إلى ذلك حذر بقوله : «لا أقبل أن أكون على رأس دعوة يتسلط عليها مركز قوة في داخلها ، فإن هذه المراكز هي ديناميت ينسف الدعوة فلا يبقي منها على شيء»[٤٨] .

وحاول الهضيبي ان يمسك بزمام الجناح السري شبه العسكري في الجماعة ، إلا انه باء بالفشل إثر المقاومة الداخلية للجماعة . ويمكن أن نفهم ببساطة خطه المحافظ[٤٩] من خلال موقفه من أفكار سيد قطب الثورية في كتابه «معالم في الطريق» . فهو يقول في شأن أفكار سيد قطب التي وردت في كتابه هذا :

«لقد خابت كل آمالي التي علقتها على الأخ سيد قطب كرجل قادر على قيادة الدعوة من بعدي والرجل المهيمن على فكر الدعوة في المستقبل»[٥٠] .

وعلى أية حال فقد أحدث انتخاب حسن الهضيبي لخلافة حسن البنا انعطافاً خطيراً في مسيرة الحركة ، وجعلها أمام خطر حقيقي . وحسب الخدوري فانه انحرف عن خط سلفه إلى حد جعل قيادته مثاراً للجدل داخل الاخوان المسلمين وخارجهم . فكان بعض المؤيدين لنهجه يعتقدون أن سياسته المسالمة مع الحكومة أفضت إلى فتح الادارة المركزية للاخوان المسلمين ، والتي لم يكن الاخوان دونها قادرين على استئناف نشاطهم في ظل الملكية . بينما كان المعترضون يشعرون بالقلق من تأثير سياسته هذه في المجتمع المصري . وأخذ تصاعد اختلاف الآراء يظهر بشكل سريع في صفوف الاخوان المسلمين ، وكان هذا الاختلاف ثاني خطأ كبير يرتكبه الاخوان منذ رحيل زعيمهم الأول[٥١] .

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه : هل كان خطأ الأستاذ حسن الهضيبي انه سبق مرحلته ، أو انه أخطأ فهم احتياج الجماعة فلم يلب حاجتها إلى القيادة الجماهيرية ، أم هو خطأ الشيخ حسن البنا الذي كان ظلّه الكثيف يتحكم في مصاير الجماعة وهو راقد داخل قبره؟[٥٢]

---

(٤٨) عبد الحليم ، المصدر السابق ، ص٤٩٤ .
(٤٩) سنأتي على ذكر هذا الموضوع فيما بعد .
(٥٠) محفوظ ، المصدر السابق ، ص٣٨ .
(٥١) مجيد خدوري ، التيارات السياسية في العالم العربي .
(٥٢) شاموق ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .

ومع ظهور المقاومة الشاملة للوجود البريطاني في مصر إثر الغاء النحاس باشا في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥١ لمعاهدة ١٩٣٦ ، أصبحت الوحدة الوطنية لمواجهة العدو ضرورة ملحّة . وكان الحضور الواسع لقوات الاخوان الشعبية في المواجهة سبباً لاحتواء خلافاتهم الداخلية ولصيانة الحركة من أخطار حتمية . إلا أن الخلافات والتشتت عادت إلى الظهور مرة أخرى في أوساط الاخوان بسبب مواقف حسن الهضيبي المداهنة وزياراته المتكررة للملك للحصول على دعمه وحمايته . ومن ثم أخذ شباب الاخوان المتحمس يعربون عن اعتراضهم على تصرفات الهضيبي مدعومين من قبل الجناح السري . واستمرت هذه الأزمة وتلك الخلافات حتى انتصار ثورة الضباط الأحرار .

وهكذا تنتهي المرحلة الأولى من تاريخ الاخوان المسلمين ، والتي بدأت عام ١٩٢٨ وانتهت عام ١٩٥٢ مع سقوط النظام الملكي وبداية عهد الجمهورية الجديد . وهي في الواقع مرحلة صعبة وكثيرة المطبات بالنسبة إلى الجماعة التي كانت تتخذ خلالها مواقف متناقضة ، فكانت تشن هجومها ضد الملك أحياناً وضد حلفائه ، وأخرى ضد الاستعمار الانجليزي ، وأحياناً ضد القوى السياسية وحلفائها .

واستمر هذا الوضع حتى ثورة تموز/ يوليو عام ١٩٥٢ . وكان انتصار الثورة وظهور ظروف جديدة في الساحة السياسية في مصر والعالم العربي قد أوصلا الجماعة حتى النصف الثاني من الستينات إلى موقف واضح ، وأديا إلى ظهور الظاهرة القطبية التي خلقت تحولات خطيرة وتغييرات أساسية في الحركت الاسلامية التي ظهرت فيما بعد في العالم الاسلامي وحتى اليوم .

## المرحلة الثانية

بدأت المرحلة الثانية من حياة الاخوان المسلمين بتغيّر الظروف السياسية في مصر إثر ثورة الضباط الاحرار في ٢٦ تموز/ يوليو ١٩٥٢ التي أطاحت الملك فاروق ، واستمرت حتى هزيمة العرب من قبل اسرائيل في حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ .

وحتى الآن يكتنف الغموض الدور الحقيقي للاخوان في الثورة ومدى تضلعهم منها وطبيعة تعاونهم مع الضباط الاحرار . وثمة تناقض كبير في دعاوى الطرفين[٥٣] ، إلا أن ما لا شك فيه ان عبد الناصر ورفاقه لم يكونوا يفكرون في النجاح دون دعم الاخوان . ومن جانب آخر فان قتالهم المشترك في فلسطين وحرب قناة السويس في وجه الانجليز وبطولة الشبان الاخوان المميزة أثرت في الضباط الأحرار تأثيراً كبيراً . ولم يكن قادة الثورة غافلين عن عضوية عدد كبير من الضباط في جماعة الاخوان المسلمين وعن الماضي التنظيمي للاخوان والقاعدة الشعبية العريضة التي يتمتعون بها ، بل كانوا يهتمون بهذه الأمور اهتماماً خاصاً ، ومن ثم كانت العلاقات متينة بين «مكتب الارشاد» و«مجلس قيادة الثورة » في السنة الأولى من الثورة . فكان قادة الثورة في صدد القبض على قاتل حسن البنا ومتابعة ملف هذه الجريمة ، وأمروا باطلاق سراح السجناء السياسيين ، وأغلبهم من الاخوان المسلمين ، وزار عبد الناصر قبر البنا في ذكرى اغتياله ، وتم استثناء جماعة الاخوان من قانون حل الأحزاب والجماعات السياسية بقرار من مجلس قيادة الثورة باعتبارها جمعية دينية غير سياسية .

وكان الاخوان ينتظرون تحقيق أهدافهم السامية وهي العمل بأحكام الاسلام . وكانت تتم لقاءات ودية مفعمة بالتفاهم بين سيد قطب مفكر الاخوان الكبير وعبد الناصر المنظّر الأول بين الضباط الاحرار في سبيل تقدم مسيرة الثورة . إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى ظهرت بوادر الخلاف بين الطرفين في أواسط ١٩٥٣[٥٤] ، ودب العداء بين أصدقاء الأمس ، وأصبح أنصار حسن الهضيبي

---

(٥٣) للتوسع انظر :
ـ التلمساني ، المصدر السابق ، ص ٢١ ـ ٢٤ .
ـ أنور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، ص ٦٦ ، ٧٥ .

(٥٤) يعتقد بعض أنصار الاخوان المسلمين ان الخلاف نشب بين عبد الناصر والهضيبي منذ الأسبوع الأول بعد انتصار الثورة ، وما يدعو للتأمل ان الهضيبي أيد الثورة بعد أربعة أيام من انتصارها رغم سلوكه المحافظ .
ويذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن تأخر الهضيبي في اعلان تأييد الثورة يرجع إلى سبب أساسي . فقد كان حسن البنا يؤكد في أقواله وكتاباته ان المرحلة الأولى من نشاط الجماعة يجب ان تقتصر على التوعية ونشر الفكر الاسلامي وتهيئة الاجواء لايجاد حكومة اسلامية . وحين يكون المجتمع على مستوى كاف من الوعي والاستعداد ، يمكن حينئذ المبادرة إلى الثورة والامساك بزمام =

ومعارضوه في جبهة واحدة في وجه العدو المشترك ( ! ) وانضم سيد قطب الثوري إلى جبهة حسن الهضيبي المحافظ ، ونصّب رئيساً لتحرير مجلة الاخوان . وكثر الحديث عن أسباب الخلاف وعن العوامل التي رصت صفوف الاخوان من جديد(٥٥) .

ـ لا شك ان خلافات الاخوان الداخلية من جانب وخلافات الضباط الاحرار فيما بينهم من جانب آخر ، قد اسهمت في تسريع الانفصال .

ـ قضية مستوى الملكية الخاصة ومعارضة الاخوان (للحد الأقل) المعين من قبل مجلس قيادة الثورة يكشفان عن اختلاف وجهات نظر الطرفين في الجوانب الاقتصادية .

ـ طلب قيادة الثورة من الاخوان ان يعرفوا شخصاً لتسلم حقيبة وزارية ورفض القيادة للشخص المعرَّف ، وعدم قبول الاخوان بتعريف شخص بديل .

---

= الأمور . والحقيقة ان البنا نفسه لم يكن ملتزماً عملياً بهذه المرحلة ويظهر ذلك من تأسيسه (الجناح السري) وقيامه بالعمليات . إلا أن الهضيبي الذي لم يكن بمستوى البنا فكرياً ولا قيادياً ، كان يجد هذا المنهج متطابقاً مع خطه المسالم ، ومن ثم لم يعلن تأييده لجهود الضباط الأحرار ، وصرح بعد انتصار الثورة قائلاً :

«ان القدرة تفسد الانسان ، ومن ثم عليه ان يبذل وسعه في تجنبها» .

وحين التقى عبد الناصر للمرة الأولى بعد انتصار الثورة بارك له الانتصار ، وسأله ان يسعى لتحقيق بعض الاصلاحات التي دعا الاسلام إلى تحقيقها ، وان يفيد من عواطف الناس وتأييدهم في هذا الأمر . ورد عليه عبد الناصر قائلاً : «لا شك سيكون هناك الكثير من الاصلاحات ، ولكن ما يتعلق بالاسلام سيكون فيما بعد» (حقيقة الخلاف) ، ص٦٧ . ويعتقد حسن حنفي انه كان ثمة علاقة بين الاخوان والضباط الاحرار منذ البداية ، إلا انه لم يحصل التوافق المطلوب . (الحركات الاسلامية في مصر ، ص ٣٩ ـ ٤١) .

(٥٥) يقول محمد محفوظ في هذا الشأن :

لقد قدمت أميركا هدية للمفكر الصاعد سيد قطب : ثلاث سنوات علم وفسحة ، ونسوان تعرض نفسها عليه لتحل عقده ، وتنتزع أشواكه بالطريقة الحضارية اللذيذة ، ولكن الصعيدي المسلم «زوجن» ورفض ، وعاد إلى مصر مخاصماً الذين استرضوه وحاولوا ترويضه ، وأوغل في خصومته لحد العداء ، فأرادوا أن يلقنوه درساً ليعرف مقداره ومقدارهم ، ففصلوه من الوظيفة فصلاً مسبباً ـ قلة أدبه مع العم سام ـ فإذا هو يصبح أكثر خطورة عندما ينضم إلى «الاخوان» ويسيطر وحده على جهازهم العقلي فيفسدهم على أميركا ، ويقفز مرة أخرى ، ويكاد يصبح عقل الثورة ـ وهذا ما لا تطيقه أميركا ـ أن يتحالف الصعيدي المسيطر مع الصعيدي المفكر ، على أرضية إسلامية ضدها . هذا كابوس ـ محفوظ ، محمد ، الذين ظلموا ـ مصدر سابق ص ٧٣ ـ ٧٤ .

ـ مؤازرة الاخوان لمحمد نجيب في صراعه مع عبد الناصر[٥٦] واشتراك أنصارهم إلى جانب الأحزاب السياسية غير القانونية في التظاهرات الواسعة لدعم تشكيل حكومة غير عسكرية .

ـ معارضة الاخوان الشديدة لمعاهدة ١٩٥٤ بين مصر وبريطانيا التي يسمح للأخيرة بموجبها ان تعود إلى قاعدة التل الكبير وان تستخدم مطارات قناة السويس في حال اندلاع الحرب .

ـ اتهام عبد الناصر للاخوان بالعلاقة مع بريطانيا .

ـ كان قلق عبد الناصر من ازدياد النفوذ الشعبي للاخوان وتعاظم قوتهم من أهم أسباب اختلافه مع الجماعة في السنوات الأولى التي أعقبت الثورة . وقد بلغ الخلاف ذروته ، وانقلبت الأوضاع رأساً على عقب إثر حادثة «المنشية»[٥٧] عام ١٩٥٤ . ففي هذه الحادثة كان عبد الناصر يخطب في حشد عام في الاسكندرية فتعرض لاطلاق النار من شخص يدعى محمد اللطيف الذي قيل عنه فيما بعد انه ينتمي إلى الاخوان المسلمين ، وان محاولة الاغتيال الفاشلة كانت من تدبير الجناح السري للاخوان . وأصيب اثنان كانا على مقربة من عبد الناصر بجروح

---

(٥٦) وقع الخلاف في الرأي بين الضباط الأحرار بعد الثورة ، فقد طالب بعضهم بعودة الجيش إلى ثكناته واقرار نظام الديمقراطية والانتخابات ، وطالب آخرون بابقاء الحالة الثورية والوضع القائم . وكان رئيس مجلس الثورة محمد نجيب من الجناح الأول وعبد الناصر من الجناح الثاني . ومع تسلم عبد الناصر زمام الأمور بدأ تصفية الاخوان بقسوة .

(٥٧) للتوسع في حادثة المنشية ، انظر :
ـ ريتشارد ميتشل : الاخوان المسلمون ، ص ٢٦٢ ـ ٣١٨ .
ـ رمضان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ـ ٢٦٤ ومواضع أخرى .
ـ زكريا سلمان ، الاخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٧ .
ـ عمر التلمساني ، ذكريات لا مذكرات .
ـ عمر التلمساني ، قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
ـ محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
ـ محمد نجيب ، كنت رئيساً لمصر ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠ .
ـ طارق مهدوي ، الاخوان المسلمون على مذبحة المناورة ، ط ١ ، بيروت ، دار آزال ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ ـ ١١٨ .

بينما لم يصب هو بأدنى أذى ، وارتفع صوته وسط ضجة الناس قائلاً : «دعوهم يقتلوا عبد الناصر فإنما هو واحد من ملايين المصريين وستواصل الثورة طريقها إن قتل أو بقي حياً . . .»[٥٨] . وخيّم الذهول على ملايين المصريين الذين كانوا يصغون لكلمة عبد الناصر عبر الراديو عندما سمعوا الحادثة ، وساءت نظرتهم إلى الاخوان إثر الاعلام الواسع الذي شنّه عبد الناصر على الاخوان ، فتهيأت السبل للقضاء عليهم قضاء مبرماً .

وهنا أثيرت تساؤلات عدة لم تجد حتى الآن جواباً شافياً لها : هل كان هذا العمل ارتجالياً أم عملاً مدبراً؟ وإذا كان مدبراً فهل دبّره الاخوان أم عبد الناصر؟ وإذا كان من تدبير الأخير فهل كان هدفه التخلص من شر الاخوان والتملص من تطبيق الشريعة الاسلامية أم ايجاد ذريعة للقضاء على أعدائه وتحقيق أهداف الثورة؟ ومهما يكن الأمر فقد كانت النتيجة صداماً دموياً بين الطرفين[٥٩] لم يجعل أعضاء الجناح السري للاخوان وحدهم عرضة لمطاردة قوى الأمن بل جميع أعضاء الجماعة أيضاً ، مما اضطر الجماعة إلى دخول المرحلة السرية . وتشكلت «محكمة الشعب » برئاسة جمال سالم المشهور ونيابة أنور السادات ، وصدرت الأحكام بالشنق على زعماء الاخوان[٦٠] الذين كانوا يرون آمالهم قد تحققت بانتصار ثورة الضباط الاحرار ، فإذا بهم يعدمون على أيديهم . ولاذ بالهرب خارج الحدود من استطاع إليه سبيلاً ، بينما قبع الآلاف في الزنزانات المظلمة .

«وتمت أكبر حركة تعذيب شهدها التاريخ في السجون والمعتقلات ، وبلغت حداً لا يصدقه عقل ، تحتويه عشرات الكتب التي خرجت في السبعينات عن أهوال التعذيب مما كان له أبلغ الأثر في تكوين الجماعات الاسلامية الحالية

(٥٨) الوسائل الاعلامية العالمية في ذلك الوقت .

(٥٩) يعتقد البعض ان زمن تقويم الصراع بين الاخوان وعبد الناصر لم يحن بعد ، لأن التقييم العلمي البارد والموضوعي لا يتم إلا عندما تصبح جميع الأحداث تاريخاً وصراع الاخوان وعبد الناصر لم يصل المرحلة التي يمكن أن يقال فيها انه أصبح تاريخاً ، فعبد الناصر ـ عبر المجموعة التي قامت بالثورة ـ لا يزال قائماً في ميدان الصراع والاخوان بقيادتهم التي عاركت عبد الناصر لا يزالون قائمين في ساحة المعركة . . إذن القصة لم تنته بعد . شاموق ، المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٦٠) سوى حسن الهضيبي الذي اعتقل .

داخل السجون وخارجها»[٦١] .

وهكذا عصف الاعصار الناصري فقضى على الاخوان المسلمين قضاء مبرماً ، وضرب من بقي منهم خارج السجن فأقعدهم سنين طوالاً لا يقوون على النهوض[٦٢] .

وقد أسهمت قساوة الزنزانات تلك في الخلافات الفكرية الواسعة بين جيل الشباب والكوادر التقليدية القديمة في بلورة مستقبل الحركة الاسلامية في العالم السني .

**الظاهرة القطبية**

بقيت جماعة الاخوان لفترة غير قصيرة تعيش فراغاً ايديولوجياً عميقاً خلقه فقدان مرشدها الروحي حسن البنا . ولم يكن البنا قد ترك أثراً مكتوباً سوى «مذكرات الدعوة والداعية»[٦٣] . وكل ما ينسب إليه يخضع لتفسيرات مختلفة من قبل الأجنحة أو الأفراد المتخاصمين فيما بينهم . وكانت مسألة استبدال نظام ثوري يدعي الاسلام ، وبالتالي تغيير الظروف السياسية والاجتماعية بالنظام (الملكي

---

(٦١) حسن حنفي ، الحركات الاسلامية في مصر ، ص٤٣ ، للتوسع انظر الكتب التالية (الجدير بالذكر ان هذه الكتب التي طبعت بعد وفاة عبد الناصر وابان حكم السادات أسهمت كثيراً في اثارة مشاعر الشباب الاصوليين ضد الأنظمة السابقة) .
- جابر رزق ، مذابح الاخوان في سجون ناصر ، القاهرة ، دار الاعتصام .
- عادل كامل ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ـ ٨٠ .
- علي جريشه ، في الزنزانة .
- محمد يوسف هواش ، مجزرة القرن العشرين .
- عباس السيسي ، من المذبحة إلى ساحة الدعوة .
- روكسي معكرون ، عشت هول المذبحة .
- سعد سرور كامل ، خواطر سجون .
- حبابي رزق ، مذبحة الاخوان في سيمان طرّه .
- عمر التلمساني ، قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر .

(٦٢) راجع مهدوي ، المصدر السابق ، ص١١٩ .

(٦٣) آثاره الباقية هي عبارة من محاضرات وبيانات طبعت تحت العناوين التالية : (رسائل التعليم) ، (بين الأمس واليوم) ، (تحت راية القرآن) ، (دعوتنا إلى طور جديد) ، (رسالة المؤتمر الخامس) ، (المؤتمر الدوري السادس) ، (مشكلاتنا في ضوء الاسلام) ، (الجهاد) ، (دعوتنا) ، (إلى أي شيء ندعو الناس) ، (نحو النور) ، (إلى الشباب) ، ومواضيع أخرى نشرت في صحيفة (الاخوان) وأسبوعية (الدعوة) .

العميل لبريطانيا) قد عقدت الأمور في مصر ودفعت الشخصيات المختلفة إلى إيجاد مصدر جديد للجماعة . وكانت أفكار أبي الأعلى المودودي مقدمة على غيرها في هذا المجال[٦٤] .

وكانت احداث عام ١٩٥٤ وقمع الاخوان دون رحمة وأوضاع السجناء والأساليب القاسية التى يستعملها السجانون في تعذيبهم تدفع الإنسان دفعاً إلى الاعتصام بالله .

وحين رأى سيد قطب الذي اقتيد من فراش المرض إلى السجن ، الأوضاع الوحشية المرعبة التي تشهدها السجون ، وهو الذي كان يحمل أفكار أبي الأعلى المودودي[٦٥] ، أخذ يشكك باسلامية النظام وأتباعه والمجتمع كله ، واطلق مقولة أضحت فيما بعد شعاراً للحركات الاسلامية ، إذ قال : «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية . . .[٦٦]» .

يخاطب محمد حواش وهو عضو بارز في الاخوان صاحبه في الزنزانة سيد قطب الذي كان يعيش ظروفاً متأزمة وقد أعدم معه فيما بعد ، فيقول : يا سيدي ، رأيت شيئاً عجيباً في الرؤيا . رأيت يوسف يأمرني ان أخبرك بان الحل الذي تبحث عنه تجده في الآيتين ٣٨ و٣٩ من سورة يوسف[٦٧] .

واندفع سيد قطب للتأمل أكثر بفعل الشبه الكبير بين وضعه وقصة سجن يوسف وصاحبيه في سجن الجور والظلم في مصر . وكان آخر الآية الكريمة ﴿ان الحكم إلا لله﴾ .

---

(٦٤) راجع المودودي .

(٦٥) تأثر سيد قطب كثيراً بأفكار المودودي وأبي الحسن الندوي التي برزت بقوة في العالم الاسلامي . وقد ترجم قطب كتاب «ماذا خسر العالم بتخلف المسلمين» للندوي ، وتأثر به في كتاباته التالية ، مثل : «معالم في الطريق» ، «المستقبل لهذا الدين» ، «خصائص التصور الاسلامي ومقوماته» . يتحدث أبو الحسن الندوي عن حاكمية الله ويعتقد بعقم الحكم الموجود في بلاده . ويأخذ سيد قطب هذه القضية فيعممها على جميع حكام البلاد الاسلامية ، ويعتبرهم غير مسلمين .

(٦٦) من «معالم في الطريق» ، الكتاب المهم لسيد قطب . دار الشروق ١٩٧٣ ، ص ١٧ .

(٦٧) سورة يوسف الآيتان ٣٩ و٤٠ : ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إيّاه . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

«فهذا الظلم الواقع وهذا المكان الجهنمي والحراس السفلة لا تصح لهم حاكمية ولا لمن فوقهم . لقد نسوا الله فانساهم أنفسهم فلم يعودوا مسلمين . لقد استبدلوا عبادة الفرد بعبادة الله وهم يجهلون كل شيء عن الاسلام والعدل القرآني والحس الانساني . فأصبحوا ولا فرق بينهم وبين الضواري المتروكة سائبة تولغ في دماء عباد الله . انهم خطر على البشرية والأخطر منهم النظام الذي أجاز لهم القتل الجماعي ، انهم كفار سيئو الفطرة تسلطوا على عباد الله المؤمنين(٦٨) .

إن أفكار سيد قطب التي ظهرت فيما بعد على شكل مجموعة باسم «معالم في الطريق» إنما كانت قصاصات خرجت من بين قضبان السجن(٦٩) . وكان هذا الكتاب أول أثر فكري يظهر بعد شهادة مؤسس الاخوان ، وقد أوجد تحولاً عميقاً في أوساط شباب الجماعة ، وأثار الغضب في صدورهم ، فقتلوا السادات رمز الجاهلية وخليفة عبد الناصر بعد عقدين من الزمن .

يقول أحد الكتَّاب العرب : «في منتصف الستينات أخذ تأثير كتابات البنا وأفكاره يبرز في أفكار سيد قطب الذي بلورها في صياغتها النهائية في كتابه «معالم في الطريق» ، وبعدما هز الكتاب النظام الناصري فقد هز ثقافة الأخ التقليدية إذ فيها مباينة تامة لما حفظه عن البنا .

وقع كتاب «معالم في الطريق» وقعاً طيباً في نفوس الشباب الاخواني لأنه جاء يحمل آراء نهائية في قضية البعث الاسلامي في عالم يموج بالثورة والتغيير . وشهدت الستينات تحرر الجزائر ، ثورة اليمن ، الوحدة السورية ـ المصرية (٥٩ ـ ١٩٦١) ، انقلاب عارف ، الاطاحة بالملك سعود ومجيء فيصل . كان العالم آنذاك أشبه بالمظاهرة الثورية الحاسمة والمصيرية»(٧٠) .

---

(٦٨) محفوظ ، محمد ، الذين ظلموا ، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

(٦٩) وكانت تُنقل الكتابات المذكورة من داخل السجن إلى الخارج عبر زينب الغزالي ، والتي تعتبر من الشخصيات البارزة في قيادة الاخوان انظر إلى : أيام من حياتي ، زينب الغزالي ، دار الشروق ، القاهرة ص ٨٣ ـ ٩٢ .

(٧٠) حسن مكي ، حركة الاخوان المسلمين في السودان ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

من هنا كان لآثار سيد قطب (كما أسلفنا) دور مهم في ايجاد توجهات الاخوان وتحولاتهم اللاحقة . والمعروف انه لم يلتق حسن البنا ولم يتعرف به ، ولم تبدأ عضويته في الجماعة إلا بعد سنوات من اغتيال حسن البنا وبضع سنوات من ثورة تشرين الأول/ اكتوبر ، وفي عهد قيادة حسن الهضيبي ، فإلى أي مدى كانت أفكاره تقبل من قبل كوادر الاخوان القديمة والجناح التقليدي منهم؟

هل كان سيد قطب يطرح حركته باعتبارها حركة اصلاحية في إطار الجماعة وبأسلوب ثوري جديد مضاد لقيادة جماعة الاخوان التقليدية وللوضع القائم؟ وهنا تبرز نقاط عدة نرى من الضروري الاشارة إليها :

١ ـ إن ملاحظة أفكار سيد قطب من جهة وأفكار حسن البنا والهضيبي والكوادر الأساسية المؤثرة الأخرى في الجماعة من جهة أخرى ، تثبت وجود اختلاف واضح لا سبيل لانكاره بين الطرفين ، ومنه اختلاف الرأي في الأمور التالية : الأنظمة الحاكمة ، الحكومة ، أسلوب المواجهة ، مراحل الجهاد ، النظرة إلى المجتمع ، مفهوم الحكومة الاسلامية[٧١] .

وإذا كان الكثير من اختلاف الآراء بين الطرفين يتصل بالظروف الزمانية والاجتماعية المعاصرة لهما ، إلا أن ما لا سبيل إلى إنكاره دور الغرب وأميركا في بلورة أفكار قطب وتمرده على ما يسمى الحضارة[٧٢] .

٢ ـ «ان قطب لم يفكر يوماً في الانشقاق على الاخوان وتكوين كيان مستقل يتبنى فكره ونظريته منذ أن انضم إلى الاخوان وحتى منتصف الستينات حيث تم اعتقاله للمرة الثانية على الرغم من التنامي المتزايد لشعبيته في داخل الاخوان وفي خارجها على مستوى مصر وبقاع اسلامية أخرى كثيرة»[٧٣] . ولم تكن أفكار

---

(٧١) للمقارنة بين أفكار حسن البنا وسيد قطب ، أنظر الكتب التالية :
ـ حسن مكي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٩ .
ـ خلف الله ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ـ ٦٥ .

(٧٢) للتوسع في معرفة التأثير السلبي للحضارة الغربية على سيد قطب وتمرده عليها ، تراجع فترة حياته في أميركا ، وكذلك يراجع :
ـ صلاح شادي ، الشهيدان حسن البنا وسيد قطب ، ط٣ ، القاهرة ، دار الوفاء .
ـ عادل حموده ، سيد قطب ، من القرية إلى المشنقة ، القاهرة ، سيناء للنشر ، ١٩٩٠ .

(٧٣) الورداني ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

قطب تحظى برضى وتأييد الكادر المركزي للجماعة ، باعتبارها تختلف اختلافاً جذرياً مع أفكار الجماعة الأساسية . على أن هذه الصفات التي تميز بها قطب كشخصيته العلمية ووفائه لجماعته ونفوذه العظيم بين الاخوان ومظلوميته وشهادته لم تمنع البعض من ابداء المعارضة الشديدة لأفكاره . يقول الهضيبي في هذا الشأن : لقد خابت كل آمالي التي علقتها على الأخ سيد قطب كرجل قادر على قيادة الدعوة من بعدي . والرجل المهيمن على فكر الدعوة في المستقبل[٧٤] .

ويقول عمر التلمساني : «ان سيد قطب لم يكن يمثل إلا نفسه ، وهو لا يمثل الاخوان المسلمين» . واتهم كثير من مسؤولي الجماعة سيد قطب بزرع بذور التفرقة والكفر في صفوف شباب الاخوان ، و«ذكر بعض الذين اعتقلوا في فترة الستينات ان رجال الاخوان علوا نوافذ الزنازين يشاهدون قطب وهو مساق إلى غرفة التنفيذ وهم يهتفون في غضب : إلى الجحيم يا قطب»[٧٥] .

ومن جانب آخر فمن الطبيعي ان يبادر علماء جامعة الأزهر وغيرهم من المرتبطين بالنظام الحاكم إلى إدانة آثار السيد باعتبارها «بدعة» و«مضللة» .

يقول العالم الاسلامي المصري الدكتور محمد الغزالي في هذا السياق : «وقد انضم (قطب) بعدئذ إلى الجماعة وظاهرها بكل ما لديه من طاقة أدبية ، وأخلص في مناصرتها سراً وعلناً وقاسمها ما فرض عليها من معاناة وتضحيات . . ولكن القول بأنه صانع أفكارها باطل . والصحيح أنه انشأ فكراً جديداً وجد مساراً له بين نفر من الاخوان وغيرهم في ظروف سياسية واجتماعية معقدة ، وقد رفض حسن الهضيبي المرشد الثاني للاخوان هذا الفكر ومضاعفاته ، كما رفضه كثير من العلماء المنضمين إلى الجماعة»[٧٦] .

٣ ـ في نظرة شمولية عامة يمكن القول ان ظهور أفكار قطب كان مرحلة موقتة وعابرة في مسيرة الأسس الفكرية للاخوان ، فقد تجاوزت الجماعة مرحلة الانشقاق وتابعت مرة أخرى طريقها التقليدي الاصلاحي بعد اعدام قطب ووفاة

(٧٤) محفوظ ، المصدر السابق ، ص٣٨ .
(٧٥) الورداني ، المصدر السابق ، ص٩٢ .
(٧٦) خلف الله ، المصدر السابق ، ص١٠٠ .

جمال عبد الناصر والتطورات الجديدة التي حصلت للجماعة في عهد السادات . ولكن لا ننسى «ان أفكار سيد قطب هي التي وضعت حجر الأساس في بناء الصحوة الاسلامية ، وهي التي كانت السبب في تفرع جماعة الاخوان إلى فروع هي التي نعرفها بأسماء : السلفيون ـ الاخوان المسلمون ، المسلمون والتكفير والهجرة ، الجهاد»(٧٧) .

ويعتقد البعض ان ظهور الظاهرة القطبية نفسها كان تحولاً داخلياً مهماً في جماعة الاخوان . ومن الملاحظ أنه طوال فترة انضمام قطب إلى الاخوان لم يتسلم أية مسؤولية فاعلة سواء على المستوى التنظيمي أو الفكري حتى تهمة الانضمام إلى التنظيم السري ورئاسة قسم المنشورات التي حوكم على أساسها عام ١٩٥٤ ، كانت تهمة وهمية ولا أساس لها من الصحة(٧٨) .

## المرحلة الثالثة

شهدت هذه المرحلة تحولات مهمة تأثرت بنكسة حزيران/يونيو وموت عبد الناصر والتحرك السياسي للسادات وظهور الثورة الاسلامية الايرانية ، وأخيراً اغتيال السادات ووصول حسني مبارك إلى السلطة .

(٧٧) زياد أبو عمرو ، الحركة الاسلامية في فلسطين والضفة الغربية وغزة ، بيروت ، القدس للطباعة ، ١٩٨٩ ، ص١٢٠ ، نقلاً عن محمد خلف الله . وفي هذا السياق يتحدث المؤلف في ص١١٩ ، من الكتاب نفسه عن تأثير أفكار سيد قطب في العالم الاسلامي فيقول : «أما سيد قطب فيحتل مكانة خاصة لدى الجهاد الإسلامي بسبب قدراته الفكرية والعقائدية وقدرته على بلورة جوانب التحدي الذي يواجه المسلمين وكيفية مواجهته . ولأن سيد قطب يجسد الموقف المعارض من السلطة والرافض للمساومة أو التعاون معها مقابل موقف حسن البنا الذي تغير ، حتى وإن كان ذلك لأسباب تكتيكية ، فإن سيد قطب بالنسبة لحركة الجهاد الإسلامي رمزاً حقيقياً للاتجاه الإسلامي الثوري . وترى الحركة في نفسها الطليعة الإسلامية التي يتحدث عنها سيد قطب والتي لن يتحقق البعث الإسلامي بدونها . وكما قاد سيد قطب توجهاً جديداً داخل جماعة الاخوان المسلمين في عصره ، فإن حركة الجهاد الإسلامي اليوم ترى نفسها تقوم بنفس الدور . وتشكل كتابات سيد قطب دليلاً لأفكار وممارسات حركة الجهاد الإسلامي . ويتضمن كتابه «معالم في الطريق» ، تحليلاً ثورياً يدعو صراحة إلى السير على طريق جديد يختلف عن الطريق الذي اختطته جماعة الإخوان المسلمين» .

(٧٨) الورداني ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

والحقيقة ان هزيمة العرب في حرب الأيام الستة مع اسرائيل (حزيران/ يونيو ١٩٦٧) كانت هزيمة لكل الأفكار والتيارات غير الدينية ، وخصوصاً التيار القومي العربي[٧٩] بزعامة عبد الناصر ، فقد كانت ضربة لا مثيل لها موجهة لعبد الناصر وللأنظمة الموالية له في العالم العربي ، وهذا في حد ذاته تحول خطير في مسيرة التيار الاسلامي . وقد أسهمت التطورات السياسية في مصر وتحول السادات الكامل من المعسكر الشرقي إلى المعسكر الغربي في تخفيف حدة الضغط عن جماعة الاخوان المسلمين . ذلك ان ضعف الدولة وقمع زعماء الاشتراكية يستدعي تخفيف الضغط عن المعارضة الدينية ، وهذا ما أوجد أرضية خصبة لاستئناف العمل الاسلامي من جديد .

وأصيب الجهاز الاعلامي لعبد الناصر بضعف شديد بعد نكسة حزيران/ يونيو ، فلجأ إلى الدين يستمد منه العون لرفع معنويات الشعب المهزوزة ، ولاعادة الوحدة القومية التي تراجعت كثيراً ، ولاضفاء الشرعية على وجود النظام . وأخذ الاعلام يصور النكسة على أنها (قضاء وقدر) وانها امتحان الهي ، ويدعو الشعب المصري المسلم إلى التسليم بقضاء الله وقدره وإلى الصبر لأنه قرين الايمان .

---

(٧٩) يرى الكثير من المؤلفين العرب ان النكسة الفكرية الناتجة من هزيمة ١٩٦٧ كانت أبلغ من خسارة الأرض .

فالكاتب الاسلامي توفيق الطيب ، صاحب كتيب «الحل الاسلامي ما بعد النكبتين» الذي صدر عام ١٩٦٨ ، يرى ان نكبة عام ١٩٤٨ كانت هزيمة للفكر الليبرالي العربي بينما كانت هزيمة عام ١٩٦٧ هزيمة للفكر الاشتراكي الثوري العربي . ويرى هذا الكاتب ان النكبة العربية هي في جوهرها نكبة فكر : «النكبة والفكر ذلك ما لا يتحدث عنه أحد في بلادنا مع ان النكبة في جوهرها هي نكبة الفكر العربي آخر التحليل ، أو بتعبير أدق ما اسميناه الفكر العربي الحديث . فنكبتنا بأفكارنا كانت قبل نكبتنا بأرضنا . . . بل كانت هي المقدمة والسبب البعيد لنكبة الأرض» .

وفي هذا المجال يقول الدكتور زياد عمرو : «تعتبر الحرب عام ١٩٦٧ نقطة فاصلة في تطور الاتجاه الاسلامي التقليدي ، فهذه الحرب من وجهة نظر أحد مؤسسي حركة الجهاد الاسلامي ، لم تضع الاتجاهات الفكرية القومية والعلمانية موضع التساؤل ، ولم تثبت فشل هذه الاتجاهات فحسب كما تجلى ذلك في هزيمة الأنظمة القومية والعلمانية بل انها وضعت الاتجاه الديني التقليدي بقيادة جماعة الاخوان المسلمين في موضع التساؤل نفسه ، ولم تبرئه من التقصير والهزيمة فجماعة الاخوان التي تأسست منذ عام ١٩٢٨ لم تفلح في استلام السلطة أو الحيلولة دون وقوع هذه الهزيمة ولم تفلح في مواجهة التيارات القومية والعلمانية على الرغم من أثر الاسلام الجارف في المجتمعات العربية . . . كانت هزيمة عام (١٩٦٧) من وجهة نظر حركة الجهاد الاسلامي بمثابة (نكبة ثانية) ، وكانت انهياراً شاملاً للثوريين الاشتراكيين من العسكر ولانظمتهم ولمناهجهم» .

وهكذا بدأ التظاهر بمراعاة الشؤون الاسلامية ، فمثلاً كانت الاذاعة والتلفزيون يقطعان برامجهما المعتادة أثناء الصلاة لبث الاذان والصلاة ، وأخذت الصحف تخصص يوم الجمعة صفحات منها لقضايا الاسلام ، في سبيل ضرب عصفورين بحجر واحد ، فهي تخفف الضغط الشعبي من جهة ، وتسحب البساط من تحت أرجل التيار الاسلامي من جهة أخرى .

وثمة عوامل أخرى دفعت الناس إلى التمسك أكثر بدينهم وأثارت المشاعر الدينية في نفوسهم ، ومنها حرق المسجد الأقصى واعتماد الصهاينة على الدين في ترسيخ القيم والتعاليم التاريخية والدينية لليهود . وفي الوقت الذي كانت اسرائيل تقترب من أهدافها بتمسكها بدينها ، كان العرب يرون بُعدهم عن دينهم سبباً لهزيمتهم . ورأى الاسلاميون في مصر في هذه الهزيمة فرصة مناسبة للانطلاق بحركة واسعة للعودة إلى الدين ، وتجلت حركتهم بمراعاة المظاهر الاسلامية كالحجاب وبناء المساجد وطباعة القرآن بكثرة وطباعة الشعارات الاسلامية . ونظراً إلى وقوع هذه الهزيمة بعد اعدام سيد قطب وأصحابه بتسعة أشهر فقط وفقدان مصر لستة في المائة من أراضيها ووقوع آلاف الشهداء والجرحى[٨٠] ، فقد وظفت الحركة الاسلامية هذه الهزيمة لحسابها الخاص إلى أقصى حد ممكن ، واعتبرتها «انتقاماً الهياً لما حدث لجماعة الاخوان وتعذيبهم في السجون ، وأن كل من يفتري على الله ويحارب جند الله فانه هالك لا محالة كما هلك فرعون من قبله ، وان عدم تطبيق شرع الله كان هو السبب الأول للهزيمة . فلو طبقت الشريعة وطبقت حدود الله لما وقعت الهزيمة»[٨١] .

حقاً كانت نكسة حزيران/ يونيو سبباً لاضعاف مركزية الدولة واثارة المشاعر العامة والتمهيد لعودة الحركة الاسلامية من جديد ، إلا أن نفوذ الأفكار الثورية لسيد قطب وسعة انتشار مؤلفاته بين الشباب والاسلاميين كانا كبيرين في ذلك

(٨٠) مهدوي ، المصدر السابق ، ص١٣٥ .

(٨١) حنفي ، المصدر السابق ، ص ٦١ ـ ٨٦ .

للتوسع انظر : حسن حنفي ، (وكانت النكسة نقطة التحول) ، صحيفة الوطن ، نوفمبر ، ١٩٨٢ . ويعترف بعض المؤلفين المعارضين للاخوان بهذا الأمر ، ويتوجهون بالنقد إلى الاخوان . يقول المؤلف في هذا الشأن : «وعلى هذا فان الاخوان المسلمين قد اعتبروا هذه الهزيمة بمثابة العقاب الالهي العادل ضد الذين أبوا أن يحكموا بما أنزل الله ، وقد مزقوا بهذا العقاب دون أن يميزوا بين دكتاتورية النظام وبين ممارسات الوطنية المعادية للاستعمار ، سواء في مصر أو في الوطن العربي أو على امتداد العالم» على مذبحة المناورة .

الوقت . فقد كانت أفكار سيد قطب بداية تحول جديد في مسيرة الحركة الفكرية والسياسية لجماعة الاخوان . والحقيقة ان ذلك الوقت كان بداية ظهور الحركات الثورية المتطرفة التي سارت بموازاة جماعة الاخوان ، وجسدت الخلافات الداخلية في الجماعة الواحدة ، إلى حد ان هذه الخلافات ما زالت تؤثر في مسيرة الحركة الاسلامية حتى اليوم .

ومع وفاة عبد الناصر في ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠ وظهور التحولات السياسية والاجتماعية ، برزت منعطفات مهمة في مسيرة الحركة الاسلامية ، أهمها :

ـ الأزمة الاقتصادية الكبرى الناتجة من حرب ١٩٦٧ ، وحرب اليمن (٦٢ ـ ١٩٦٧) والمشاكل الناتجة من ازدياد عدد السكان .

ـ المعارضة الشديدة التي أبداها اليساريون ، ومنهم الناصريون والشيوعيون والقوميون ، ضد تحول السادات في سياسته الخارجية من الشرق إلى الغرب .

ووجد خليفة عبد الناصر الضعيف نفسه ازاء مشاكل شائكة ، فاضطر إلى الاستعانة بقوة الاخوان لمواجهة اليساريين . ودفعت وحدة الأهداف واشتراك المصالح بين زعماء السعودية ومصر الملك فيصل إلى التوسط بين الاخوان والسادات[٨٢] . «ففي صيف سنة ١٩٧١ نجح الملك فيصل في ان يرتب اجتماعاً

(٨٢) كانت قوى اليمين الديني تتلقى بالفعل تشجيعاً ومساعدة من خارج مصر قبل أن يلتفت إليها السادات ليمدها بتشجيعه ومساعدته . وفي سنة ١٩١٧ على سبيل المثال حدث شيء غريب لم تكن له سابقة من قبل في تاريخ الأزهر تلك المؤسسة العريقة التي شاركت في عصور ازدهارها بدور كبير في حركة التحرر الوطني المصري ففي تلك السنة عقد الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ما يكاد أن يكون اتفاقية مع شيخ الأزهر الأسبق الشيخ «عبد الحليم محمود» وفي الاتصالات التي سبقت الاتفاق فإن الملك فيصل عرض على مشيخة الأزهر اعتمادات تصل قيمتها إلى مائة مليون دولار لكي يتولى الشيخ قيادة حملة دعوة ضد «الشيوعية والالحاد» (دفع الملك فيصل بالفعل جزءاً من هذا المبلغ ٤٠ مليون دولار طبقاً لبعض التقديرات ولكن رئيس الوزراء في ذلك الوقت السيد «ممدوح سالم» وجد أن الدولة تشتد حاجتها إلى النقد الأجنبي وهكذا حوّل هذا المبلغ إلى الخزينة ثم قدم لشيخ الأزهر بدله نقداً مصرياً للصرف على ما يراه من أغراض الدعوة) واندفع الشيخ إلى برنامج إعلامي كبير فكتب بنفسه عدة كتب عن الشيوعية ثم رتب لترجمة بعض الكتب عن هذا الموضوع عينه كان بينها كتاب «لا إله إلا هوي» والذي شارك في تأليفه عدد من المفكرين الأوروبيين والأميركيين الذي بهرتهم الشيوعية لأول وهلة ثم استيقظوا على الواقع المر في التطبيق أمام ستالين وتم بناء بعض المساجد الجديدة كما صرفت مبالغ كبيرة على سفر وفود دينية لحمل رسالة الدعوة . (محمد حسنين هيكل ـ خريف الغضب ص٢٦٩ ، مصدر سابق) .

بين السادات وبين مجموعة الاخوان المسلمين الذين ذهبوا إلى الخارج ، وبالفعل عقد اجتماع في استراحة الرئيس (جانا كليس) في اطار من السرية المطلقة ، حضره بعض زعماء الاخوان في الخارج بعد أن حصلوا على ضمان بتأمين دخولهم إلى مصر وخروجهم منها . . . والتقوا هناك الرئيس السادات . وخلال المناقشات التي جرت في ذلك الاجتماع ، قال الرئيس السادات للاخوان الذين قابلهم انه يواجه المشاكل من العناصر عينها التي قاسوا هم منها (كان قد فرغ لتوه من معركته مع مراكز القوى) ثم انه يشاركهم أهدافهم في مقاومة الالحاد والشيوعية ، وكذلك فان عبد الناصر قد خلف له تركة ثقيلة ، وقد عرض عليهم استعداده لتسهيل عودتهم إلى النشاط العلني في مصر ، بل كان على استعداد لعقد تحالف معهم»[٨٣] ، «والتيار الاسلامي الوليد كان في حاجة إلى السادات لينتقم من ورثة الناصرية وليتنفس الحرية مرة أخرى . . .»[٨٤] .

وهكذا وبعد لقاءات عدة سرية وعلنية ومباحثات لتنسيق المواقف لمواجهة الشيوعيين ، فتحت أبواب السجون أمام الاخوان المسلمين بعد سنوات من القمع والتعذيب ، وبدأوا حياة جديدة في زمن السادات بعد عهد الظلمات الناصري . ورداً على ذلك زار زعيم الاخوان وأكبر أعضاء مكتب الارشاد عمر التلمساني قصر رئاسة الجمهورية (عابدين) وأعرب للسادات عن امتنانه وشكره ، وبايعه رئيساً للبلاد[٨٥] .

ولم يكن اطلاق السادات سراح الاخوان رحمة منه وشفقة عليهم ، وهو عضو المحكمة الثورية الناصرية الذي أدى دوراً كبيراً في ادانة زعماء الاخوان وقمعهم ، إنما كان استمالة منه لهم للوقوف في وجه اعدائهم التقليديين ، أي الناصريين[٨٦] . وفي ذلك يقول الكاتب المصري المعروف حسن حنفي : «أخرجهم

---

(٨٣) المصدر السابق ص٦٩ .

(٨٤) عادل حموده ، قنابل ومصاحف ، القاهرة ص١٢١ .

(٨٥) المهدوي ، المصدر السابق ، ص١٣٠ نقلاً عن مجلة المصور ، القاهرة ، ٢٢/ ١/ ١٩٨٢ .

(٨٦) كتب السادات في مذكراته : «أعرف انه من السهل لهم أكثر من العناصر اليسارية التغلغل في صفوف الجيش كما انني أسمع عن الشعارات التي يرددونها ضد الحكم ، ومع كل هذا فانني ملتزم في الوقت الحاضر بأن أظهر تجاههم نظرة متعاطفة مع أنني مقتنع بان معركتي الأخيرة ستكون معهم . . . التطرف الديني في مصر . . . قنبلة فوق صفيح ساخن» . مذكرات السادات ، القسم الأول ، صحيفة السياسة ١/ ١/ ١٩٩٠ .

وهو يعلم أنهم ليسوا خطراً عليه ، نظراً إلى عدائهم لعبد الناصر ، ونظراً إلى تخلفهم الفكري أو عدائهم للاشتراكية والقومية العربية وللاتحاد السوفياتي وموالاتهم التقليدية للغرب ولحرصهم على الاسلام الشعائري المظهر ، وكل ذلك قاسم مشترك بينهم وبينه . خرج الاخوان من السجون وهم شاكرون ، ينشطون من جديد ، ولو ان سيف اللاشرعية ما زال مسلطاً على الرقاب ، وما زال قرار حلهم ساري المفعول وأموالهم وأملاكهم في عداد المصادرة .

ولم يفلح الاخوان من خلال القنوات القانونية ومراجعة المحاكم أن يستردوا أموالهم المصادرة أو يرفعوا الحجز عن مقرهم الأساسي الذي اشتروه بأموالهم الشخصية وبحلي نسائهم . فقد كان السادات يخشى أن يفلت زمام الأمور في المستقبل من يده إذا ما تجرأ الاخوان وخرجوا عن الاطار الذي رسمه لهم . فقد كان هدف السادات الأساسي من اطلاق سراح الاخوان هو استغلال عدائهم للناصرية وكسب تأييدهم له . وفي الوقت الذي كان النظام الجديد الحاكم في مصر يستفيد من الاسلام والتيار الاسلامي ، أعطى للاخوان المسلمين الضوء الأخضر ليكشفوا عن جلسات التحقيق وحوادث التعذيب ليتسنى بذلك تشويه صورة النظام السابق أكثر فأكثر ، وليكسبوا تعاطف الشعب المصري مرة أخرى ، وذهب السادات أكثر من ذلك فاعطى للاخوان الضوء الأخضر ليوجهوا النقد إلى حكومته لتبدو حكومة ديمقراطية»(٨٧) .

ولكن غاب عن نظر السادات ظهور ظروف جديدة تختلف اختلافاً كبيراً عن السابق ، إذ ظهرت في هذه الظروف تيارات جديدة من داخل مؤسسة الاخوان فاستغلت ضعف السادات وقصر رؤيته وعدم إدراكه حقيقة الأمور ، وجعلته يدفع ثمناً باهظاً استوفته منه رصاصة الشهيد خالد الاسلامبولي .

ويعرض لهذه الظاهرة الكاتب المصري محمد حسنين هيكل الذي أدرك عمق احداث بلاده وواكبها عن كثب فيقول : «وعندما رحل (جمال عبد الناصر) عن هذه الدنيا وجاء (أنور السادات) إلى رئاسة الجمهورية ، كان هناك جيل جديد تحت الأرض من الجماعة الدينية . كانت السجون قد صهرتهم وقوت استعدادهم

---

(٨٧) حنفي حسن ، المصدر السابق ، ص٦٩ .

للتضحية ، ولم يكن الهامهم هذه المرة من أفكار (حسن البنا) الذي بدا لهم تاريخاً مضت أيامه ، وإنما كان الأساتذة الجدد هم (أبا الأعلى المودودي) الذي أصبح لهم إماماً ، و(سيد قطب) الذي أصبح بالنسبة إليهم شهيداً . لقد دخلوا إلى اطار الفكر المطلق حيث لا مساومة ولا تعايش بين مجتمعين وعقيدتين . لم يعد أمامهم إلا الجاهلية أو الاسلام ، وأن حاكمية البشر تعترض الطريق أمام حاكمية الله . . .»[٨٨] .

وعلى أية حال فشل الاخوان إلى الأيام الأخيرة من حكومة السادات وحتى اليوم في الحصول على ترخيص رسمي لاستئناف نشاطهم القانوني على الرغم من كل المرونة التي أبدوها ، وبقيت أموالهم ومكاتبهم مصادرة ، وما زال ظل اللاشرعية المشؤوم يطاردهم باستمرار ، وبلغ بهم الأمر ان اضطروا في ذروة علاقتهم مع النظام إلى التحالف مع عدوهم العلماني التقليدي (حزب الوفد) لخوض الانتخابات البرلمانية وترشيح أعضائهم .

وقد استأنفت مجلة «الدعوة» غير القانونية صدورها رغم مخالفتها لقانون المطبوعات المصري ، وأعقبتها مجلة «الاعتصام» التابعة لجماعة أخرى من الاخوان ، دون ان تواجها معارضة المسؤولين ذوي العلاقة . ذلك ان الظروف تفرض على الطرفين أن يتعاونا فيما بينهما وان ينسقا معاً للمستقبل ، فالاخوان يحتاجون إلى الحصول على الشرعية من النظام لاستئناف النشاط العلني مرة أخرى ، والنظام يحتاج إلى الاخوان لمواجهة العدو المشترك (الشيوعيين والناصريين) ، وهذا كله يدعو إلى تناسي الماضي .

إلا أن جميع المساعي التي بذلها الاخوان لطمأنة النظام بسلوكهم خطاً فكرياً متعقلاً ، وامتناعهم عن العنف والثورة والمعارضة غير الديمقراطية كانت دون جدوى حتى لو اقترنت بتحريف التاريخ وبمواجهة الجماعات الاسلامية المنشقة عنهم[٨٩] .

---

(٨٨) هيكل محمد حسنين ، المصدر السابق ، ص٢٩٠ ، خريف الغضب .

(٨٩) يعتقد بعض الأعضاء البارزين في جماعة الاخوان انه : «لم يكن في عهد السادات كلام أصولي ، ولم يكن ثمة مرجعية قيادية حقيقية ، ولم يكن ثمة مرشد للحركة ، وكل شيء صار تجميع مواقف» لقاء المؤلف مع ابراهيم المصري أحد أعضاء الاخوان ، بيروت ١٩٩١ .

وفي هذا السياق كتب المرشد العام للاخوان عمر التلمساني مقالة في مجلة «الدعوة» الناطقة باسم الجماعة بيّن فيها موقف الاخوان من المؤامرات والانقلابات والتظاهرات وأعمال الشغب، وحرص على طمأنة السادات قائلاً: «إذا كان المقصود بالحركة هو التظاهرات، فنحن لم نقرأ في كتب السيرة ان الصحابة هتفوا بحياة فلان أو بسقوطه. ونرى اننا ملزمون برعاية هذا الأدب الاسلامي، وليقل الذين يعتبروننا محظيين لدى الحاكم الموجود ما يشاؤون[٩٠]. أما إذا كان المقصود بالحركة هو تدبير الدسائس والانقلابات فنقول ان هذا من شأن طلاب السلطة، وليس مهماً بالنسبة لنا من يحكم، فالمهم عندنا بالدرجة الأولى نوع الحكم والدستور وشكل النظام. ومن شاء بعد ذلك ان يحكم فليحكم»[٩١].

وقد وجه التلمساني إلى السادات دعوة غير مباشرة في إحدى افتتاحيات مجلة «الدعوة»، وكان عنوانها «يا حكام المسلمين كونوا أخواناً مسلمين» قال فيها: «ندعوكم لتكونوا اخواناً مسلمين لا نبتغي بذلك عوناً منكم» ويضيف: «نحن لا نتهم حاكماً في نواياه فما جعل الله ذلك إلينا ولكننا نتناول الأعمال وحدها بالنقد أو المدح» وهو يقصد بذلك اتفاقية كامب ديفيد مطمئناً السادات أن نقد الاخوان للاتفاقية لا يعني الطعن في شخصه واخلاصه للقضية العربية. وقال: «فالعجيب إذن أن يضيق الحاكم المسلم بالأخ المسلم وهو لا

(٩٠) انضم عمر التلمساني إلى الجماعة على يد حسن البنا بعد تأسيسها ببضع سنين، أعتقل عام ١٩٥٥ بعد محاولة اغتيال عبد الناصر، ومكث في المعتقل حتى عام ١٩٧١ حين أطلق السادات سراح الجماعات الاسلامية وزعمائها. سلك طوال فترة زعامته خطاً معتدلاً وتجنب الصدام مع السلطة. اعتقله السادات وعدداً من قادة الجماعات الاسلامية في أيلول عام ١٩٨١، ثم أطلق سراحه حسني مبارك بعد اغتيال السادات على يد خالد الاسلامبولي. وأخذ الاخوان يمارسون نشاطهم علناً تحت قيادته حتى وافته المنية في القاهرة في عصر يوم الخميس (٢٢ أيار/ ١٩٨٦) عن عمر ناهز الثانية والثمانين اثر اصابته بأمراض في الكلية والكبد.
والجدير بالذكر ان عمر التلمساني رغم شهرته كزعيم للاخوان لم ينتخب بصورة قانونية مرشداً للاخوان، إنما أوكل إليه هذا الأمر لسنه وتاريخه في الجماعة. وكان كثير من زعماء الاخوان غير موافقين على هذا الاختيار، ويقولون انه لم ينتخب مطلقاً بصورة رسمية مرشداً للاخوان (من لقاء المؤلف مع ابراهيم المصري، بيروت).

(٩١) مجلة الدعوة الناطقة باسم الاخوان، العدد ٣١، القاهرة، نوفمبر ١٩٧٨.

يضمر له شراً ولا يزاحمه حكماً ولا يتربص به دائرة . . . وهو لا يدعو إلا إلى تطبيق شرع الله ، ويعتبر نفسه «جندياً مخلصاً لكل حاكم يأخذ شعبه بشرع الله» . ويضيف قائلاً : «ان غيرنا من الأحزاب والهيئات ينازعونكم حكمكم ويريدون سلبكم اياه ، أما الاخوان المسلمون فانهم يتمنون لكم الطمأنينة من أعماق قلوبهم ليكونوا أنصاراً لكم إذ يدعونكم إلى الاصلاح فتستجيبون . . .»(٩٢) .

ويذكر التلمساني السادات فيقول : «اني ما مسست السادات بسوء . وطوال معارضتي له ، كنت موضوعياً صرفاً ، لا شأن لي بالشخصيات ، وكان البعض يعاتبني لما قلت له اني أتمنى أن يطول عهد حكمك إلى أبعد مدى ، وكان هذا احساسي نحوه حقاً ، لأننا في مدة حكمه أعدنا اصدار مجلة (الدعوة) في ثوبها القشيب ، وكنا نقيم الاحتفالات في المناسبات الدينية وغيرها ، ونقول فيها ما نشاء في جرأة ووضوح ، لا نخشى فيما نقول إلا الله ، أو لعلها كانت أمنية خاطئة فقد لقيت من السادات حسن ظني به ، ومن ذا الذي لا يخطئ الظن ، وبعض الظن اثم»(٩٣) .

واستمر التعايش السلمي بين الاخوان والنظام حتى عام ١٩٧٨ ، ثم بدأت بعد ذلك مرحلة جديدة بخصائص مختلفة استمرت حتى عام ١٩٨١ . وفي هذه المرحلة برزت حادثتان مهمتان أثرتا في العلاقة بين الطرفين ، هما : أ ـ توقيع اتفاقية الصلح مع اسرائيل . ب ـ انتصار الثورة الاسلامية الايرانية ومنح اللجوء للشاه المقبور .

وكان الاتفاق مع «اليهود»(٩٤) العدو الديني والتاريخي التقليدي للاخوان من الخطوات التي خطاها السادات ولم يستطع الاخوان تأييدها(٩٥) . ورغم تعكير

---

(٩٢) المصدر نفسه ، العدد ٢٧ آب ١٩٧٨ .

(٩٣) عمر التلمساني ، أيام مع السادات ، القاهرة ، ص٣٥ .

(٩٤) يعتقد الاخوان ان قضية فلسطين واحتلال اسرائيل لها هي قضية دينية تاريخية ، وهم يبغضون اليهود كثيراً ، وسنعرض لذلك لاحقاً .

(٩٥) الورداني صالح ، المصدر السابق ، ص٥٧ . يصف أحد الكتاب المعروفين موقف الاخوان من السادات في توقيعه معاهدة كامب ديفيد بقوله : «كان موقفهم من معاهدة كامب ديفيد كمن يمسك العصا من وسطها» .

هذا الأمـر للعـلاقـات بين الطرفين ، إلا أنه لم يكـن وحـده سـبـبـاً لقطع العـلاقـة بينهـمـا ، بل كـانت هنـاك أمور أخرى أزمت الأوضـاع بشكل جـدي ، ومنهـا الآثار الثقـافيـة السيـئة النـاتجة مـن سيـاسـة الأبواب المفتـوحـة على الفـحـشـاء والانفـلات الاخلاقي الذي أدت فيه جيهان السادات دوراً أساسياً .

ومنها أيضاً النتائج الاقتصادية والاجتماعية السلبية لهذه السياسة التي أدت إلى توسيع الهوة بين الأغنياء والفقراء ، وافراط السادات في دكتاتوريته واظهاره لنفسه باعتباره الأب الأكبر للعائلة المصرية وتأكيده على التقليد السائد في القرى المصـرية القـائم على الاطاعـة المطلقـة لرب العـائلة ، وتظاهره بـتـزعـمـه للاسـلام والمسلمين باضافـة اسم (مـحـمـد) إلى اسـمـه وتلقـبـه بالرئيس المؤمن وادائه المظاهر الصـوفيـة في التلفزيون ولبـسه العبـاءة وحـمله المسبـحة وربطه حزامـاً أخضـر حـول خصـره ، وتشكيله لجنة برلمانية لاقـتراحه كـخليفة خـامس للخلفاء الراشـدين ، ومـا إلى ذلك ، وكـذلك دعـوة السـادات للشاه المقبـور إلى مصـر ومنحـه اللجـوء بعـد انتصـار الثـورة الاسـلاميـة . إلى جـانـب ذلك فـان هذه الأمـور اضطرت جـمـاعـات الطلاب التي كانـت بمثابة أداة الدولة للضغط على التيارات اليسارية والقومية إلى تغيير مواقفها لانها تحملت الضغوط بسبب مساندتها للدولة ، ثم أوقعت الخلاف بينها[٩٦] .

ومن جـانـب آخر كان استـهـزاء السـادات بالحجاب الاسـلامي واهانته لكـبار العلمـاء والخطبـاء في خطبـة استـغـرقت ثلاث سـاعـات ألقـاها بعـد اعتـقـالهـم سببـاً للتعجيل في انقضاء شهر العسل بين الجماعات الاسلامية والنظام[٩٧] .

«وأخـيـراً أدت حـركـة الإخـوان بعض الوظائف السـيـاسـيـة التي أرادها

---

(٩٦) للتوسع في معرفة أوضاع طلاب الجامعات المصرية وانشقاقهم ومواجهتهم مع النظام المصري يراجع : محمد بدر بدر ، الجماعة الاسلامية في جامعات مصر ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨١ .

(٩٧) يشبه أحد المؤلفين علاقة الاخوان بالحكومة المصرية بالزواج المؤقت ، ويقول : «ونحن نستطيع التأكيد ان علاقة السادات بالاخوان المسلمين خلال الفترة الممتدة من ١٩٧٤ حتى ١٩٨١ ، كانت شبيهة بعلاقات زواج المتعة ، وهو زواج مؤقت ينهيه الزوج بمجرد انتهاء أغراضه منه دون أية حقوق للزوجة» المهدوي ، المصدر السابق .

الســادات ، وعندمـا همـت أن تـخـرج برأسـهـا خـارج الإطار السـيـاسي المرسـوم لـهـا سلفاً ، عجل النظام بضربها في الثالث من أيلول/ سبتمبر ١٩٨١»(٩٨) .

وبادر السادات إلى وصف حلفائه السابقين بانهم من أنصار الامام الخميني والثورة الاسلامية الايرانية ، وحذر بانه لن يسمح بتكرار ثورة ايران في مصر . وهكذا دفع الاخوان المسلمون الثمن الباهظ لسياسة المساومة والمراهنة التي مارسها زعماؤهم ، وصرح احدهم إزاء المحكمة قائلاً : «لو كان عبد الناصر موجوداً لضرب على رؤوسنا بمطرقة من حديد ، ولكن السادات شنقنا بحبل من حرير» .

ومع مقتل السادات ، وارتقاء حسني مبارك سدة الحكم ، يتكرر هذا الاسلوب نفسه دون الاعتبار بالماضي(٩٩) . ففي الشهر الأول من توليه رئاسة الجمهورية أطلق حسني مبارك سراح جميع كوادر الاخوان المسلمين وأعضائهم ، وعلى رأسهم عمر التلمساني .

وذهب التلمساني إلى قصر (العروبة) والتقى مطولاً بمبارك في محل اقامته . وبعد هذا اللقاء صرح قائلاً : «ان الرئيس مبارك قد بدأ حكمه بداية تبشر بالخير ، وأنا أدعو جميع قادة الرأي ورؤساء الأحزاب في مصر ان يتكاتفوا معه حتى تمر سفينة البلاد بسلام ، وأنا على أتم الاستعداد لمعاونة الرئيس مبارك ، وسألتقي به في فرصة قريبة وأتعاون معه على قدر ما أستطيع»(١٠٠) .

وفي هذا اللقاء يدين التلمساني اغتيال السادات ، ويقول : «جماعة الاخوان أبعد الجماعات عن العنف ، والسلف الصالح لا يرى ان يقاوم الحاكم بالسلاح حتى لو كان فاسقاً أو ظالماً . . . نحن ننكر هذه الناحية ، ولم يحدث في

---

(٩٨) رفعت ، سيد أحمد ، المصدر السابق ، ص١٠٢ .

(٩٩) «وإذا كان المؤمن لا يلدغ من ذات الجحر مرتين» فان الاخوان المسلمين رغم انهم قد لدغوا عدة مرات من جحر المناورات السياسية سواء أثناء النظام الملكي أو أثناء النظام الجمهوري بعهديه الناصري والساداتي ، الأمر الذي تمثل في سقوط ما يزيد على ثلثمائة قتيل من بين قيادات وكوادر الاخوان المسلمين ، سواء برصاص الاغتيال السلطوي أو في زنازن السجون والمعتقلات ، أو على حبل المشنقة ، ومع ذلك فقد عاود الاخوان المسلمون الكرّة من جديد في عهد مبارك واضعين أيديهم بمشاركة فاعليات بعينها داخل الجحر نفسه ولعلهم لا يدركون» . المهدوي ، طارق ، الاخوان المسلمون على مذبحة المناورة ، مصدر سابق ص١٠ .

(١٠٠) لقاء مع عمر التلمساني ، مجلة المصور ، القاهرة ، ١/ ١/ ١٩٨٢ .

يوم من الأيام ان بدأ الاخوان صداماً ، نحن لسنا في صراع مع أحد . . . وكل ظواهر العنف لم تظهر إلا في غيبة الاخوان»(١٠١) .

وفي معرض رده على سؤال حول تغير طبيعة النظام المصري بوصول مبارك إلى سدة الحكم يقول : «بدأ حسني مبارك بداية تبشر بخير ولعله يمنح كل الحريات للشعب المصري . . . انني أعرف حسني مبارك منذ كان نائباً لأنور السادات ، والتقيت به مرات عدة ، انه رجل صالح وذكي ويدرك ما يريد ، ولا يعير اهتماماً لما يقال بشأن الآخرين ، بل ما يعمله هو المهم لديه ، وهذا يدل على تحول كبير»(١٠٢) ، ويقول أيضاً : «ان ما نعانيه هو رواسب ثلاثين سنة مضت ، وتترسب هذه الكوارث على هذا البلد كارثة بعد كارثة والعهد الحالي عهد مبارك يحاول ان يصلح وانني أدعو الشعب جميعاً ان يتعاون مع كل من يحاول الاصلاح»(١٠٣) .

وقد دخل الاخوان المجلس التشريعي بموجب صفقة خاصة مع الرئيس مبارك تقضي بأن يتوقف الاخوان عن معاداة النظام ككل ، ويتاح لهم في المقابل حرية الحركة ، على أن يلتزم مبارك باتاحة هامش محدود للمعارضة لتعبر عن مواقفها ، وهو الهامش الذي يضيق أحياناً ليصل إلى مصادرة صحيفة معارضة أو كتاب . كما سمحت الحكومة بوجود رموز للاخوان تحت قبة البرلمان ووجود شركات اسلامية تعمل بحرية تامة تصل إلى حد التحكم في السياسة الاقتصادية في مصر . وإذا كان الاخوان المسلمون قد استخدموا حزب الوفد كوسيلة نقل ركبوها لدخول البرلمان عام ١٩٨٤ كما يقول الشيخ صلاح أبو اسماعيل النائب البرلماني وأحد رموز التيار الديني ، فان نشاطهم في عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ مكنهم من الابتعاد عن حزب الوفد وتأجير حزبي العمل الاشتراكي والاحرار لمصلحة خدمة أهدافهم . .(١٠٤) .

---

(١٠١) مجلة المجلة ، لندن ، العدد ٢٢٥ ، ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٤ .

(١٠٢) مجلة المجلة ، لندن ، ١٦/ ١/ ١٩٨٢ .

(١٠٣) مجلة المجلة ، لندن ، ١٦// ١/ ١٩٨٢ .

(١٠٤) مجلة الكفاح العربي ، بيروت ، العدد ٥١٧ ، ١٣ حزيران ١٩٨٨ ، ص٢٦ .

«ووفق المعلومات المؤكدة فان حزب العمل حصل على ما يزيد على ثلاثة ملايين جنيه نظير ادراج أسماء الاخوان المسلمين على قوائمه خلال انتخابات نيسان/ ١٩٨٦ ، كما حصلت صحيفة (الشعب) لسان حال حزب العمل على مليون جنيه دعماً عينياً لتقديم أفكار التيار الديني وبالتحديد الاخوان المسلمين (المصدر أعلاه) .

وفي الوقت الراهن يهتم الاخوان بالقضايا التجارية وبتأسيس الشركات الاقتصادية الكبرى وبلعبة (تطبيق الشريعة) وتركوا للنظام ان ينشط في قمع الجماعات الاسلامية الأخرى .

## المرحلة الرابعة

أحدثت حرب الخليج الثانية بتطوراتها الخطيرة على المستوى العالمي عموماً ، وفي المنطقة بشكل خاص ، تحولات كبيرة في جماعة الاخوان ، وأدت إلى حدوث تغييرات في تركيبتها الداخلية وفي مواقفها وعلاقاتها مع الحركات الأخرى ، وما زالت هذه التغييرات مستمرة حتى الآن .

ونظراً إلى تسارع أحداث هذه الحرب واتساع آثارها وتطوراتها ، فقد رأينا أن نؤجل البحث في هذا الموضوع إلى مكان آخر في الكتاب .

## الفصل الثالث

# عوامل الالتقاء والافتراق
# بين الحركتين الإسلاميتين

قبل الحديث عن طبيعة العلاقات بين الحركة الاسلامية الايرانية وجماعة الاخوان المسلمين في الفترة التي أعقبت انتصار الثورة ، نرى من الضروري ان نبحث العوامل المساعدة وغير المساعدة على اقامة العلاقات بين الحركتين المذكورتين ، وبعبارة أخرى نبحث عناصر الالتقاء والافتراق بينهما . ونبدأ حديثنا بعناصر الالتقاء التي تسهم بداهة في التقريب بين الحركتين ثم نتحول إلى عناصر الافتراق التي تحول دون توطيد العلاقة بينهما .

## القسم الأول :
## عناصر الالتقاء بين الحركتين

تتجسد هذه العناصر في ما يلي :

### الفكر الوحدوي عند الحركتين

يأتي تأكيد الوحدة بين المذاهب الاسلامية والتقريب بينها في طليعة مبادئ الاخوان ، إذ «لم تمتد آثار الأسر المذهبي إلى الاخوان لا في كتاباتهم ولا في تأصيلهم الفكري الحركي»[1] ، «وان جماعة الاخوان المسلمين لم تدخل يوماً في

١) مكي ، محمد أحمد ، حركة الاخوان المسلمين في السودان ، جامعة الخرطوم ، ص١١٤ .

صراع مذهبي بأي شكل من الأشكال»[٢] . وقد ميّز هذا الأمر الاخوان المسلمين عن سائر الحركات السنية الأخرى ، وشكّل عاملاً مهماً في التقريب بينها وبين الحركة الاسلامية الايرانية . واللافت للنظر هنا ان الاخوان حافظوا على مبدئهم هذا رغم كل المطبات التي مرّوا بها ، ورغم بساطة بعض قادة هذه الحركة ونفوذ بعض دعاة التفرقة من اتباع الحكومات المختلفة وما إلى ذلك ، وحتى الآن لم يعرف عنهم انهم وقفوا موقفاً رسمياً وعلنياً ضد الشيعة أو ضد أي فرقة اسلامية أخرى . وثمة عبارة هي أشهر ما نقل عن البنّا ، ولا يزال الاخوان يتخذونها مناراً لهم في عملهم ، يقول فيها : «دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه»[٣] .

و«لم يلزم البنّا نفسه ولا غيره بخط مذهبي معين وكان أبداً يميل إلى المصالحة والتوفيق بين الآراء ، وكان يجري أبداً وراء ما يجمع . ولربما لهذا السبب ـ الميل إلى العملية والبعد عن مواطن الخلاف ـ انحصر أدب الحركة الاسلامية الذي يعالج قضايا فلسفية أو عقائدية ، ولا تكاد تجد عملاً مميزاً غير رسالة (العقائد) للبنّا نفسه . وكما قلنا لم ينتمِ (البنا) إلى مدرسة فقهية ، وحصر جهده في التأصيل الفكري والحركي والتربوي الذي يستتبعه عمل»[٤] .

وفي هذا السياق يبيّن حسن البنا منهج حركته في رسالة (دعوتنا) فيقول :

١ ـ «إن دعوة الاخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة ولا تنحاز إلى رأي عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة ، وهي تتوجه إلى صميم الدين ولبه . فدعوة الاخوان دعوة بيضاء نقية غير ملوثة بلون ، وهي مع الحق أينما كان ، تحب الاجماع وتكره الشذوذ . وان أعظم ما مني به المسلمون الفرقة والخلاف ، وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة ، ولن يصلح

---

(٢) التلمساني ، عمر ، مجلة الدعوة ، ص١٢ .

(٣) البنا ، حسن ، رسالة (دعوتنا) ، القاهرة .

(٤) مكي ، محمد أحمد ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .

آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم وعقيدة راسخة في نفوسنا نصدر عنها وندعو إليها»[٥] .

٢ ـ «ونحن مع هذا نعتقد ان الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه ولا يمكن ان نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة ، منها اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفها في ادراك الدلائل والجهل بل والغوص للبحث عن أعماق المعاني وارتباط الحقائق بعضها ببعض والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها . . . والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف . ومنها سعة العلم وضيقه ، وان هذا بلغه من العلم ما لم يبلغه ذلك والآخر شأنه كذلك . وقد قال مالك لأبي جعفر : ان أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في الامصار وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة . ومنها اختلاف البيئات حتى ان التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة ، وانك لترى الامام الشافعي (رضي الله عنه) يفتي بالقديم في العراق ، ويفتي بالجديد في مصر ، وهو في كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو ان يتحرى الحق في كليهما . ومنها اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقين لها . فبينما نجد هذا الراوي ثقة عند هذا الامام تطمئن إليه نفسك وتطيب بالأخذ عنه ، تراه مجروحاً عند غيره لما علم عن حاله . ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدماً على خبر الاحاد مثلاً ، وذاك يقول معه به . . . وهكذا»[٦] .

كل هذه الأسباب جعلت الاخوان المسلمين لا يعتقدون ان الاجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب ممكن الوصول إليه ، بل هو مطلب مستحيل ، بل هو مطلب يتنافى مع طبيعة الدين فقد أراد الله بهذا الدين ان يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الأزمان وثروة الفقه والاجتهاد هي وسيلة لبقائه ، بخاصة انه سهل ومرن وهين ولين ، لا جمود فيه ولا تشديد[٧] .

(٥) شبلي ، رؤوف ، مدرسة الاخوان المسلمين ، ص٤٥٤ ، نقلاً عن رسالة (دعوتنا) .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ص٤٥٥ .

«انهم يعتقدون ان الاختلاف قد وقع ولا مفر من بقائه . فهم يلتمسون العذر كل العذر لمن يخالف في الفرعيات ، وان الخلاف في الفرعيات لا يكون حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير فكلنا مطالبون بأن يحب بعضنا للبعض الآخر ما يحب لنفسه ، ففيم الخلاف إذن؟ ان أصحاب رسول الله (ص) كان يخالف بعضهم بعضاً في الافتاء وما أوقع ذلك اختلافاً بينهم في القلوب ولا تفرقت وحدتهم أو رابطتهم ولا تأثرت قوة صفوفهم . وإذا كان هؤلاء اختلفوا وما تفككوا ، فلم لا نكون تبعاً لهم ونقتدي بهم عند الخلاف في الفرعيات؟ وثمة أمر آخر : ان الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى الخليفة وشرطة الامامة فيقضي بينهم ويرفع حكمه الخلاف الذي قام بينهم ، فلم لا نكون مثلهم؟» .

موقف الاخوان بايجاز ، وبايجاز بليغ من مسألة الخلافيات هو انهم يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأي ويحاولون الوصول إلى الحق ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب[٨] .

٣ ـ وتقليد غير المجتهدين من الاخوان مشروط بشروط هي ان الاخوان ليسوا اتباعاً لامام معين من أئمة الفقه الأربعة ، فكل الأئمة عدول ، وبالتالي ، فلا تعصب لمذهب معين مع ضرورة السعي لمعرفة الدليل وراء كل حكم ، فـ «لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الاحكام الفرعية ان يتبع إماماً من أئمة الدين ويحسن به مع هذا الاتباع ان يجتهد ما استطاع في تعرف الأدلة»[٩] .

ويرى الشيخ البنا أن «الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره»[١٠] .

وهكذا فان البنا كان واقعياً في نظرته إلى الخلافات المذهبية الموجودة ،

(٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٧ .
(٩) البنا ، حسن «مجموعة رسائل الامام الشهيد ، رسالة التعاليم ، ص ٨ ، ٩ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص٩ .

وهو يقـول : «انهم يعتقـدون ان الاختـلاف قـد وقع ولا مفـر من بقـائه ، فـهـم يلتمسون العذر كل العذر لمن يخالف في الفرعيات ، وان الخلاف في الفرعيات لا يكون حـائلاً دون ارتبـاط القلوب وتبـادل الحب والتعـاون على الخـيـر . فكلنا مطالبون بأن يـحب بعضنا للبعض الآخر ما يحب لنفسه ، ففيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا نتـفـاهـم في جـو الصـفـاء والحب إذا كـان هناك مـا يدعـو إلى التفاهم؟»[11] .

وكما أشرنا آنفاً فقد استمر زعماء الاخوان على هذا النهج . ومن هنا يقول التلمساني : «ان الخلاف بين الشيعة والسنة ليس جذرياً ولا يمس الأصول في شيء ، أي يجمعنا أمر واحد هو «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» فهذا الذي يجمع السنة والشيعة وليختلفوا بعد ذلك ما يشاؤون ، أي أن الاختلاف في الفرعيات فقط وليس الأصول . فلا يستطيع أحد أن يقول إن صلاة الفجر ثلاث ركعات مثلاً أو أن المغرب أربع ، فالأصول هي الأصول ، وهذه ميزة الاسلام ، فقد أعطانا الحرية الكاملة لنستعمل عقولنا في استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة كما نشاء» .

ويستدل عمر التلمساني بهدي مؤسس الجماعة ويقول : «وقد كان الامام الشهيد (حسن البنا) رضوان الله عليه ، شديد الحرص على قيام الوحدة الاسلامية . ولا يزال الاخوان المسلمون وسيظلون يعملون لقيام هذه الوحدة مهما لاقوا في سبيل هذا المطلب الجليل لأن المسلمين أمة واحدة بنص القرآن : ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة﴾ (الانبياء ، الآية ٩٢)» .

ويضيف قائلاً : «وسألناه يوماً عن مدى الخلاف بين أهل السنة والشيعة ، فنهانا عن الدخول في مثل هذه المسائل الشائكة التي لا يليق بالمسلمين أن يشغلوا أنفسهم بها ، والمسلمون على ما نرى من تنابذ ، يعمل أعداء الاسلام على اشعال ناره . قلنا لفضيلته : نحن لا نسأل عن هذا التعصب أو توسعة لهوة الخلاف بين المسلمين ، ولكننا نسأل للعلم ، لأن ما بين السنة والشيعة من خلاف مذكور في

(١١) شبلي ، رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

مؤلفات لا حصر لها وليس لدينا من سعة الوقت ما يكمننا من البحث في تلك المراجع . فقال رضوان الله عليه : اعلموا ان أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وهذا أصل العقيدة ، والسنة والشيعة فيه سواء ، واما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيما بينهما . . . قلنا : وما مثال ذلك؟ قال : الشيعة فرق تشبه على التقريب ما بين المذاهب الأربعة عند أهل السنة ؛ فالشيعة الامامية مثلاً يقولون ان الامامة أصل لازم في الاسلام ولا بد من تحققه . وهم لا يقاتلون إلا مع امامهم لأن الامام هو الذي يحافظ على الشريعة وقوله فصل في أحكامه وطاعته ملزمة على الاطلاق ، وهناك بعض الفوارق من الممكن ازالتها كنكاح المتعة وعدد زوجات المسلم والمطلاق . وذلك عند بعض فرقهم وما أشبه لك مما يجب أن لا نجعله سبباً للقطيعة بين أهل السنة والشيعة . ولقد قام المذهبان جنباً إلى جنب مئات السنين دون أن يحصل احتكاك بينهما إلا في المؤلفات ، مع العلم بان أئمتهم قد أثروا التأليف الاسلامي ثروة لا تزال المكتبات تعج بها (انتهى رأي الامام الشهيد) ومن الخير ديناً ألا نشتغل بأمر يوسع هوة الخلاف بين الشيعة والسنة وهو هدف من أهداف أعداء الاسلام فيجب أن لا نخوض في هذه المسألة اليوم حتى يصفو الجو وتعود الحياة إلى مجاريها وحينذاك ينشط كل من الفريقين في بيان وجهة نظره ان شاء ، وقد اكتفينا بهذا القدر من مناقشة ذلك الموضوع تنفيذاً لأسلوب الامام الشهيد في القضاء على الخلاف بين المسلمين»[١٢] .

ويذهب عمر التلمساني في تأكيده الوحدة ورفضه للتفرقة إلى حد القول : «ان البخاري ومسلم وأمثالهما جاؤوا من صميم العالم الاسلامي من ايران ومن ما وراء ايران من جمهوريات روسيا الاسلامية . والفقه الشيعي أغنى العالم الاسلامي من حيث التفكير»[١٣] .

وفي هذا المجال يقول عبد الرحمن خليفة زعيم الاخوان المسلمين في الأردن : «ان الخلاف بين السنة والشيعة بدأ بشيء ضيق وهو التشيع لآل البيت .

---

(١٢) التلمساني ، عمر ، ذكريات لا مذكرات ، ص ٢٤٠ ـ ٢٥٠ .

(١٣) التلمساني ، عمر ، مجلة العالم ، لندن ، العدد ٩١ .

وإذا كان التشيع لآل البيت هو التشيع ، فكلنا نتشيع لآل البيت اكراماً لرسول الله (ص) . ولكن الخلاف في الرأي قد يوجد عند العلماء والأكثر علماً ويجب ان لا يكون الخلاف في الرأي سبباً للقطيعة والتحجر في العلاقات والابتعاد عن بعضهم البعض ، بالاضافة إلى أن هناك من الطرفين من يجهلون أمور الدين فيجب ألا نأخذ هذه الخلافات التي تصل إلى درجة لا يقرها الاسلام على أنها خلافات ، وإنما هي بعض الانحراف نرجو من أهل السنة ومن أهل الشيعة ان يقضوا عليه ، وامامنا حسن البنا كان من رأيه ازالة هذه الخلافات»[١٤] .

وفي كتاب «كيف نفهم الاسلام» يقول الشيخ محمد الغزالي ، وهو من المفكرين البارزين في جماعة الاخوان : «ولم تنتج العقائد من عقبى الاضطراب الذي أصاب سياسة الحكم ، ذلك ان شهوات الاستعلاء والاستئثار أقحمت فيها ما ليس منها ، فإذا المسلمون قسمان كبيران ، شيعة وسنة ، مع ان الفريقين يؤمنان بالله وحده وبرسالة محمد (ص) ولا يزيد أحدهما على الآخر في استجماع عناصر الاعتقاد التي يصلح بها الدين وتلتمس النجاة» .

ثم يقول في الصفحة نفسها : «ومع اني أذهب في كثير من أحكامي على الأمور مذاهب غير ما يرى الشيعة فلست أعد رأيي ديناً يأثم المخالف له ، وكذلك موقفي بالنسبة لبعض الآراء الفقهية الشائعة بين السنة» .

ويقول في موضع آخر : «وكان خاتمة المطاف ان جعل الشقاق بين الشيعة والسنة متصلاً بأصول العقيدة ، ليتمزق الدين الواحد مزقتين ، وتتشعب الأمة الواحدة إلى شعبتين كلاهما يتربص بالآخر الدوائر بل يتربص به ريب المنون ، ان كل امرئ يعين على هذه الفرقة بكلمة فهو ممن تتناولهم الآية : ﴿ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (الانعام ، الآية ١٥٩) ، وأعرف ان المسابقة في التكفير ميسورة في باب الجدل وان الزام الخصم بالكفر نتيجة رأي يقول به أمر سهل في حمى النقاش» .

---

(١٤) خليفة ، محمد عبد الرحمن ، مجلة العالم ، العدد ٤٠٥ ، نوفمبر ١٩٩١م .

ثم يقول الغزالي : «فان الفريقين يقيمان صلتهما بالاسلام على الايمان بكتاب الله وسنة رسوله ويتفقان اتفاقاً مطلقاً على الأصول الجامعة في هذا الدين . فان اشتجرت الآراء بعد ذلك في الفروع الفقهية والتشريعية فان مذاهب المسلمين كلها سواء في ان للمجتهد أجره أخطأ أم أصاب» . ثم يواصل قائلاً : «وعندما ندخل مجال الفقه المقارن ونعيش الشقة التي يحدثها الخلاف الفقهي بين رأي ورأي أو بين تصحيح حديث وتضعيفه نجد ان المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي . . . نحن نرى الجميع سواء في نشدان الحقيقة ، وان اختلفت الأساليب»(١٥) .

أما في كتاب «نظرات في القرآن» للشيخ الغزالي أيضاً نجده يورد أقوالاً لأحد علماء الشيعة وفي هامش الصفحة ٧٩ يقول عنه : «من فقهاء الشيعة وادبائهم الكبار ، وقد تعهدنا ايراد كلامه كله لأن بعض القاصرين يفهمون ان الشيعة قوم غرباء عن الاسلام منحرفون عن صراطه . وسيأتي في باب الاعجاز ما يزيد معرفة بالقوم» . ويقول في هامش الصفحة ١٥٨ عند تعريفه بعالم آخر (هبة الدين الحسيني) : «من علماء الشيعة الاجلاء ، وقد تعمدنا نشر الخلاصة كاملة ليستبين القارئ المسلم مبلغ فقه هذا العالم بطبيعة الاعجاز وبالتالي مبلغ تقديس الشيعة لكتاب الله»(١٦) .

ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان أحد أهم رجال الاخوان المسلمين في العراق في كتابه : «المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية» الصفحة ١٧٦ : «أدلة الفقه في المذهب الجعفري هي الكتاب والسنة والاجماع والعقل» . وفي الصفحة ١٧٨ يقول : «ويوجد المذهب الجعفري في ايران والعراق والهند وباكستان وفي لبنان وله اتباع في الشام أيضاً وغيرها من البلاد وليس بين الفقه الجعفري والمذاهب الأخرى من الاختلافات أكثر من الاختلاف بين أي مذهب وآخر ، إلا أن الفقه الجعفري انفرد عن المذاهب التي تكلمنا عنها بمسائل قليلة جداً لعل من أشهرها

(١٥) الغزالي ، محمد ، كيف نفهم الاسلام ، ص ١٤٢ ـ ١٤٥ .
(١٦) الغزالي ، محمد ، نظرات في القرآن ، ص٧٩ .

جواز نكاح المتعة ، أي النكاح المؤقت في المذهب الجعفري وعدم جوازه في المذاهب الخمسة التي مر ذكرها»[١٧] .

وتقول السيدة زينب الغزالي ، وهي من الشخصيات البارزة في الاخوان المسلمين في معرض ردها على سؤال مجلة «العالم» عن رأيها في مشكلة التفريق بين المذاهب الاسلامية : «لا شك ان هذه مؤامرة صهيونية ، وانني أرى ان الشيعة الجعفرية والزيدية مذهبان اسلاميان مثل المذاهب الأربعة لدى السنة . وعلى عقلاء السنة والشيعة وعلى قيادات السنة والشيعة ان يجتمعوا في صعيد واحد وان يتفاهموا وان يتعاونوا على ربط المذاهب الأربعة والمذهب الشيعي بعضها ببعض ، وكذلك مذهب الظاهرية لابن حزم ، وأدعو إلى اجتماع علماء الاسلام من كل المذاهب للتصدي لتلك المؤامرة الصهيونية . ولي أنا شخصياً تجربة في هذه المسألة ، فقبل عام ١٩٥٢ كانت هناك جماعة التقريب بين المذاهب ، والتي كان يشرف عليها الشيخ محمود شلتوت والشيخ القمي ، وقد شاركت في عمل تلك الجماعة وبمباركة الامام الشهيد حسن البنا الذي كان يرى ان المسلمين سنة وشيعة أمة واحدة وان الخلاف المذهبي لا يفرق وحدة الأمة ، وكان كل الاخوان المسلمين متعاونين مع هذه الجماعة على أساس أن الاسلام يد واحدة ، اله واحد ، كتاب واحد ، رسول واحد ، حلال واحد ، حرام واحد ، نظام سياسي واحد ، نظام اقتصادي واحد ، نظام اجتماعي واحد ، دولة واحدة من أجل تطهير العالم من الظلم والزور والخديعة التي تمارسها القوتان الكبريان ، ويجب ان يكون الشيعة والسنة على قلب واحد»[١٨] .

ويقول راشد الغنوشي : «ان الصراع بين السنة والشيعة من المشكلات الوهمية التي تظهر مع سيادة التقليد ويستعاض بها عن المشاكل الحقيقية الواقعية بعد أن يختفي الفكر ويختفي الابداع»[١٩] .

---

(١٧) زيدان ، عبد الكريم ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ١٧٦ ، ١٧٨ .

(١٨) الغزالي ، زينب ، مجلة العالم ، العدد ٥٨ ، لندن .

(١٩) الغنوشي ، راشد ، مجلة الطليعة الاسلامية ، العدد ٢٦ ، القاهرة ، مارس ١٩٨٥ .

وقبل ان نتحدث عن النظرة الوحدوية لدى الحركة الاسلامية الايرانية ، نتقل قسماً من تحليل الاخوان المسلمين في لبنان لموقفهم في هذا المجال :

«يتفق الجميع على الأسلوب المقبول ، بل الاسلوب العملي الوحيد للتعامل مع الشيعة هو الاعتدال ، لأن أي أسلوب آخر سيجر إلى انشغال الحركة الاسلامية بصراع مذهبي مرير ، وبالتالي إلى الانحراف عن الهدف الأساس . وسيكون المجتمع العراقي الضحية الأولى لهذا الصراع بسبب تركيبته الطائفية الحساسة . والطريق الوسط الذي ندعو إليه هو طرح الاسلام بصورة عامة وتوجيه الناس نحو لأهداف العامة للاسلام وطرح الأهداف الوطنية التي تجمع فئات المجتمع حولها . وليس هدفنا من هذا الأسلوب ان نبعد الشيعة عن خصائصهم المذهبية ، إنما هو تكوين تيار شيعي معتدل يساعد على الوصول إلى الأهداف الأساسية المذكورة عن طريق تثبيت عناصر عقائدية مشتركة بين الجانبين . فهي السبيل الأفضل لرأب الصدع وترسيخ أسباب الوحدة إلى أبعد الحدود . ونحن نعتقد ان الظهور بمظهر العداء للشيعة واستفزازهم في عقيدتهم لن يكون في مصلحة هذه الدعوة ، فمثل هذا الأسلوب سيحد من عمل المسلمين ويخنق أصواتهم بالطائفية ويقطع عليهم سبل التوسع بدعوتهم في صفوف المجتمع . ولن يثمر هذا الأسلوب الذي ندعو إليه في فترة قصيرة ، فالبدع والانحرافات العميقة الموجودة في المجتمع الشيعي واصلاحها في سبيل تحقيق الأهداف المطلوبة تتطلب صبراً ومثابرة ، اضافة إلى الأصوات المشؤومة التي ستنطلق لا محالة وتوقف العمل قبل ان يؤتي ثماره . ومن ثم فمن الضروري ان تعطى الفرصة الكافية لايجاد التغيير المطلوب في المجتمع الشيعي» .

ونبني على ما سبق ان يكون منهج الاعتدال هو المناسب والمقبول والمتاح من الناحية العملية لأن نقيض ذاك سيؤدي إلى اشعال الحروب أو على الأقل اشغال الحركة الاسلامية بصراع مذهبي مرير يصرفها عن أهدافها الأساسية ويؤدي إلى عواقب وخيمة في بعض المجتمعات العربية بسبب التركيبة المذهبية الموجودة في هذه المجتمعات .

ان هذا المنهج لا يؤدي إلى تحويل الشيعة عن مذهبهم ، ولكن يمكن أن يؤدي إلى ترك الغلو الشيعي وخلق مناخ عام معتدل ، وذلك من خلال الموقف الشرعي في التعامل مع الناس عامة والمسلمين خاصة ، فليس من مصلحة الدعوة الظهور بمظهر الخصم المعادي والمناوئ لبعض المذاهب الاسلامية .

وهذا الاعتدال لا يعني القول بسلامة معتقداتهم من البدع أو الثقة الكاملة بكل ما يصدر عنهم ، وذلك لوجود مبدأ التقية عندهم ، ومن ثم يجب ان يقترن هذا المنهج بتوعية الأفراد بحقيقة المذهب الشيعي والفوارق الرئيسية بينهم وبين أهل السنة .

ان منهج الاعتدال مبني على الرأي الشرعي في عدم تكفير الشيعة ، فأئمة أهل السنة ، كالإمام أحمد وابن تيمية ، قد صرحا بعدم كفرهم على الرغم من وضوح معتقداتهم عندهما ، وأخصها القول بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نصّ على خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من بعده بنص قاطع ، وانه إمام معصوم من خالفه فقد كفر ، وان المهاجرين والأنصار كتموا هذا النص وبدلوا في الدين وغيروا في الشريعة أو كفروا إلا قليلاً منهم[١٩] .

## الشيعة والوحدة الاسلامية

جعلت الحركة الشيعية استراتيجيتها قائمة على أساس الدعوة إلى الوحدة والابتعاد عن أي نوع من الصراع المذهبي على الرغم من كل الضغوط والمؤامرات التي تواجهها من عملاء الاستعمار ، ويبدو هذا الأمر جلياً من خلال العلاقة الوثيقة التي قامت بين آية الله كاشاني وآية الله القمي ونواب صفوي من جهة ، وبين بعض علماء الأزهر ومؤسسي جماعة الاخوان المسلمين من جهة أخرى ، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد .

وكان زعيم الحركة الشيعية الأبرز الامام الخميني سبّاقاً في هذا المجال ، إذ دأب على مواجهة عناصر التفرقة وفضح أساليبهم . وهو يعتقد «ان الايادي

(١٩) تحليل داخلي للجماعة الإسلامية في لبنان ، غير منشور ، مصدر سابق .

القذرة التي تثير الخلافات بين السنة والشيعة ليست سنية ولا شيعية ، بل هي أيادي الاستعمار تسعى لانتزاع البلاد الاسلامية من أهلها»[٢٠] .

ولم يتغير هذا الموقف الذي أطلقه الامام الخميني قبل خمس عشرة سنة من تسلمه السلطة ، بل ظل يردد قائلاً : «نحن نعلن أخوتنا لاخواننا السنة ، فاعداء الاسلام هم الذين يريدوننا ان نختلف مع اخواننا»[٢١] ، «اننا لا نختلف مع المسلمين السنة ، فنحن مسلمون واخوة ، وإذا كان هناك من يتكلم بكلام يبعث على تفريق المسلمين ، فاعلموا انه إما ان يكون جاهلاً أو من الذين يريدون ان يفرقوا بين المسلمين . فليس هناك شيعة أو سنة ، بل نحن كلنا اخوة»[٢٢] .

ويقول في موضع آخر : «في الجمهورية الاسلامية ، جميع الاخوان السنة والشيعة يقفون إلى جانب بعضهم ، فكلهم اخوة ومتساوون في حقوقهم»[٢٣] .

والواقع ان الثوار الايرانيين فتحوا صفحة جديدة في علاقتهم مع العالم السني بعد انتصار الثورة الاسلامية وحرصوا على تطبيق نظرياتهم وأفكارهم الوحدوية ، وخطوا في ذلك خطوات على قدر كبير من الأهمية واختصروا جهود قرن في أيام .

ففي السنة الأولى من انتصار الثورة الاسلامية وجّه زعيم الثورة نداء بمناسبة الحج حذّر فيه الحجاج الايرانيين والشيعة من البلدان الأخرى من التفرقة وأجاز لهم الاقتداء بالسنة : «على الاخوة الايرانيين والشيعة من سائر البلدان ان يحذروا من التصرفات الجاهلة التي تفرق صفوف المسلمين ، وعليهم ان يحضروا جماعات السنة وأن يتجنبوا اقامة صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبرات الصوت بما يخالف العرف والوقوع على القبور الطاهرة وسائر الأعمال التي تخالف الشرع أحياناً»[٢٤] .

---

(٢٠) الامام الخميني ، «صحيفة النور» ، ج ١ ، ص٨٨ ، طهران .
(٢١) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص٣٧ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص٧٧ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص٢٥٧ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

ويقـول في مـوضـع آخـر من النداء : «يجـب اتبـاع حكـم قـضـاة السنة في الوقوفين حتى لو قطع بالخلاف»[٢٥] .

وقد رأى الكثير من المحللين في هذه الفتوى (ثورة) في العلاقات بين السنة والشيعة . يقول الكاتب العربي البارز فهمي هويدي : «لقد تضـمنت الرسالة التي وجهت إلى الحجاج في السنة الأولى للثورة دعوة هي الأولى من نوعها من مرجع شيـعي كـبير منذ قـرون بعيـدة ، فلم يحدث من قبل ان حث فقيـه شيـعي اتبـاع المذهب على الصلاة وراء السنة . . وإنما العكس هو الصحيح ، إذ ان المستقر بين فقهاء الشيعة هو بطلان الصلاة وراء السنة . ولذا فان كثيرين اعتبروا هـذه الفتوى بمثابة «ثورة» في العلاقـات بين السنة والشيعـة ، أحـدثت ردود فعل قـوية في دول الخليج بالذات التي يتعايش فيها اتباع المذهبين ولا يؤمون مساجد بعضهم البعض وهو ما بدأ بالتغير البطيء بعد صدور فتوى الامام بهذا الصدد»[٢٦] .

وحول هـذا الموضوع يقـول الدكتور حـميد عنايت : «لقد جـعلت فتـوى آية الله الخميني الشيعة يتخلون عن عدة قرون من كراهية الصلاة خلف السنة ، إلا أن هذا التوجه ليس عـامـاً في الأوساط السنية أو الشيـعيـة ، فلا زال الكثير من السنة يعتقدون بخروج الشيعة عن الاسلام وبأن الاجتهاد سبيل لاختلاق البدع العقائدية الضعيفة ولا زال الشيعة لا يتخلون عن سلوكهم المتفرد . . .»[٢٧] .

ويضيف قائلاً : «كـذلك فـان اعادة صلاة الجمعة رسـميـاً في جمـيع أنحـاء ايران اعتبـرت مـؤشـراً ايجـابيـاً في اتجاه «تطبيع» العلاقات مع أهل السنة مـن حيث ان هذا القرار أزال إحدى صور الفرقة بين اتباع المذهبين التي استقرت منذ قرون ، وهو مـا تحفظ ازاءه فـقهـاء النجف وعلى رأسـهـم آية الله الخوئي الذي لا يزال عند الرأي التقليدي الذي لا يجيز صلاة الجمعة في زمن غيبة الامام المهدي»[٢٨] .

وفي الوقت الذي تصدر فيه مئات الكتب على أيدي أعداء الشيعة والثورة الاسـلامـيـة في سـائر أنحـاء العـالـم ، ويكفـر الشيـعـة من قـبل الوهابيين ووعـاظ

(٢٥) المصدر نفسه ، ص١٧٧ .
(٢٦) هويدي ، فهمي ، ايران من الداخل ، ط ٣ ، القاهرة ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، ص٣٣٦ .
(٢٧) عنايت ، حميد (انديشه سياسي در اسلام معاصر) ، طهران ، دار الخوارزمي ، ص٩٧ .
(٢٨) المصدر نفسه .

السلاطين ويتهمون بالخروج عن الاسلام ، فان ايران منعت نشر أي كتاب يخالف التوجه الوحدوي أو يهاجم السنة ، بل عمدت السلطات إلى جمع مثل هذه الكتب الصادرة قبل الثورة . وبالمقابل ترجمت مئات الكتب الثقافية والفقهية والايديولوجية للمؤلفين السنة ، أو نشرتها بلغتها الأصلية باعداد كبيرة في أرجاء العالم(٢٩) .

يقول فهمي هويدي في هذا السياق : «أصبحت الدعوة إلى الوحدة الاسلامية إحدى ركائز الخط السياسي العام في ايران ما بعد الثورة ، وحاولت مجلتا (التوحيد) و(الوحدة الاسلامية) اللتان تصدرهما منظمة الاعلام الاسلامي في طهران ، أن تعبّرا عن هذا الاتجاه . كما قدمت المنظمة مؤلفات عدد من كتّاب أهل السنة إلى القارئ الايراني ، ومن هؤلاء الدكتور محمد مبارك والمستشار عبد القادر عودة ومنير شفيق ، وأصدرت كتاباً عن «الحج على المذاهب المختلفة» ، وآخر بعنوان «حول الوحدة الاسلامية ـ أفكار ودراسات» تضمن كتابات عدد من فقهاء السنة والشيعة حول هذا الموضوع . وصدر عن وزارة الارشاد الاسلامي كتاب «نظرة عامة حول الوحدة الاسلامية» لعبد الكريم حداد . وراج في داخل ايران وخارجها كتاب «السنة والشيعة ـ ضجة مفتعلة» للسيد هادي خسرو شاهي والدكتور عز الدين ابراهيم . وفي مدينة قم أعيدت بعد الثورة طباعة خمسين كتاباً آخر من مؤلفات علماء وفقهاء السنة ، علماً بأن أمهات الكتب المعروفة عن أهل السنة منتشرة في مختلف المكتبات ومتداولة في الحوزات العلمية منذ أزمنة بعيدة»(٣٠) .

وقد خطت الحركة الشيعية في ايران خطوات مهمة على صعيد الوحدة ، وأبرزها :

ـ اغتنام ذكرى ولادة الرسول (ص) واعلان أسبوع الوحدة بهذه المناسبة لتوثيق عرى الوحدة بين سائر المذاهب الاسلامية وتقوية أواصر الأخوة بين السنة

---

(٢٩) يُقال ان الامام الخميني قد أمر بعد الثورة الاسلامية بحذف المواضيع التي تثير الحساسية من جميع مؤلفاته وحتى من الكتب الفقهية ويلاحظ هذا الأمر بوضوح في تحرير الوسيلة .

(٣٠) هويدي ، المصدر السابق ، ص٣٣٧ .

والشيعة ، واقامة عشرات المؤتمرات والاجتماعات والندوات والمجامع العلمية والفقهية العالمية كالمؤتمرات العالمية لأئمة الجمعة والجماعة ، والمؤتمرات العالمية السنوية للفكر الاسلامي ، واجتماعات حركات التحرر الاسلامية ، ومؤتمرات الحج الدولية ، وتوسيع نطاق هذه النشاطات خارج البلاد ودعوة زعماء أهل السنة إليها باستمرار في سبيل تبادل الآراء ووجهات النظر حول مشاكل العالم الاسلامي .

ـ تقديم المساعدة لمئات المؤسسات الاسلامية والهيئات الثقافية التابعة لأهل السنة ، وتأسيس الجمعيات واللجان الاسلامية في خارج البلاد ، واحياء مجمع (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) .

ـ الاهتمام بالمناطق والمحافظات السنية في البلاد ، وتأسيس ودعم الحوزات والمدارس الدينية السنية كالمركز الاسلامي الكبير في سنندج وفروعه السبعين .

ـ تغيير الكتب الدراسية ومراعاة (الثقافة الاسلامية والتعليمات الدينية) الخاصة بأهل السنة ، وخصوصاً فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين والصحابة والامامة ومسألة الخلافة .

ـ وأخيراً تقدير الكثير من الشخصيات المفكرة والمجاهدة السنية وتسمية الكثير من المدارس والمراكز التعليمية والثقافية والشوارع والأماكن العامة باسمائهم كالشيخ محمود شلتوت وسيد قطب وحسن البنا والشيخ عبد الحميد كشك وخالد الاسلامبولي وسليمان خاطر .

وقد أثارت هذه النشاطات الوحدوية المتسارعة سخط الكثير من المتعصبين في الحوزات ، ودفعتهم إلى الوقوف ضد الثورة وقيادتها وتأسيس تجمعات سرية واطلاق صيحة (واسلاماه) ، مما جعل الامام الخميني يرد عليهم بشدة . ويبقى ان نقول ان هذه النشاطات لا تدل على سذاجة عند الشيعة ولا تجاهل منهم للخلافات القديمة والاختلافات الموجودة بينهم وبين أهل السنة في الآراء والاستنباطات الفقهية . وفي هذا المجال يقول آية الله الخامنئي وفي افتتاحيته للمؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة :

«نحن نريد أن يتعاضد مئات الملايين من المسلمين في هذه المنطقة وأن يقدّموا يد الأخوة إلى بعضهم الآخر وأن يحتضن أقصى الشرق الاسلامي في آسيا أقصى بقعة من الغرب الاسلامي في أفريقيا . ومن الواضح أيها الاخوة أن الهدف من الوحدة ليس أن يتّبع المسلمون في هذه المنطقة ، التصورات والعقائد المشتركة والمشابهة لبعضها مائة بالمائة أو أن ينهجوا منهاجاً أو مذهباً أو فقهاً واحداً . طبيعي أن لكل طائفة من المسلمين عقائدها وبواعثها وأحاسيسها وتصوراتها الخاصة بها ولكن يجب ألا تشكل هذه الأمور العراقيل في طريق الوحدة الاسلامية . إن بعضاً من العلماء الذين هم عملاء لمخططي الانهدام والتشتت يروجون هذه المسألة بأنه ما زال هناك اختلاف فكري بين الطوائف الاسلامية ، وخاصة بين الشيعة والسنة ، فلا يمكن أن تكون هناك وحدة ، ولكن هذه إحدى الدعوات المشبوهة التي تبيّن أيضاً عدم معرفة الاسلام . إن الاسلام لم يطلب من المسلمين أن لا يكون بينهم اختلاف في الرأي والتصور ، ولكنه يطالبهم بأن لا تؤدي تلك الخلافات المفروضة التي لا يمكن تجنبها ، إلى العداء بين بعضهم البعض»[٣١] .

## موقف الحركتين المشترك ازاء القومية

لسنا هنا في صدد دراسة جذور القومية وكيفية ظهورها في العالم الاسلامي ودور الاستعمار البريطاني في ايجادها في سبيل تفكيك الامبراطورية العثمانية والظروف الملائمة لظهورها وموقف العلماء المسلمين وغير المسلمين منها ، ونتائج انهيار الامبراطورية العثمانية وآثار معاهدة سايكس ـ بيكو ، بل ما يهمنا هنا أن نلقي نظرة سريعة على مواقف الحركتين الاسلاميتين من ظاهرة (القومية) للوقوف على النقاط المشتركة بينهما وما يمكن ان تختلفا فيه .

يعزو الاخوان المسلمون انهيار الخلافة الاسلامية وتمزق الوحدة الجغرافية للبلدان الاسلامية إلى الشعارات والتوجهات القومية والدعوة إلى التجزئة التي كان يتزعمها المثقفون العرب المتخرجون في الجامعات الغربية والمرتبطون بعجلة السياسات الغربية الاستعمارية ، ويلقون على القومية العربية بتبعة هزيمة المسلمين

(٣١) آية الله السيد علي الخامنئي ، نشرة المؤتمر العالمي لأئمة الجمعة والجماعة .

المذلة في حرب الأيام الستة مع اسرائيل عام ١٩٦٧ . ويرى الاخوان المسلمون ان الفصل في القضية الفلسطينية بين العقائد الدينية للشعب الفلسطيني وبين السلاح والجهاد وانسياق المجاهدين الفلسطينيين إلى مؤتمر مدريد المذل إنما كان حصيلة السياسة غير الاسلامية التي يمارسها قادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وان فشلهم في تحقيق الحكومة الاسلامية إنما كان نتيجة لمعارضة وضغوط القوميين[٣٢] . . .

ولا شك ان الحركة الاسلامية الايرانية تتفق مع الاخوان في هذه الأمور ، وترى نفسها ضحية من نوع آخر للقومية التي تجلت تارة في ٢٥٠٠ عام من النظام الشاهنشاهي ، وتارة أخرى في الأحزاب الوطنية المعارضة للثورة والمرتبطة بالقوى الغربية والتي وقفت موقفاً عدائياً من الثورة الاسلامية بعد انتصارها .

وكانت هذه الحركة تجد نفسها أمام مسخ للثقافة الاسلامية وتغيير للتاريخ الهجري وتزييف للحقائق التاريخية وقمع للاسلاميين الاحرار في (الخامس عشر من خرداد) وفي احداث ثورة الغابة وقمع الحركة الدستورية ؛ وكل هذه الأمور تتم بغطاء القومية والحضارة الفارسية العريقة ، اضافة إلى الدعوة إلى الانفصال في الكثير من المحافظات بعد الثورة بالغطاء نفسه .

---

(٣٢) «وفي مواجهة النظام الاسلامي طرح عبد الناصر الدعوة إلى الاشتراكية بديلاً لها ، وقد فشل كلا المنهجين المطروحين فشلاً ذريعاً وانتهى أمرهما إلى نكسة مروعة حطمت آمال المسلمين في استرداد وجودهما الأصيل .

لم تكن الدعوة إلى القومية العربية إلا تطلعاً إلى زعامة وتصدر وشعارات وقيادة تحول العرب عن طريق مقاومة اسرائيل وحشد الجهود لهزيمتها وفق الأسلوب الاسلامي الأصيل الذي كان العرب قد التمسوه فعلاً منذ هزيمة ١٩٤٨ ، وقد ركزت القومية العربية على المطالبة باستقلال البلاد العربية المحتلة بولاء جديد مع النفوذ السوفياتي في مواجهة الاستعمار الغربي ، ومن ثم نشأت تلك التبعية للماركسية ومفاهيمها ونظامها ، وقد اعتمد عبد الناصر في دعوته إلى القومية العربية على مفاهيم البعث مع تحوير في المصطلحات الثلاثة : «وحدة - حرية - اشتراكية» والمعروف ان حزب البعث قد نشأ في عام ١٩٤٠ في مواجهة توسع الدعوة الاسلامية وانتشارها ، ليحمل لواء الدعوة إلى العروبة على أنها عقيدة روحية في مواجهة الاسلام . وقد حمل لواء هذه الدعوة القومية المغربة ساطع الحصري الذي تربى في أحضان القومية الطورانية التي فرضها النفوذ الأجنبي على الدولة العثمانية والتي انتجت حزب الاتحاد والترقي الذي تربى في المحافل الماسونية والذي حطم الوحدة الاسلامية الجامعة بين الترك والعرب ، وقام بدوره الخطير في تغريب تركيا والتمهيد للخطوة التي قام بها أتاتورك في اسقاط الخلافة الاسلامية» . الجندي ، أنور/ تاريخ الدعوة الاسلامية في مرحلة الحصار من حركة الجيش إلى كامب ديفيد ، دار الاعتصام ، مصر ، ١٩٨٧ ، ص٦٩ .

من هنا فان كلتا الحركتين تشتركان في كونهما ضحية (القومية) بألوانها المختلفة ، وفي اعتقادهما بان القومية تشكل العقبة الأساس التي تقف دون تحقيق الوحدة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية . ومن ثم فهما تتفقان على القول ان «الوطنية تختلف اختلافاً جذرياً عن القومية» .

وفي هذا الشأن يعتقد الاخوان : «فالمصرية» أو ـ الوطنية ـ من صميم تفكيرهم . فمصر هي الوطن الصغير الذي نشأ فيه الاخوان ، ولكن مصر بالمعنى الكبير هي بلد مؤمن تلقى الاسلام تلقياً كريماً فذاد عنه ورد عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ ، وقد انتهت لمصر بحكم ظروف كثيرة حضانة الفكرة الاسلامية والقيام عليها ، وهذا يحتم على الاخوان المصريين العمل لمصر وخير مصر والدفاع عنها والاخلاص لها . بجانب مصر الحصن الصغير ومصر الاسلامية هناك مصر العربية التي ارتبطت بالعروبة ارتباطاً وثيقاً ، وهناك مصر بكل تاريخها وحضارتها وأصالتها «فليس يضيرنا في هذا كله ان نعني بتاريخ مصر القديم وبما ترك قدماء المصريين من آثار الحضارة والعمران وما سبقوا إليه الناس من المعارف والعلوم والفنون ، فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه عزة وفيه علم وفيه معرفة»[٣٣] . «ولكن إذا تحولت هذه المعاني إلى نظرية ومنهاج عملي يراد به صبغ مصر ودعوتها إليه بعد أن هداها الله بالاسلام فذلك مرفوض عند البنا ذلك لأن الاسلام جاء وزادها مجداً فوق مجدها وخلصها بذلك مما لاحق هذا التاريخ من مضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية»[٣٤] .

إن الاخوان يعتبرون «الحدود الوطنية بالعقيدة» بينما يحددها الآخرون «بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية»[٣٥] . ولذلك «فكل بقعة فيها مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والاخلاص له والجهاد في سبيل خيره»[٣٦] .

---

(٣٣) البنا ، حسن ، مجموعة رسائل الامام الشهيد ، دعوتنا في طور جديد ، ص١٠٧ .

(٣٤) الشاموق ، أحمد ، كيف يفكر الاخوان المسلمون ، دار الجيل ، بيروت/ مكتبة دار الفكر ، الخرطوم ، ١٩٨١ ، ص٨١ .

(٣٥) البنا ، حسن ، دعوتنا في طور جديد ، ص١٠٧ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٦٨ .

وليس ثمة خلاف بين زعماء ايران على حب الوطن وحب أهل الوطن وحفظ حدود البلاد ، ولكن حين تقف الوطنية في وجه الشعوب المسلمة الأخرى فتلك قضية أخرى ، لأنها حينئذ ستكون مخالفة للاسلام وللقرآن الكريم ولتعاليم النبي الاكرم (ص) ، باعتبارها توجب العداوة بين المسلمين والانشقاق في صفوف المؤمنين . ومن ثم فالوطنية من حيل الاعداء الذين يخشون الاسلام وانتشاره ولذلك فهي مخالفة للاسم والمصلحة(٣٧) .

والمشكلة الموجودة في هذا الشأن هي تداخل موضوعي العروبة والاسلام ، وهو ما يثيره الكثير من القوميين العرب ، فقد كان للعلاقة بين الاثنين وتقديم أحدهما على الآخر انعكاس واسع على المحافل الاسلامية والقومية . وفي هذا يقول الاخوان المسلمون : «أما العروبة أو القومية والجامعة العربية فلها أيضاً مكانها عند الاخوان ، لأن العرب أمة الاسلام وشعبه المخير ، كما يقول حسن البنا ، ويضيف : ان الرسول (ص) ربط مصير الاسلام بمصير العرب «إذا ذل العرب ، ذل الاسلام» ولا ينظر البنا إلى الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية بعين الارتياح ويقول : «انها لا تمزق من أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الاسلامية»(٣٨)، ويشير «إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدد معنى العروبة إذ فسّرها بانها اللسان والاسلام ، وقال عن القومية العربية : ان الاخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبي (ص) فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل (رضي) : «إلا أن العربية اللسان ، إلا أن العربية اللسان» ، ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته ، واعزاز سلطانه ، ومن هنا كان على كل مسلم ان يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها ، وهذا هو موقف الاخوان من الوحدة العربية»(٣٩) .

وفي هذا الصدد يقول الناطق باسم الاخوان المسلمين في الأردن : «نختلف مع اخواننا العروبيين اختلافاً كبيراً في الوسيلة التي توصل إلى هذا الهدف . فهم

(٣٧) الامام الخميني ، (صحيفة النور) ، ج ١٣ ، ص٨١ .
(٣٨) البنا ، حسن ، دعوتنا في طور جديد ، ص٧٠ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ص٧١ .

مع الاسف الشديد ما زالوا حتى الآن يبتعدون عن تبني الاسلام كوسيلة أو طريق وحيد لايصالهم إلى ما يريدونه ويستبدلون الاسلام بالماركسية أحياناً ، وبالنظرية الاشتراكية أحياناً أخرى ، وبالعلمانية تارة ثالثة ، وهذه كلها يرفضها الاسلام ويحاربها . فنحن ندعوهم لاعادة دراسة الاسلام وتبنيه كطريق لتحقيق أهداف الأمة العربية ، فإذا تم ذلك نكون قد التقينا مع العروبيين ليس في الأهداف فحسب ، وإنما هي الأهداف والوسائل أيضاً»(٤٠) .

ويمكن أن نخلص من هذا إلى «أن الاخوان يرون العروبة رابطة حضارية وليست كقومية ، وباعتبارها خطوة نحو الوحدة الاسلامية ، ورأوا في العروبة وحدة روحية بسريان الاسلام في عنق أبنائه جميعاً وهذا الوطن وحدة لغوية ووحدة فكرية ثقافية بما انه نبع الفيض الروحي في العالم كله ووحدة اجتماعية بتشابه العادات»(٤١) .

ويعتقد الاسلاميون الايرانيون ان الوطنية أو القومية العربية تفقد مشروعيتها إذا لم تقم على أساس الاسلام ، لأن الاسلام يرفض كل ارتباط عرقي أو جغرافي ولا يعتبره معياراً لشيء .

وحقاً ان العرب هم مادة الاسلام الأولى ، وهم أصحاب الفتوحات الاسلامية ، وان النبي كان عربياً ، إلا أنهم يعتقدون أن الاسلام والعروبة ليسا شيئاً واحداً .

وتتفق الحركتان كثيراً في نظرتهما إلى هذا الأمر ، ولا يخلو هذا التوافق من دور كبير في ايجاد العلاقات المتبادلة بين الحركتين . إلا أنهما تختلفان في بعض النقاط فيما يتعلق بالقومية . فإذا كانت ايران ترى أن الاخوان المسلمين لم يقفوا موقفاً حاسماً في اعتبار العراق معتدياً في حربه مع ايران لعروبة العراق وبفعل تأثير اعلام القوميين المكثف في العالم العربي ، فان الاخوان يأخذون على ايران ما ورد في بعض مواد الدستور ، ومنها لزوم أن يكون رئيس

(٤٠) أبو غنيمة ، زياد (الناطق الرسمي باسم الاخوان المسلمين في الأردن) ، مجلة الشراع ، بيروت ، ص٢٥ .

(٤١) الجندي ، المصدر السابق ، ص١٨٧ ، نقلاً عن أنيس الصايغ ، الفكرة العربية في مصر .

الجمهورية ووالداه ايرانيين ، ويعتبرون ذلك من رواسب الحس القومي الايراني .

وحول هذا الأمر يقول راشد الغنوشي ، وهو من زعماء الحركة الاسلامية في العالم العربي : «لو نظرنا في دستور الجمهورية الاسلام فنجد إلى جانب المعاني الاسلامية العظيمة التي طفح بها الدستور انك تفاجأ باندساس بعض آثار التغريب مثل الالحاح على شرط فارسية الأبوين والجدين في من يرشح لرئاسة الجمهورية»(٤٢) .

ويبدو أن الاخوان المسلمين يتجاهلون الخطوات المهمة التي خطتها الحركة الاسلامية الايرانية بعد الثورة على صعيد نبذ القومية الفارسية والجهود الشاقة التي بذلتها في سبيل تغيير المواد الدراسية ، وتنقيح تاريخ البلاد من الشوائب وتنقية ثقافته ، وابراز الصورة الحقيقية للاسلام والعرب بعد سنوات طويلة من الاعلام المغرض للنظام السابق على الرغم من المواقف المعارضة التي وقفها بعض المثقفين الذين وصفوا هذه الخطوات بانها تحول من (التغرب) إلى (التعرب) .

ولم يكن الايرانيون يعلمون الهدف من هذه المواقف المؤيدة للعرب ، ولماذا الحرب إلى جانب العرب؟ ويبدو من هذا حجم كل المشاكل التي تواجهها الحكومة الاسلامية الايرانية لقشع الظلمات التي خلقها نظام الشاه في اذهان الايرانيين .

يقول أحد الكتَّاب العرب البارزين : «ان الاخوان المسلمين والحركات الاسلامية العربية الأخرى غافلة : منطلق المذهب (الاثنا عشرية) لا يمكن ان يكون معادياً للعرب ، ليس فقط بسبب أرضية الاسلام المشتركة ولكن أيضاً لأن الامامة عند اتباع المذهب هي عربية في البدء والمنتهى ولأنها مقصورة على سلالة الرسول (ص) وحضرته . . فقد ظل أئمتهم الاثني عشر عرباً وكذلك الإمام الثاني عشر المنتظر»(٤٣) .

(٤٢) راشد الغنوشي ، فصلية قراءات سياسية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ص٣٩ .
(٤٣) هويدي ، فهمي ، صحيفة تشرين ، المصدر السابق .

## قضية فلسطين وتحرير القدس الشريف

من أهم النقاط التي تلتقي عندها جماعة الاخوان المسلمين والحركة الاسلامية الايرانية منذ البداية وحتى الآن هي «القضية الفلسطينية» وكيفية تحرير القدس الشريف .

ولكي ندرس ونقوم هذا الموضوع لا بد لنا ان نلقي أولاً نظرة على علاقة الاخوان المسلمين بهذه القضية ، ثم علاقة الحركة الشيعية الايرانية بها ، ثم نحدد النقاط والمواقف المشتركة بين الحركتين .

**ـ الاخوان المسلمون والقضية الفلسطينية**

برزت قضية فلسطين بعد اندحار الخلافة العثمانية وانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى كأكبر قضية بالنسبة إلى الحركات الاسلامية وقتئذ التي رأت ان مأساة فلسطين جاءت نتيجة طبيعية لانهيار الخلافة العثمانية . ومنذ البداية حظيت هذه القضية باهتمام خاص لدى جماعة الاخوان المسلمين ، وشكلت منعطفاً في تاريخهم ، ونقطة مشرقة في سجلهم . فقد أولى قادة الاخوان الأوائل عناية خاصة لهذه القضية وبذلوا جهوداً كبيرة للوقوف في وجه العدو الصهيوني ولتحرير الأراضي المحتلة .

«وقد بدأت علاقة الاخوان بفلسطين منذ أن زار عبد الرحمن البنا (شقيق حسن البنا) فلسطين عام ١٩٣٥ والتقى بالحاج أمين الحسيني ، وعكست الزيارة الاهتمام المتوقع لجماعة الاخوان المسلمين كمصريين وكعرب وكمسلمين بقضية فلسطين»(٤٤) .

وكان المركز العام لجماعة الاخوان المسلمين في القاهرة أيضاً قد استقبل رموز الجهاد . ومنذ بداية الثورة الفلسطينية عام ١٩٣١ دأب مفتي فلسطين أمين الحسيني ومعاونه الشيخ صبري عابدين على زيارة هذا المركز والتداول معه في شأن مواجهة المخططات البريطانية الهادفة

---

(٤٤) عبد الرزاق ، جعفر ، الاسلاميون والقضية الفلسطينية ، طهران ، ١٩٨٩ ، منظمة الاعلام الاسلامي ، ص٥٩ .

لبسط سيطرة اليهود على الأراضي العربية وارساء دعائم دولة اسرائيل[٤٥] .

وقد نشطت جماعة الاخوان في تلك السنين في تعبئة الجماهير للدفاع عن حقوق الفلسطينيين . ففي البداية وفي سبيل المشاركة العامة في هذا الأمر واشراك المصريين فيه على وجه الخصوص ، عمدت الجماعة إلى تشكيل لجان لجمع التبرعات المالية في سائر الانحاء المصرية ، وطالب حسن البنا في المؤتمر الثالث المنعقد في آذار/ مارس ١٩٣٥ بجمع المساعدات المالية لدعم واسناد قضية العرب الأساسية[٤٦] . ثم اتجه إلى تعبئة الخطباء ورجال الدين وارسالهم إلى المساجد لتوعية الناس بمخططات الاستعمار وبالظلم الذي يمارس في حق الشعب الفلسطيني وتعريفهم بقدسية هذه الأرض وأهميتها وفضح خطة الانجليز بمنح هذه الأرض لليهود .

يقول الكاتب المصري محمود عبد الحكيم في مذكراته : «كان الاستاذ حسن البنا يرسلنا إلى مساجد القاهرة في جماعات ثنائية للخطابة وفضح مؤامرات الاستعمار وجمع مساعدات الناس»[٤٧] .

وعلى صعيد آخر اصدر الاخوان الكثير من الكتيبات والنشرات المعادية للانجليز ، والتي تفضح مخططاتهم في شأن الفلسطينيين والأراضي الفلسطينية . وفي هذا المضمار صدرت مجلة «النذير» وبرزت فيها افتتاحيات العشماوي التي يهاجم فيها بريطانيا ، مما أدى إلى ايقاف عدة اعداد منها[٤٨] .

ومن جانب آخر كانت صحيفة (الاخوان المسلمون) الناطقة باسمهم «تنشر الأخبار المتعلقة بساحات الحرب وتفاصيل ارسال المتطوعين ، بالاضافة إلى نشر

---

(٤٥) للتوسع راجع : عبد الحليم محمود ، الاخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، ج ١ ، ص ٨٨ ـ ٩٧ . نشر دار الدعوة . القاهرة .

الطرابلسي ، ابراهيم ، الاسلاميون والقضية الفلسطينية ، بيروت ، المؤسسة الاسلامية للصحافة والطباعة والنشر ، ١٩٨٨ ، ص٤٥ .

(٤٦) للتوسع راجع : ريتشارد ميشيل ، الاخوان المسلمون ، ص١٠٤٥ .

(٤٧) للتوسع راجع : عبد الحليم ، محمود ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٣ ـ ١٨٢ .

(٤٨) المصدر نفسه .

قوائم التبرعات . وكانت تنشر أنباء المعارك ضمن الأبواب الخاصة بالدعوة الاسلامية ، وكانت تدعو العرب في مصر وفلسطين إلى مواجهة الخصوم الدينيين ، وتقصد بهم اليهود ، بسلاح الايمان بالحق»[٤٩] .

وجاء اصدار الاخوان كتيب «النار والدمار في فلسطين» وفضحهم جرائم بريطانيا وممارساتها القمعية في حق المجاهدين الفلسطينيين وايرادهم الاحصاءات اللازمة في هذا المجال كخطوات مهمة كان لها اصداؤها الواسعة في المنطقة[٥٠] ، والتي أدت إلى اعتقال حسن البنا[٥١] .

وتتأكد أهمية نشاطات الاخوان المسلمين في ذلك الوقت بسبب العزلة التي يعيشها الشعب المصري وجهله التام بالمؤامرات التي كان الاستعمار يحيكها في شأن احتلال الأراضي الفلسطينية وتأسيس كيان يهودي فيها ، حتى ان رئيس وزراء مصر آنذاك قال في معرض رده على سؤال «عما سيفعله ازاء تصرفات الانجليز الظالمة في فلسطين؟ : انني رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين»[٥٢] .

ومن النشاطات الأخرى التي اهتم الاخوان بها اقامة المؤتمرات والندوات الشعبية حول أهمية فلسطين ومكانتها ، واقامة مؤتمر برلماني عالمي ، إذ اغتنموا فرصة وجود عدد من رجالات العرب والمسلمين في مصر فأقاموا مؤتمرات شعبية كبيرة كان من أبرزها مؤتمر برلماني عالمي (٧/ ١٠/ ١٩٣٨) لنصرة فلسطين في سراي آل لطف الله في القاهرة حضره برلمانيون من مصر وسوريا ولبنان والعراق ، وشارك فيه وفد شعبي فلسطيني ووفود شعبية تمثل أقطار المغرب العربي والهند واليمن والصين والبوشناق واليوغسلاف حيث كان المؤتمرون يدرسون الخطر اليهودي في فلسطين ويعودون ليشاركوا شعوبهم هذه التوعية ، اضافة إلى جمع التبرعات وشراء الأسلحة واعداد المسلمين للجهاد دفاعاً عن فلسطين .

---

(٤٩) عبد الرزاق ، جعفر ، الاسلاميون والقضية الفلسطينية ، منظمة الاعلام الاسلامي ، ١٩٨٩ ، ص٦٠ .
(٥٠) عبد الحليم ، محمود ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ ـ ١٨٢ .
(٥١) الطرابلسي ، ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٤٦ .
(٥٢) عبد الحليم ، محمود ، المصدر السابق ص ٨٨ ، ٨٩ .

«وعقد الاخوان في مدينة حيفا مؤتمراً في (١٧/ ١٠/ ١٩٤٧) أعلنوا فيه تصميم الاخوان في فلسطين على الدفاع عن بلادهم بشتى الوسائل»[٥٣] . و«كذلك عقدوا في المقر المركزي للاخوان في القاهرة مؤتمراً برلمانياً حضره الكثير من الشخصيات والقيادات العربية»[٥٤] .

«ونظم الاخوان مظاهرات لأول مرة في جميع أنحاء القطر قبل حلول اليوم السابع عشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ، وهو يوم ذكرى وعد بلفور المشؤوم : فقد وضع الاخوان خطة بحيث يقومون في جميع شُعب القطر كله في ذلك اليوم بمظاهرات صاخبة . . . وقد نجحت هذه الفكرة وهزت الحكومة وأمرت بالقاء القبض على مدبري هذه المظاهرات»[٥٥] .

«ونظم الاخوان مظاهرة ضخمة في ميدان الأوبرا بالقاهرة خطب فيها كل من رياض الصلح والأمير فيصل بن عبد العزيز وجميل مردم وصالح حرب والقس قياس الانطوني واسماعيل الأزهري وغيرهم . وختمت بكلمة للامام الشهيد حسن البنا قال فيها : أيها الزعماء ان هذا الشعب ليس هازلاً ولكنهم جادون . . . وقد عاهدنا الله ان نموت كراماً أو نعيش كراماً . . . انني أعلن من فوق هذا المنبر ان الاخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل فلسطين ، وهم على أتم الاستعداد لتلبية ندائكم»» .

«وفي سوريا نظم الاخوان المسلمون مظاهرة ضخمة يوم ٣٠/ ١١/ ١٩٤٧ توجهت إلى السفارة الأميركية وحطمت أبوابها وأحرقت العلم الأميركي ، كما هوجمت في الوقت نفسه المفوضية الفرنسية والبلجيكية ومكاتب جريدة «صوت الشعب» الناطقة بلسان الحزب الشيوعي لأنها أيدت قرار تقسيم فلسطين»[٥٦] .

وبلغت نشاطات الاخوان أوجها بمشاركتهم العملية في الحروب والعمليات العسكرية ضد اليهود في الأراضي المحتلة . فقد كان المتطوعون الاخوان يقاتلون

(٥٣) الطرابلسي ، المصدر السابق ، ص ص٤٦ ـ ٤٧ .
(٥٤) عبد الحليم ، المصدر السابق ، ص١٨١ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ص١٧٧ .
(٥٦) الطرابلسي ، المصدر السابق ، ص٤٧ ، وكذلك عبد الحليم ، المصدر السابق ص ٤٠٩ ـ ٤٣٤ .

بشجاعة لا مثيل لها في سبيل تحقيق أهدافهم . وكانوا بعد ان تلقوا تدريباتهم العسكرية في سوريا والأردن يهاجمون المستوطنات اليهودية في فلسطين عن طريق هذين البلدين وعن طريق مصر ، فاتحين بحرب العصابات جبهة قبل دخول الجيوش العربية بشهرين . وكانت جبهة الحرب الأولى التي فتحها الاخوان في جنوب فلسطين بجوار ميروم بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٤٨[٥٧] .

وواصل الاخوان عملياتهم على الرغم من كل الضغوط التي مورست في حقهم . وكان على رأس الاخوان في سوريا السكرتير العام للجماعة فيها الدكتور مصطفى السباعي ، وفي الأردن السكرتير العام للجماعة في هذا البلد عبد اللطيف أبو غره ، وكان على رأس قوات الاخوان في مصر كامل شريف .

وأرسل مرشد الجماعة حسن البنا برقية إلى اجتماع الجامعة العربية الذي انعقد في أيار/ مايو ١٩٤٨ لدراسة سبل انقاذ فلسطين أعرب لهم فيها عن استعداده لارسال عشرة آلاف متطوع للاشتراك في حرب تحريرية ، ولم يجبه أحد[٥٨] ، فاضطر إلى اصدار بيان طلب فيه من الاخوان المتطوعين ان يسلكوا سبيلهم إلى فلسطين وحدهم ويقوموا فيها بعملياتهم ضد الصهاينة .

وحرصت الجماعة في تلك المرحلة بشدة على تجنب الصراعات الجانبية وعدم ايجاد ذرائع للاعداء لتتمكن من اداء واجبها الخطير . وكان حسن البنا يؤكد على هذا الأمر ، «ولقد زار المجاهدين في غزة وأدى صلاة الجمعة في خان يونس في ٢٠/ ٣/ ١٩٤٨ .

كما سافر إلى سورية وزار معسكر التدريب في قطنا في حال كانت القاهرة تموج بالتآمر على الجماعة «ليوجه أنظار اخوانه إلى مصدر الخطر الحقيقي على الاسلام والحركة الاسلامية»[٥٩] .

يتحدث جابر رزق في كتابه «مذابح الاخوان في سجون ناصر» عن دور الاخوان في حرب فلسطين ، فيقول : «وقد أدت مشاركة المسلمين الملتزمين في

(٥٧) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(٥٨) المصدر نفسه .

(٥٩) المصدر نفسه ، ص٥٢ .

حرب ١٩٤٨ إلى الكشف عن مدى قوتهم واستعدادهم ، مما بث الخوف في أوساط الحكومات ، إضافة إلى بريطانيا التي شعرت بمكامن الخطر ، فلم تمض عدة أشهر حتى أوعزت إلى عميلها النقراشي الذي كان يرأس الحكومة المصرية آنذاك بوجوب حل الجماعة مهددة إياه باحتلال القاهرة والاسكندرية إذا ما تلكأ في القرار . وبالفعل استجاب النقراشي للأمر فأصدر قراراً بحل الجماعة والحرب ما زالت مستمرة في فلسطين ، كما اعتقل قيادتهم ، وبعد مدة اغتيل زعيمهم الشهيد حسن البنا عام ١٩٤٩»[٦٠] .

كما قام الجيش المصري بمحاصرة قواتهم في فلسطين حيث أجبروا على العودة إلى المعسكرات وجردوا من أسلحتهم ، وسمح لهم بالبقاء في الجبهة ، في نطاق الانضباط العسكري والاستمرار في معاونة الجيش ، وقد فضل معظمهم البقاء بدافع من الولاء للمهمة التي جاءوا من أجلها[٦١] .

وشكل موقف الاخوان من القضية الفلسطينية ونشاطاتهم الاقليمية بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وكذلك بعد نكسة حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ ، على الرغم من الضغوط الكثيرة التي تمارس ضدهم في جميع البلدان العربية ، نواة للموقف العربي . وجاءت النواة الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية من شباب الاخوان المسلمين في غزة أو من الذين وقفوا إلى جانبهم في مقاومة الاحتلال البريطاني في قناة السويس ، وقدموا الكثير من الشهداء في سبيل فلسطين بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٠ .

ومع قمع الحركة الاسلامية خلال تلك الحقبة الزمنية وانتشار الحركات الفدائية اتجه بعض الاسلاميين نحو حركات المقاومة الوطنية أو نحو مراكز التعليم العقيدي والتربوي ، واهتم آخرون بايجاد المؤسسات الخيرية والتعليمية الاسلامية محاولين نشر أفكارهم في هذه المؤسسات وفي المساجد[٦٢] .

---

(٦٠) رزق ، جابر ، مذابح الاخوان في سجون ناصر ، دار الاعتصام ، المقدمة .

(٦١) ميشيل ريتشارد ، الاخوان المسلمون ، ص١٥٩ .

(٦٢) للتوسع راجع : د . أبو عمرو ، زياد/ جامعة بيرزيت ، الحركة الاسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بيروت ، القدس للطباعة ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢ ، ٤٢ .

ان تأجج غضب الفلسطينيين وانطلاق انتفاضتهم في السنوات الخمس الأخيرة ، واشتراك حركة حماس (الاخوان المسلمين ـ فرع فلسطين) بقوة فيها لبداية مرحلة جديدة في حركة الاخوان على محور القضية الفلسطينية ، وهو موضوع يحتاج إلى بحث مستقل .

**ـ ايران والقضية الفلسطينية**

وقف زعماء الشيعة في ايران منذ بداية المشكلة الفلسطينية ، إلى جانب الحركات الاسلامية على الرغم من ضغوط النظام السابق ، وتصدوا لهجرة اليهود بمواقفهم الثورية ، ولم تشغل تفكيرهم أي قضية أخرى كما شغلته هذه القضية . وفي ذلك الوقت كان آية الله الكاشاني يطلع الشعب الايراني المسلم على الابعاد المأساوية لهجرة اليهود من المانيا والاتحاد السوفياتي وأميركا إلى فلسطين ، وأصدر بياناً بتاريخ ١/ ١/ ١٩٤٨ دان فيه هذه المؤامرة(٦٣) .

وفي ٢٠/ ٥/ ١٩٤٨ دعا الجماهير الايرانية المحتشدة إلى نصرة الشعب الفلسطيني ، وسارت اثر ذلك مظاهرات معادية للانجليز ومتعاطفة مع الشعب الفلسطيني . وألقى نواب صفوي الذي كان على علاقة وثيقة بالاخوان المسلمين خطاباً حماسياً في اجتماع حاشد ، أعلن فيه استعداد (فدائيي الاسلام) لارسال خمسة آلاف متطوع لقتال اليهود(٦٤) .

«كما دعا المرجع الديني آية الله العظمى السيد البروجردي إلى تأييد نضال الشعب الفلسطيني ودعمه . وتواصلت بيانات العلماء الآخرين وبرقياتهم في هذا الشأن . ودعا (اتحاد المسلمين) الايراني إلى اجتماع عام لدعم الشعب الفلسطيني . وأرسل آية الله العظمى الخوانساري رسالة إلى رئيس الوزراء الايراني دعاه فيها إلى ضرورة الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني ومساعدته على المحنة التي يجتازها ، كما أصدر فتوى بجواز صرف الأموال والحقوق الشرعية لدعم الشعب الفلسطيني»(٦٥) .

---

(٦٣) مدني ، جلال الدين ، (تاريخ تحولات ايران) ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ . طهران .
(٦٤) المصدر نفسه .
(٦٥) عبد الرزاق جعفر ، الاسلاميون والقضية الفلسطينية ، ط ١ ، ص٦٩ .

وفي عام ١٩٥٠ خرج أهالي قم بعد أدائهم الصلاة واستماعهم لخطبة آية الله الخوانساري في مظاهرة صاخبة انطلقت من المدرسة الفيضية لادانة العلاقات الدبلوماسية بين طهران وتل ابيب وافتتاح ممثلية تجارية اسرائيلية في طهران، ولمطالبة الحكومة بقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني .

**الامام الخميني والقضية الفلسطينية**

و«لعل الامام الخميني من القلائل الذين احتلت قضية فلسطين جانباً كبيراً من فكرهم وقلمهم وبيانهم، فطوال ٢٥ عاماً، أي منذ ظهوره على المسرح الاجتماعي والسياسي إلى اليوم، لم تفارقه القضية الفلسطينية لحظة . كان يعيش الهم الفلسطيني كواحد من أبناء فلسطين، يشعر بعمق الظلم الذي حاق بهم، ويتألم من أعماق قلبه عندما يسمع بجريمة جديدة ضد الشعب الفلسطيني»[٦٦] .

ومن العوامل التي أذكت انتفاضة (١٥ خرداد) قضية فلسطين وعلاقة النظام بالمحتلين لهذه الأرض . وكان الامام الخميني مهتماً بهذه القضية حتى في بداية نفيه إلى تركيا عام ١٩٦٤[٦٧] .

والامام الخميني هو المرجع الشيعي الأول الذي يعرض لذكر العلاقات السياسية في رسالته العملية ويورد فتاوى في باب اقامة العلاقات السياسية بين الدول الاسلامية والدول الاستكبارية والحكومات التي تعتدي على المسلمين وأراضيهم وأموالهم . وكانت غايته من هذه الفتاوى ايجاد عقبات شرعية ونفسية أمام العلاقات غير المتوازنة بين الدول الفقيرة والدول الكبرى، والزام الدول

(٦٦) المصدر نفسه، ص٩٢ .

(٦٧) يقول الامام الخميني في لقاء مع صحيفة أمل الناطقة باسم حركة أمل في لبنان بتاريخ ٧/ ١٢/ ١٩٧٨ في معرض رده على سؤال حول أسباب انفصال ايران عن العرب في مواجهة اسرائيل : «من الأمور التي دفعتنا إلى مواجهة الشاه دعمه لاسرائيل . وقد قلت مراراً انه ساعد اسرائيل منذ أوائل نشأتها . وحين بلغت الحرب بين اسرائيل والمسلمين ذروتها ظل الشاه يغتصب نفط المسلمين ويمنحه لاسرائيل، وهذا بحد ذاته من الأمور التي دفعتني إلى معارضة الشاه»، صحيفة النور، ج ٤، ص ٣١، ٣٢ .

الاسلامية بقطع علاقاتها السياسية والتجارية مع بعض الدول الاسلامية التي تتجاهل مصلحة الاسلام والمسلمين . وكان الامام قد وضع رسالته بعنوان «تحرير الوسيلة» في منفاه بتركيا الذي مكث فيه سنة كاملة(٦٨) .

وعلى الرغم من المشاكل والمضايقات التي عاناها في النجف ، فانه لم ينس القضية الفلسطينية حتى في أول محاضرة عامة له هناك . وفيها دعا جميع المسلمين إلى رص صفوفهم وتركيز قواهم لمواجهة الصهيونية ، وخاطب المسلمين بشيء من التلميح ، قائلاً : «كيف تسنى لحفنة من اللصوص اليهود ان تخرج مليون فلسطيني مسلم من ديارهم وتسيطر عليهم؟ أليس ذلك لتفرقنا وبعدنا عن الحق واجتماعهم واتحادهم على الباطل؟» . ثم هاجم قادة الدول الاسلامية لضعفهم وانسحابهم عن الأراضي الاسلامية(٦٩) .

ووقف الامام الخميني باعتباره قائد الحركة الاسلامية الايرانية مواقف ثورية حاسمة في حرب عام ١٩٦٧ وحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ ، وفي حرب رمضان عام ١٩٧٣ وزيارة السادات للأراضي المحتلة وعقده لمعاهدة (كامب ديفيد) ، وأصدر عام ١٩٦٨ فتوى تاريخية أجاز فيها دفع الزكاة والصدقات للفدائيين الفلسطينيين . وتعتبر هذه الفتوى منعطفاً آخر في جهاد الامام ضد الصهيونية(٧٠) .

---

(٦٨) عبد الرزاق جعفر ، المصدر السابق ، ص٩٤ .

(٦٩) سيد حميد روحاني ، (نهضت امام خميني) ، ج٢ ، ص١٥٩ . طهران .

(٧٠) نص فتوى الامام الخميني في هذا الشأن ، كما يلي :

«السؤال : حضرة الزعيم المجاهد ، ما هو رأيكم المبارك في شأن دفع الحقوق الشرعية ، مثل الزكاة وسهم الامام إلى المجاهدين الشجعان الذين يقاتلون العدو في ساحة الشرف تحت قيادة حركة (فتح)؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم

لا شك انه يجوز بل يجب أن يدفع قسم من الحقوق الشرعية كالزكاة وسائر الصدقات بما يكفي إلى هؤلاء المجاهدين في سبيل الله .

(درجستجوى راه ازكلام امام) ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

للتوسع : يراجع فهمي هويدي ، ايران من الداخل ، ص٣٧ ، نقلاً عن (دروس في الجهاد والرفض للامام الخميني) ، ص١٣٥ .

والحقيقة ان جميع زعماء ايران بشكل عام دفعوا قبل الثورة الاسلامية ثمناً باهظاً لدفاعهم عن الثورة الفلسطينية ودعمهم لها . يقول رئيس تحرير صحيفة «السفير» في مقالات ثلاث متتالية عن انتصار الثورة الاسلامية الايرانية . «وقلما نجد رجلاً من رجالات الثورة لم يتعرض لتعذيب أو اضطهاد نتيجة لمواقفه المناهضة لاسرائيل»(٧١) .

ومع انتصار الثورة الاسلامية الايرانية في شباط/ فبراير عام ١٩٧٩ «اعتبر الامام قضية القدس وفلسطين القضية المركزية للثورة وللمسلمين وللمستضعفين ، فكانت في مقدمة اهتماماته السياسية والجهادية»(٧٢) .

وفي الواقع «قضية بيت المقدس بالنسبة للحكم في طهران أكبر من مجرد قضية اعلامية ، بل هي عنوان من عناوين شرعية هذا الحكم»(٧٣) .

ومع ملاحظة هذا الخطر ، يقول (بيغن) : إن خسارة إسرائيل عن الاطاحة بالشاه لا تقدر ، وليس في وسع الغرب والشرق بعد اليوم ان ينظروا بعدم اكتراث للوعي الاسلامي(٧٤) .

«لهذا كانت الطائرة الفلسطينية هي الأولى في الهبوط في مطار طهران وذلك مساء السبت ١٧ كانون الأول/ ديسمبر في الأسبوع الأول لانتصار الثورة الاسلامية وفي ظل حظر ايراني وحظر عالمي من الطواف في سمائها وفوق أرضها جاءت تحمل ياسر عرفات»(٧٥) .

«هبطت الطائرة إلى أرض مطار طهران يوم ١٨ شباط/ فبراير ١٩٧٩ ، بعد أسبوع من وصول الامام حيث كان ينتظرها عرس لم تألفه القيادة الفلسطينية ولم تحلم به . وكان عرس المطار مقدمة لمسلسل من الأعراس التي كانت تعبيراً جياشاً

---

(٧١) صحيفة السفير ، بيروت ، ٢٩/ ١٠/ ١٩٩١ .
(٧٢) بسام الحركة ، دراسة حول الأبعاد الاستراتيجية للسياسة الايرانية ، ط ١ ، بيروت ، ص٣٥ .
(٧٣) صحيفة السفير ، بيروت ، ٢٩/ ١٠/ ١٩٩١ .
(٧٤) حسن مكي ، محمد أحمد ، حركة البعث الاسلامي في ايران ، ص١٦٥ .
(٧٥) المصدر نفسه .

وهائلاً عن عمق التلاحم بين الضمير الايراني المسلم وبين الثورة الفلسطينية بكل ما ترمز إليه ، اسلامياً ونضالياً»[76] .

ونورد النقاط التالية كاشارات سريعة إلى اهتمام الثورة الاسلامية بالقضية الفلسطينية :

ـ حلت السفارة الفلسطينية محل البعثة الاسرائيلية في طهران في حضور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ونجل زعيم الثورة الاسلامية وسط هتافات : (اليوم ايران ، وغداً فلسطين) وبعيداً عن القوانين والاعراف السائدة في وقتنا الحاضر .

ـ حظيت تسمية الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يوماً عالمياً للقدس باهتمام خاص نظراً إلى الظروف الزمانية القائمة ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ابتكار مظاهرات الوحدة الاسلامية ومسيرات البراءة من المشركين في أعظم اجتماعات عالمية للمسلمين في مكة والمدينة ، واتخاذ القضية الفلسطينية محوراً لها[77] .

ـ وقفت الجمهورية الاسلامية موقفاً جدياً ضد مشاريع السلام والاستسلام العربية كمعاهدة كامب ديفيد ومشروع فهد وغيرهما ، ويأتي في هذا السياق قطع العلاقات السياسية مع مصر .

ـ وقفت الجمهورية الاسلامية في المحافل الدولية مواقف سياسية مواجهة لمغتصبي القدس ، ومن هذه المواقف مسودة مشروع طرد اسرائيل من المحافل الدولية ، وخصوصاً الأمم المتحدة في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٨٢ بعد مجازر الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا . وأرسلت الكثير من المتطوعين الايرانيين إلى لبنان اثر اجتياح إسرائيل لهذا البلد عام ١٩٨٢ . وكذلك فان المقاومة الاسلامية اللبنانية والانتفاضة الفلسطينية كانتا في طليعة اهتمامات الامام الخميني فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية[78] .

---

(٧٦) هويدي ، المصدر السابق ، ص٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٧٧) حيث حظي هذا الأمر باهتمام كثير من المسلمين في كافة البلدان وأصبح ذا بعد مواجه مع بعض الأنظمة التي كانت ترى في هذه الخطوات ، دعماً للثورة الايرانية واطروحاتها الاسلامية .

(٧٨) بسام الحركة ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

ـ أقر مجلس الشورى الاسلامي مشروع المواد الثماني ، وخصص ميزانية رسمية سنوية لدعم الثورة الفلسطينية إلى جانب اقراره بعض القوانين الداخلية للمرة الأولى في البلاد[٧٩] .

ـ والأهم من ذلك كله موقف الجمهورية الاسلامية الرافض لمؤتمر السلام الدولي ، وتعبئتها القوى المعارضة في مؤتمر (دعم ثورة الشعب الفلسطيني الاسلامية) الأخير في طهران ، على رغم كل التهديدات الأميركية الجدية بعد الانتصار في حرب الخليج الفارسي وظهور النظام العالمي الجديد وانهيار الماركسية . ولعلنا نستطيع ان ندرك انعكاس الثورة الاسلامية على القضية الفلسطينية من خلال ما كتبه أحد المؤلفين العرب ، إذ يقول : «ان الثورة منحت العالم العربي فرصة تاريخية لن تكرر في التكفير عن خطايا الماضي وانحرافاته ازاء القضية الفلسطينية ، وهي أضافت إلى عمقه الجغرافي والمعنوي وطاقاته المادية والبشرية ، احتياطاً لا يستهان به ، كما انها قدمت لهذا العالم العربي درساً بليغاً في مواجهة الاستعمار والامبريالية ، ووفرت له فرصة تراجع تاريخية للنفوذ الغربي في المنطقة كان من الممكن استغلالها وايجاد نظام صراعي مع الصهيونية وحلفائها بديلاً من النظام السابق غير المتكافىء»[٨٠] .

وبعد ان درسنا باختصار موقع فلسطين في الحركتين ، نحاول فيما يلي ان نسلط الاضواء على المواقف المشتركة حول هذه القضية بين الحركة الاسلامية الايرانية وحركة الاخوان المسلمين :

### ١ ـ الابعاد الدينية للأزمة

لا يعتبر الاخوان المسلمون القضية الفلسطينية مشكلة سياسية ، بل هي في رأيهم مشكلة تاريخية ذات أبعاد عقيدية وحرب دينية ضروس بين المسلمين واليهود تمتد بجذورها التاريخية إلى صدر الاسلام فمن معارك خيبر وبني

(٧٩) يراجع نص قانون مجلس الشورى الاسلامي ذي المواد الثماني .

(٨٠) عادل رؤوف ، هوية الصراع ، ط ١ ، طهران ، مؤسسة كيهان ، ١٩٨٩ ، ص٧٢

القينقاع ، وهي مستمرة حتى تقع حرب مصيرية يبادون فيها وحتى حصول النصر المؤزر[٨١] .

ويستند الاخوان إلى عشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في اعتبارهم المشكلة الفلسطينية ناتجة من النفس العنصري لليهود وأساليبهم الخيانية ومواقفهم المشاكسة للأديان الالهية وقتلهم وايذائهم للأنبياء ، وخصوصاً مواقفهم الافسادية المعادية لرسول الاسلام في مكة والمدينة[٨٢] . ووصفت (الدعوة) اليهود بانهم «خونة لا يحافظون على العهد ولا يقدرون على العيش في سلام مع باقي الشعوب ، لأنهم نشأوا على الخداع والغش وتحقيق أهدافهم بالتفاوض عن طريق اللف والدوران وتضليل الجانب الآخر ، ودينهم يأمرهم بقتل غير اليهود كضحية دينية ، وينص على ان الله قد ولاهم على دم وممتلكات الشعوب»[٨٣] .

وكان للاخوان عداء لم يخفوه لليهود واعتبارهم يهوداً قبل أن يكونوا صهيونيين ، وكان ذلك دائماً عنصراً بارزاً في تفكير الاخوان المسلمين[٨٤] .

وفي بيان وجهه إلى المجاهدين المصريين وإلى أعضاء الاخوان يقول حسن البنا : «أيها الاخوان ، لا يهمكم ما يجري في مصر فان مهمتكم هي مقاتلة اليهود . وما دام في فلسطين يهودي واحد ، فان مهمتكم لم تنته»[٨٥] . من هنا «فإن القضية تتخذ بعداً دينياً خالصاً وتضيع معالمها وأبعادها السياسية»[٨٦] .

---

(٨١) يعترف مرشد الاخوان المسلمين عمر التلمساني ان معارضتهم لمعاهدة الصلح ليست سياسية بل عقائدية ، ويقول : «ولما سألني السادات عن سبب معارضتي لمعاهدة السلام عندما قابلته في ركن القناطر الخيرية أوضحت له اني لا أعارض المعاهدة سياسة ، فأنا أبعد الناس عن السياسة بمعناها المتداول بين الناس في العصر الحديث ، ولكني أعارضها دينياً ، لأن الاسلام يرفض أن يعترف المسلم لغير المسلم باغتصابه أرضاً مسلمة ، لأنه إذا ديست أرض المسلمين وجب على كل مسلم ومسلمة أن يخرجوا للجهاد حتى المرأة بغير إذن زوجها والعبد بغير رضا سيده» مجلة العالم ، ٩/ تشرين الثاني ، ١٩٨٥ ، العدد ٩١ .

(٨٢) ورد في حديث متفق عليه عن ابن عمر يقول : «ان للمسلمين معركة حاسمة يقول فيها الحجر والشجر يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي ورائي فاقتله» عبد القادر أبو فارسي مؤتمر مدريد في الشرع والعقل ، بيروت ، المؤسسة الاسلامية للطباعة ، ١٩٩١ ، ص٢٧ .

(٨٣) مجلة الدعوة ، ديسمبر ١٩٧٧ ، شباط ١٩٧٨ ، كانون الثاني ١٩٧٩ .

(٨٤) هيكل ، خريف الغضب ، ص٢٧١ . مصدر سابق .

(٨٥) الجندي ، أنور ، المصدر السابق ، ص١٦ .

(٨٦) فؤاد زكريا ، الحقيقة والوهم ، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع .

ويتضح من هذا ان القاموس السياسي للاخوان خال من كلمة الصهيونية ، والكلمة البديلة لها هي (اليهود) التي ترددها أجيال الاخوان . ففي اعتقادهم ان اليهود هم أساس جميع مشاكل المسلمين بدءاً بتشكيل الدولة اليهودية ، مروراً بتأسيس الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وانتهاء بهزائم العرب في الحروب المختلفة(٨٧) .

وتشدد الاخوان في آرائهم لما يرونه من تأكيد اليهود من جهة على الجوانب الدينية في صراعهم مع العرب ، وطرحهم شعارات مثل : (شعب الله المختار) و(الأرض الموعودة) و(يهودا والسامرة) و(أرض اسرائيل من الفرات إلى النيل) ، وما يقومون به من اهانات لمقدسات المسلمين كحرقهم للمسجد الأقصى وتدميرهم للآثار والأماكن الاسلامية المقدسة من جهة أخرى .

وليس في وسع الاخوان ان يتقبلوا أن : «أقذر وأحط صنف من البشر ، وهم اليهود ، يدنسون أطهر وأشرف بقاع الأرض ، مهبط الوحي ومسرى الرسول»(٨٨) .

وعلى الرغم من عدم انكار الحركة الاسلامية في ايران لما يتصف به اليهود من فساد ، ولما تحمله القضية الفلسطينية من أبعاد عقيدية وتاريخية ، إلا انها تؤكد على البعد السياسي لهذه القضية أكثر من جميع الأبعاد الأخرى . وعلى الرغم من وجود التقارب والاشتراك في كثير من الأمور بين الحركتين ، فان الحركة الاسلامية الايرانية تختلف مع الاخوان في تأكيدها سياسية المعركة (مع الصهيونية) أكثر من دينيتها (مع اليهود) ، ويتجلى هذا الأمر من خلال عدم استعمال المسؤولين وعموم الناس لكلمة (اليهود) إلا نادراً واستخدامهم كلمة (الصهيونية) .

ويجد قائد الثورة الاسلامية الإمام الخميني ان الصهاينة ليسوا (أهل دين) ولا (أهل ذمة) خلافاً لليهود ، ويؤكد في عدة مواضع (التفريق بين اليهود

---

(٨٧) عمدت الحكومة المصرية إلى حذف الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليهود حين بث القرآن في الاذاعة والتلفزيون في خطوة منها لتحسين علاقتها مع اسرائيل .

(٨٨) أبو مصعب ، فلسطين في فكر الامام الشهيد حسن البنا ، لواء الاسلام ، العدد ١١ ، ٢٧/ ٨٩ ، ص١٧ .

والصهاينة) وابقاء اليهود في أمان «في حال انتصار المسلمين على الصهاينة»[٨٩] .

والظاهر ان هذا الموقف يعتمد على عدة عوامل ، منها تصدي المسلمين للحكم في البلاد ، والاحساس بعدم وجود خطر من الأقلية اليهودية في الداخل بعد قطع يدها عن مقدرات البلاد من قبل الثوار ، والفصل بين يهود الداخل واليهود المهاجرين المحتلين للأراضي الفلسطينية ما لم يكن هناك ارتباط بينهم[٩٠] . ومن دواعي اتخاذ مثل هذا الموقف السياسي اعتبار هؤلاء اليهود كأقلية

---

(٨٩) يقول الامام الخميني في لقائه ببعض اليهود الايرانيين :
«اننا نميز بين المجتمع اليهودي والصهيونية والصهاينة . انهم ليسوا من أهل الدين . . . لقد كانت الثورة على المستكبرين رسالة النبي موسى (عليه السلام) ، وهذا أمر مختلف تماماً عما هم عليه هؤلاء الصهاينة السيئو الذكر ، فهم مرتبطون بالمستكبرين ، وهم جواسيس وعملاء لهم ، ويعملون ضد المستضعفين ، أي على عكس تعاليم النبي موسى الذي كان من عامة الناس ، وجمع الناس من حوله وثار على فرعون والسلطة الفرعونية . لقد ثار هؤلاء المستضعفون على المستكبرين ليجردوهم من استكبارهم ، خلافاً لسيرة هؤلاء الصهاينة المرتبطين بالمستكبرين ويعملون ضد المستضعفين .
أننا نعلم ان شأن المجتمع اليهودي غير شأن هؤلاء ، ونحن نقف ضدهم ، لأنهم ضد جميع الأديان . انهم ليسوا يهود ، انهم اناس سياسيون يستغلون اسم اليهودية ، واليهود يبغضونهم ، وعلى جميع الناس أن يبغضوهم» صحيفة النور ، ص ١٦٦٤ ، ١٦٥ . وفي موضع آخر يرد على سؤال مراسل الاذاعة والتلفزيون الألماني عن مصير اليهود إذا انتصر الفلسطينيون وانهزمت اسرائيل ، فيقول : «اليهود غير الصهاينة ، فإذا انتصر المسلمون على الصهاينة ، فسيكون مصير هؤلاء كمصير الشاه المقبور ، ولن يمس اليهود بسوء ، بل سيكونون شعباً كسائر الشعوب» ، صحيفة النور ، ج ١٠ ، ص١٧٠ .
ويخاطب الأقليات الدينية وزعماءها قائلاً : أنكم ترون ما تصنعه الصهيونية التي تدعي اليهودية ويرفضها اليهود ، ورغم ذلك فهي تدعي اتباع النبي موسى» (درجستجوي راه ازكلام امام) ، ص٣٧ .

(٩٠) «ان اليهود ، وهم أهل ذمة يعيشون في هذه البلاد الاسلامية برفاهية واحترام مثل جميع أهل الكتاب (النصارى ، والزرادشت) . . .» ، صحيفة النور ، ج ٤ ، ص٨٤ .
ـ «إذا كان يهود ايران يساعدون اسرائيل (وهم كذلك ويدعمهم الشاه في ذلك) فعلى الشعب الايراني ان يمنعهم» ، صحيفة النور ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
ـ «سوف تقطع جميع العلاقات مع اسرائيل ، ولكن اليهود سيعيشون بحرية أكبر مما كانوا عليه في عهد الشاه ، لأن الاسلام يحترم جميع الأديان» صحيفة النور ، ج ٤ ، ص٢١٩ . ويعبر الامام عن اليهود في الأرض المحتلة بأنهم «حفنة من اليهود اللصوص في فلسطين» .

دينية على غرار الأقليات الدينية الأخرى ، وتطبيق الأحكام الحقوقية الاسلامية عليهم باعتبارهم من أهل الذمة ، اضافة إلى مواجهة الاعلام العالمي المعادي للاسلام وابراز الاسلام في المجتمع الدولي باعتباره الدين الوحيد الذي يحمي الأقليات الدينية (ومنها اليهودية)[٩١] .

لعل هذه الأسباب هي التي تجعل الحركة الشيعية الايرانية تركز على مصطلح (الصهيونية) دون كلمة (اليهودية) . ويبدو هذا الأمر بوضوح على امتداد تاريخها الثوري ، ولا سيما بعد انتصار الثورة الاسلامية . ومن هنا ليس اعتباطاً ان تردد هذه الحركة شعارات الاخوان المعادية لليهودية ، ولكن بعد تخفيفها من الطابع الديني واضفاء الطابع السياسي عليها[٩٢] .

ونشاهد هذا الأمر في المظاهرات الايرانية الواسعة ضد اسرائيل ، وفي مسيرات البراءة من المشركين المضادة للصهيونية التي ينظمها الحجاج الايرانيون سنوياً في مكة والمدينة .

**٢ ـ الاسلام هو الحل الوحيد**

لا شك ان اضفاء البعد الديني على القضية الفلسطينية يتطلب حلاً دينياً أيضاً ، ومن ثم فان تحرير الأراضي المحتلة وانقاذ سكانها المسلمين لن يتأتى ـ في رأي الاخوان ـ إلا بالاعتماد على الدين وسلوك أبعاد أوسع من الابعاد غير الدينية التي تسلكها المنظمات الفلسطينية .

وترسخت هذه القناعة لدى الاخوان إثر عقم الجهود التي بذلتها الاتجاهات المادية المختلفة كالماركسية والليبرالية والقومية في سبيل تحرير فلسطين ، والهزائم المتلاحقة التي منيت بها هذه التيارات ، وهزيمة العرب بزعامة القائد القومي

(٩١) ان الأقليات الدينية التي عاشت بين المسلمين في صدر الاسلام هي غير المشركين أو بعض الناس الذين كانوا يحيكون المؤامرات ويحاولون اثارة الناس ضد بعضهم ، إنما كانت أقليات دينية تحظى باحترام الاسلام . صحيفة النور ، ج ٦ ، ص١٦٤ .

(٩٢) على سبيل المثال الشعار المعروف : «خيبر ، خيبر يا يهود ، جيش محمد سوف يعود» الذي أطلقه للمرة الأولى الذين اعدموا السادات ورددوه أثناء محاكمتهم . ومثله شعار : «خيبر خيبر يا صهيون ، جيش محمد قادمون» الذي يردد في المناسبات الايرانية .

الأوحد عبد الناصر في حربهم مع اسرائيل عام ١٩٦٧ ، ثم استسلام القوميين والوطنيين في منظمة التحرير الفلسطينية(٩٣) ، وجعلهم ذلك يقتنعون ان السبيل الوحيد لانقاذ فلسطين هو اشتراك المسلمين جميعاً في (جهاد اسلامي مسلح) ، لأن موقف الاسلاميين يتجسد في رفض الهوية القومية واضفاء الطابع غير الاسلامي على حركة الجهاد هذه . «إن القضية الفلسطينية من المنظور الاسلامي تعتبر قضية كل المسلمين وليس العرب وحدهم ، كما انها تعتبر قضية اسلامية يجب ان يستخدم فيها سلاح القرآن كما يستخدم اليهود سلاح التوراة» . فان موقف الاسلاميين : «يتمثل في رفض الهوية القومية ومحاولة صبغ الصراع بأية صبغة غير اسلامية باعتبار ان الصراع العربي/ الصهيوني صراع بين المسلمين واليهود في الأصل وبين اليهودية والاسلام»(٩٤) .

«والسبيل إلى فلسطين والجهاد من أجلها من وجهة نظر الاخوان لا يتحقق إلا بالرجوع إلى المنطلقات الاسلامية واستيعاب الواقع غير الاسلامي القائم ، والهدف هو تحرير الأرض بكاملها والعودة إليها . . . بالاسلام ومن أجل الاسلام ، وأي موقف يتناقض وهذا الفهم يعتبر من وجهة نظر الاخوان المسلمين تفريطاً وباطلاً ، ذلك لأن حق المسلمين في فلسطين هو حق ديني تاريخي ثابت لا يزول ولا يمسح ، ولا يملك أحد أي حق للتخلي عنه ، جزئياً أو كلية ، وهو حق نابع من انتمائنا إلى الاسلام ، الدين المنزل الوارث لكل دين الهي سبقه ، وهو بعد ذلك حق تاريخي وحضاري وبشري وقانوني بمفهوم القانون الدولي الحديث . . . وليس لليهود حق في فلسطين بأي مقياس من هذه المقاييس ، ولا سواها»(٩٥) .

---

(٩٣) «يعترض الاخوان المسلمون على برنامج الاتجاه الوطني ، وخاصة لحركة فتح القائم على مقولة التحرير أولاً ثم الدعوات الفكرية ثانياً ، حيث ان التحرير من وجهة نظر الاخوان لا يمكن ان يتم بدون الدين الاسلامي الذي يوجد التأهيل النفسي والفكري والروحي المناسب والذي يقاتل به المسلمون عدوهم» أحمد نوفل ، الطريق إلى فلسطين ، ص٣٩ .

(٩٤) الورداني ، ص١٨٥ ، مصدر سابق .
الجدير بالذكر ان الاسرائيليين على عكس الاخوان ، اعتادوا على تسمية أعدائهم بالعرب وليس المسلمين لتضييق نطاق أعدائهم وتصغير شأنهم .

(٩٥) نبيل شبيب ، الواقع القائم وارادة التغيير ، ص ١٣ ـ ١٩ .

ويعتقد الاخوان «ان الأمة العربية/ الاسلامية هي العمق الاستراتيجي والرصيد الحقيقي للمعركة مع العدو الصهيوني هو اليوم المهمة الكبرى للأمة الاسلامية ، وهو فرض عين على كل مسلم حيثما وجد حتى تعود فلسطين إلى حمى الاسلام»(٩٦) .

وقد دأب الثوار الايرانيون وقادة الجمهورية الاسلامية على ترديد هذا المبدأ قبل الثورة وبعدها . ودأب الامام الخميني أيضاً على تأكيد الخطر العظيم الذي يهدد الاسلام والبلدان الاسلاميَة بسبب وجود اسرائيل ، وطالما ردد «ان اسرائيل خطر عظيم يهدد أساس الاسلام ، وعلى الحكومات الاسلامية خصوصاً والمسلمين عموماً ان يتخلصوا من جرثومة الفساد هذه بأي نحو ممكن»(٩٧) .

وعلى هذا «ان واجب كل فرد من المسلمين في أقصى نقاط العالم الاسلامي هو واجب الشعب الفلسطيني نفسه»(٩٨) . ويؤكد أن الحل الاسلامي الديني هو الوحيد الكفيل بتحرير الأراضي الاسلامية ، وأن الأيادي المتوضئة هي وحدها القادرة على الجهاد .

ويبرز الخلاف في هذا الموضوع بين الاخوان المسلمين من جهة ، والحركة الاسلامية الايرانية والحركات الاسلامية المتفرعة عن الاخوان من جهة أخرى حول اعطاء الأولوية للجهاد أو للدعوة ، بمعنى : هل الظروف مؤاتية لعمل شامل لتحرير فلسطين ، أم ان الأمر يحتاج إلى وقت لتربية جيل من المسلمين مدرك لواجباته الاسلامية؟ وبعبارة أخرى يدور الحديث حول تربية كادر قادر على اقامة حكومة مركزية في إحدى البلدان العربية للانطلاق منها إلى تحرير فلسطين في المرحلة التالية ، أي ان الجدل يتركز على القضية التالية : (ما هو المحور الأساس للحركات الاسلامية ، القضية الفلسطينية أم الحكومة الاسلامية؟) وحول هذا الأمر تختلف الآراء .

ففي الوقت الذي تعطي الحركة الاسلامية الايرانية وزعماء الشيعة الأولوية

(٩٦) بيان حماس بمناسبة انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر .
(٩٧) صحيفة النور ، ج ١ ، ص١٣٦ .
(٩٨) المصدر نفسه .

الكاملة للقتال مع اسرائيل ولتحرير الأراضي المحتلة ، وهم يؤكدون دائماً ضرورة تعبئة جميع القوى الوطنية والاسلامية داخل فلسطين المحتلة وخارجها وتوظيف جميع الطاقات الموجودة لاستئصال (الغدة السرطانية) دون تضييع الوقت(٩٩) ، ولا يجيزون تأخير ذلك مطلقاً ، نجد ان جماعة الاخوان تحمل رأياً آخر ، ولا تعطي الأولوية للجهاد .

الاخوان المسلمون ينظرون إلى اسرائيل «كمشكلة مزعجة نجمت عن مشكلة أساسية أو كلية تمثلت في سقوط النظام السياسي الاسلامي وسقوط الخلافة وغياب الدولة الاسلامية ، فبعد سقوط الخلافة داهمت المسلمين مشكلات عدة كان قيام اسرائيل إحداها . ويستمر هذا الطرح في التأكيد «ان مواجهة اسرائيل لا تتم إلا بعد اقامة الدولة الاسلامية» فهي وحدها القادرة على رفع راية الجهاد وتحرير المغتصب من أراضي الاسلام . ويقول أصحاب هذا الطرح إنهم يتأسون ويسلكون درب الرسول الذي لم يؤذن له بالقتال والجهاد ، إلاّ بعد اقامة الدولة الاسلامية في المدينة بعد فترة من التربية والاعداد العقائدي استمر ثلاثة عشر عاماً كاملة في مكة ، وإنا لمطالبون اليوم أن نعيش ذلك العهد المكي من الاعداد التربوي والعقائد التي ستؤهلنا لاقامة دولة الاسلام ، ومن ثم تحرير فلسطين وغير فلسطين . ويقولون : «إن فلسطين أرض اسلامية وتحريرها واجب اسلامي ولكن ذلك مؤجل ومرهون باقامة الدولة الاسلامية»(١٠٠) .

---

(٩٩) الغدة السرطانية هو المصطلح الذي دأب الامام الخميني ورجال الجمهورية الاسلامية الايرانية على وصف اسرائيل به .

(١٠٠) ابراهيم فتحي ، المنهج (مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الاسلامي المعاصر) ، دار الفكر الاسلامي ، ١٩٨٩ ، ص٤٢ .

يقول هذا الكاتب ، وهو عضو سابق في جماعة الاخوان المسلمين ، وسكرتير لمنظمة (الجهاد الاسلامي في فلسطين) حالياً : «ان التجربة الفذة للامام الشهيد حسن البنا سنة ١٩٤٨ مثلت استثناء واضحاً ومميزاً كما كانت تجربة الاخوان المسلمين في الأردن ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٠ حيث تبنوا الكفاح المسلح وقاتلوا جنباً إلى جنب مع الفصائل الوطنية استثناء آخر» . ويضيف : «ونحن نعتبر ذلك استثناء لأن أصواتاً ترتفع من وقت إلى آخر تعتبر الامام الشهيد حسن البنا قد أخطأ في خطواته تلك ، وانه تراجع عن ذلك وانه لم يكن شخصياً مقتنعاً بالفكرة من أساسها ، وانه أجبر عليها ! ! أما تجربة ٦٨ ـ ١٩٧٠ في الأردن فتعتبرها الأصوات نفسها أحد الأخطاء والتجارب الفاشلة التي تمت تحت الحاح الشباب المسلم على حمل السلاح» .

بل ان البعض يرى في القضية الفلسطينية قضية فرعية ، ومن ثم يوجب البدء بالقضية الأساسية لينقل منها إلى القضية الفرعية :

«عندما نقول هذه القضية (أي فلسطين) فرعية ، فهذا يعني ان هناك قضية كلية أصلية لا تجد القضية الفرعية لها حلاً إلا بعد حل القضية الكلية الأصلية ، ويجب ان تتضافر كل الجهود على تحقيق ذلك الحل وإلا بقيت القضية الكلية الفرعية دون أن تجد حلاً والقضية الكلية الأصلية هي قضية قيام حكم الله في الأرض وبالأخص في الأرض المجاورة لفلسطين . ولذلك فشلت كل المحاولات السابقة في معالجة هذه القضية لأنها أهملت دور القضية الكلية الأصلية وذهبت لمعالجة الفرع قبل الأصل . وبدون قيام الحكم الاسلامي في الدول المجاورة لفلسطين فلن يجد المجاهدون العاملون لتحرير فلسطين موطئ قدم آمناً ينطلقون منه»(١٠١) .

وهناك بعض الآراء الاسلامية ترفض جعل القضية الفلسطينية القضية المركزية الأولى للمسلمين ، ويرون ذلك صادراً عن جهل أو عمالة . يقول محمد علي قطب ، أحد الكتّاب الاسلاميين : «وكان من تعتيم الرؤيا وقصر النظر والعمالة ان شغل العرب والمسلمون بالقضية الفلسطينية وجعلوها محور الصراع بينهم وبين الصهيونية مدعومة بالامبريالية الرأسمالية الغربية ، ونسوا أو تناسوا ـ ان اسقاط الدولة العثمانية (الرجل المريض) بكل معطياتها السياسية والعسكرية والجغرافية ـ حتى الاقليمية ـ كان هدفاً رئيسياً وسياسياً في تحطيم بوابة الشرق والوثوب على العالم الاسلامي . كما نسوا أيضاً ـ أو تناسوا ـ النزاعات التي قامت أو تقوم في كشمير وقبرص وافغانستان والصومال وارتيريا والصحراء الغربية ـ الصحراء الاسبانية»(١٠٢) .

ويبين كاتب آخر موقف الاخوان فيقول : «ان هذا الخيار غير عملي أو غير ممكن من الناحية التطبيقية في الآونة الراهنة وضمن ظروف القمع الحالية . فالجهاد

(١٠١) المصدر نفسه ، ص٤٣ ، نقلاً عن صادق عبد الرحمن ، حيران وعمر التلمساني ، ص٣٧ .
(١٠٢) محمد علي قطب ، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، ص٦ .

الشعبي الاسلامي يحتاج إلى ظهير يحميه ويتيح له فرصة الانطلاق في صورة دولة ونظام اسلامي ، لذلك فان انطلاقه بغير ذلك الظهير لا بد ان يصطدم مع القوى الرسمية التي ستحول بين الحركة الاسلامية وبين ممارسة الجهاد»(١٠٣) .

ويلحظ كاتب اسلامي آخر تصور الاخوان لكيفية الاقتراب من فلسطين ، ويقول : «يجب ان نحدث تغييراً شعبياً عريضاً ، وان وجدنا ذلك وانشأنا صفاً اسلامياً أو أرضاً اسلامية (دولة) ننطلق منها للعمل كظهير للمسلمين ، تكون المشاركة حينها مجدية وتستطيع ان تتقدم أفواج المجاهدين من كل بقاع الأرض»(١٠٤) .

كما ان اهتمام الاخوان في سائر البلدان بقضية أفغانستان وارسالهم القوات العسكرية للجهاد فيها في السنوات الأخيرة كانت تهدف لتحقيق الهدف المذكور .

إلا أن «الحركة الاسلامية التقليدية التي رأت ان المشكلة الأساسية تتمثل في (غياب دولة الخلافة) وليس في وجود اسرائيل ، المشكلة الفرعية الطارئة التي ستزول بعد قيام الدولة الاسلامية ، هذه الحركة ضربت بمعنى انها هزلت وضعفت وابتعدت عن الجماهير وذلك بتخليها أو تأجيلها لمسألة الجهاد في فلسطين ، وفي الوقت نفسه لم تنجح في تحقيق الهدف الذي توجهت إليه في اقامة الدولة الاسلامية والذي كان ضرورياً تحقيقه لانجاز مشروع تحرير فلسطين لاحقاً»(١٠٥) .

إلا أن كثيراً من الاخوان المسلمين تغير موقفهم اثر اتساع مبادئ الثورة الاسلامية الايرانية ، وانتشار الصحوة الاسلامية والأصولية الاسلامية في ربوع العالم الاسلامي ، والأهم من ذلك كله انطلاق الانتفاضة في الأراضي المحتلة على أيدي الجماعات الجهادية الأصولية .

---

(١٠٣) خالد صلاح الدين ، الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية ، مقالة الاتجاه الاسلامي ، الموقف العام من القضية الفلسطينية ، ص١٠٢ .

(١٠٤) أحمد نوفل ، الطريق إلى فلسطين ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(١٠٥) ابراهيم فتحي ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

«وأصبح جلياً أن حركة حماس[١٠٦] وهي وجه (جماعة الاخوان) الذي دخل مرحلة الانتفاضة إنما هي تعبير عن تغير في استراتيجية العمل بالنسبة إلى الجماعة ، كما أنه تحول كبير في برنامج عمل الجماعة . . . فبعد عشرات الشهداء من حماس ومئات الجرحى والمعتقلين لم يعد لمقولة (مرحلة التربية) أهمية ، بل لعل الجماعة قد وصلت إلى قناعات بأن مرحلة (التربية) قد انتهت . والذي يتابع البيان المنشور من قبل حركة حماس يلاحظ تقدماً بيناً على لغة الخطاب الاخواني ويجد ان اعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية أصبح من الوضوح بحيث يمكن القول ان حركة حماس قد حدد لها قضية أساسية : انها القضية الفلسطينية تجند من أجلها كل الوسائل . . .»[١٠٧] .

«فلقد انتقلت جماعة الاخوان بفعل الانتفاضة من كونها جماعة دعوة وتربية إلى حركة سياسية ذات خطاب سياسي وبرنامج عمل سياسي»[١٠٨] .

«وان الانتفاضة هي التي سرعت الاخوان المسلمين وحماس بالقفز إلى هذه المرحلة الجديدة»[١٠٩] .

يقول يوسف العظم أحد زعماء الاخوان في الأردن : «ان الاخوان انتقلوا عبر الانتفاضة من مرحلة إلى مرحلة جديدة في ولادة طبيعية وليست قيصرية»[١١٠] .

---

(١٠٦) حماس مخففة عن (حركة المقاومة الاسلامية) ، وهي حسب بيانها التأسيسي فرع من الاخوان المسلمين ، أعلنت وجودها رسمياً بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية ، وباشرت نشاطها في الأرض المحتلة .

(١٠٧) الانتفاضة الثورة ، دراسة من الداخل ، ص٤٣ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

(١٠٩) أبو عمرو ، المصدر السابق ، ص٨٧ . لقاء مع الشيخ بسام جرّار أحد الشخصيات الاسلامية المجاهدة في الضفة الغربية بتاريخ ١١/ ٥/ ١٩٨٩ .

(١١٠) المصدر نفسه ، ص٨٨ ، لقاء مع الشيخ يوسف العظم ، عضو البرلمان الأردني بتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٩٨٩ .

ويذكر الاخوان المسلمون ان الانتفاضة اندلعت بقرار منهم . يقول ابراهيم قوقا ان الشعب المسلم انتفض بقرار حركة المقاومة الاسلامية ـ حماس التي حددت بكل دقة ساعة الصفر في محاريب المساجد . (محسن راضي ، حوار مع ابراهيم قوقا ، مجلة لواء الاسلام ، ١١/ ١١/ ١٩٨٨) .

ويذكر الشيخ ياسين بان الاخوان (حركة المقاومة الاسلامية) هم الذين فجروا الانتفاضة ، وهم الذين يقودونها .

وأما الخوض في مدى جدية هذا الموقف ، وفي كونه تحولاً تكتيكياً أم تحولاً في النهج والاستراتيجية ، فهذا ما لا يسعه بحثنا هنا[111] ، ولكن ما لا شك فيه أن هذا الموقف لا يقتصر على الاخوان المسلمين في الأرض المحتلة ، وما يؤيد هذا الأمر المواقف الأخيرة لحركة الاخوان في مصر والأردن[112] .

ويتوقع ان ينحسر الخلاف بين الحركة الاسلامية الايرانية وحركة الاخوان المسلمين إثر هذه الحركة التغييرية .

### ٣ ـ رفض المفاوضات والحلول السلمية

الأمر الثالث الذي تشترك فيه الحركتان فيما يتصل بالقضية الفلسطينية ، هو رفض أي نوع من المفاوضات والحلول السلمية مع الصهاينة لانهاء هذه القضية .

فقد التزم الاخوان منذ البداية بمعارضتهم لأي سلام مع اسرائيل دون إعادة كامل الأراضي المحتلة واحقاق حقوق الفلسطينيين . وهو الأمر الذي حرص عليه

---

(١١١) المصدر نفسه ، ص١٧٠ :
(وقد جاء قرار مشاركة الاخوان في الانتفاضة على خلفية الحوار الذي كان دائراً في صفوف الحركة الاسلامية في الأرض المحتلة وخارجها . وكان السؤال المطروح هو : هل يتوجب على الحركة الاسلامية تعليق موضوع الجهاد ضد الاحتلال حتى تقوم الدولة الاسلامية القاعدة ، أم انه يتوجب الدخول في المواجهة مباشرة؟ وكما أصبح واضحاً من مشاركة الاخوان في الانتفاضة فقد تم تبني الخيار الثاني . ولكن لا يعرف ما إذا كان هذا الموقف استراتيجياً ويعكس توجهاً ثابتاً لدى قيادة التنظيم العالمي للاخوان وقيادة الاخوان في المنطقة والأرض المحتلة ، أم ان مقتضيات المرحلة هي التي دعت إلى اتخاذ قرار من هذا النوع ، وان مقتضيات مرحلة أخرى قد توجب التراجع عنه . يذكر في هذا السياق ان بعض القيادات التقليدية للاخوان لم تكن متشجعة لمسألة المشاركة في الانتفاضة ولكن القيادات الشابة في الجماعة ، بشكل خاص ، استطاعت فرض موقفها الداعي إلى هذه المشاركة) .

(١١٢) كذلك أعلنت أخيراً جماعة الاخوان المسلمين في الأردن وهي من فروع الاخوان النشطة والمهمة ، بعد تشكيل حزبها الرسمي ان «الهدف الأساس للحزب هو تحرير فلسطين من نهر الأردن إلى البحر المتوسط» .
وحسب اسوشيتد برس من عمان يقول نائب سكرتير هذه الجماعة رائف نجم : «ان الحزب الجديد سوف يعد نفسه للجهاد من أجل القضاء على اسرائيل وتحرير أراضي الأردن وسوريا ومصر التي احتلت في حرب ١٩٦٧» . صحيفة كيهان ٣/ ١٩٩٢ ، طهران .

الثوريون الايرانيون ، وما زالوا رغم كل الضغوط الدولية يتبعون هذا النهج وبكل حذافيره .

وكانت معاهدة كامب ديفيد بين مصر واسرائيل وسفر السادات إلى القدس عام (١٩٧٨) السبب الوحيد الذي حال دون استمرار الاخوان في تعاونهم مع السادات . يقول الصحفي المصري عادل حمودة : «لقد كانت زيارة القدس ومعاهدة كامب ديفيد بمثابة الهوة السحيقة بين نظام السادات والاخوان المسلمين»[١١٣] ، والتي اعتبرتها مجلة الدعوة : «ليست سوى وسيلة في أيدي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي معاً للقضاء على الاسلام والمسلمين ليحققوا ما فشل فيه الصليبيون في زمانهم»[١١٤] .

ويقول عمر التلمساني في هذا المجال : «لقد أبينا على السادات معاهدة كامب ديفيد منذ أن بدأت نذر شؤمها في الآفاق . أنكرنا عليه مبادرة القدس ، وانكرنا عليه وثيقتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام»[١١٥] .

ووقفت الحركة الشيعية الايرانية وزعماؤها الدينيون والسياسيون هذا الموقف فعارضوا مشاريع السلام ، وسعوا لعرقلتها .

وفي خطابه عام ١٩٨٢ بمناسبة الذكرى السنوية لانتفاضة (١٥ خرداد) وصف الامام الخميني معاهدة (كامب ديفيد) و(مشروع فهد) الهادفين لدعم اسرائيل وجرائمها بأنهما من «أخطر الأمور»[١١٦] ، ووصف المعاهدة المذكورة بأنها مخالفة لمصالح المسلمين وخيانة للاسلام[١١٧] .

وفي رأي الاخوان ان الاعتراف باسرائيل «اقرار باغتصاب أرض اسلامية»[١١٨] . وفي رأي الامام الخميني ان تأييد «مشروع اعتراف المسلمين

---

(١١٣) حمودة ، المصدر السابق ، ص١٢٥ .
(١١٤) مجلة الدعوة ، المصدر السابق ، شباط ١٩٨٧ .
(١١٥) مجلة العالم ، العدد ٩١ ، لندن ، نوفمبر ١٩٨٥ .
(١١٦) صحيفة النور ، ج ١٦ ، ص١٧٩ .
(١١٧) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص٢٠٦ .
(١١٨) مجلة الدعوة ، العدد ١١٥ ، أيلول ١٩٨٦ ، ص٢٤ .

باسرائيل» هو كارثة للدول الاسلامية وليس فخراً ، وان معارضته «فريضة اسلامية كبرى»[119] .

ونقرأ في الفقرة الثالثة عشر من البيان التأسيسي لحركة حماس (الاخوان المسلمين ـ فرع فلسطين) : «تتعارض المبادرات أو ما يسمى بالحلول السلمية والمبادرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الاسلامية ، فالتفريط بأي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين . والمقاومة لا ترى ان المؤتمر الدولي المقترح لحل القضية يمكن أن يحقق المطالب أو يعيد الحقوق وما تلك المؤتمرات إلا نوع من أنواع تحكيم أهل الكفر في أرض فلسطين»[120] .

ومع بداية الحديث عن مؤتمر السلام الدولي ، أصدر الاخوان في مصر بياناً مؤلفاً من أربع عشرة مادة ضمنوه مواقفهم ، وبعد القول : «اننا نؤكد في هذا البيان الطرح الاسلامي للقضية الفلسطينية وهو الجهاد في سبيل الله» ورد : «ان الاخوان المسلمين يتابعون بقلق بالغ الحلول السلمية المطروحة على الساحة الدولية لانهاء القضية الفلسطينية . . . اننا لم ولن نساوم على أرض فلسطين أبداً ، ففلسطين كل فلسطين ملك لجميع المسلمين ، وهي ترتبط بهم ارتباطهم بالعقيدة والشريعة ، فهي أرض النبوات ومهد الرسالات»[121] .

وكذلك وقف الاخوان المسلمون (بجميع فروعهم) موقفاً حازماً من مؤتمر مدريد ، ووقف زعماء ايران الموقف عينه ، فقد ادانوه بشدة ، ووصفوه بأنه مؤتمر (بيع فلسطين) :

«ان مؤتمر مدريد هو مؤتمر خياني ومؤتمر اعطاء الشرعية للمغتصب الصهيوني . انه مؤتمر رضوخ الادارة العربية والفلسطينية الرسمية ، وهذا لا

---

(١١٩) صحيفة النور ، العدد السابق .

(١٢٠) البيان التأسيسي لحركة حماس : ورد في الفقرتين ١١ ، ١٣ : «ان حركة المقاومة الاسلامية تعتقد ان أرض فلسطين وقف اسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة ، لا يصح التفريط فيها أو في جزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها» .

(١٢١) صحيفة النهار ، بيروت ، ٢٨/ ٥/ ١٩٩١ .

يقـره الاسـلام ، ونحـن لا نرى انه يحق لأي شـخص أن يجلس مع اليـهـود وأعوانهم ليتنازل عن أي حق من حقوق أبناء فلسطين . فهذا المؤتمر لتصفية قضية فلسطين ، ولـذلك فـان الاخـوان المسلمين لا يقـرون هـذا المؤتمر ولا يوافـقـون عليه»[١٢٢] .

٤ ـ الموقف المشترك من المنظمات غير الدينية المناضلة في فلسطين

على الرغم من العلاقات الجيدة التي كانت تربط الثوار الايرانيين بمنظمة التحرير الفلسطينية والفصائل الوطنية المناضلة الأخرى ووجود العلاقات الدبلوماسية معها ، فان الجمهورية الاسلامية تتفق مع الاخوان المسلمين في موقفها المشكك في هذه المنظمات ، وذلك بسبب مواقفها من الحرب العراقية ـ الايرانية ومن مؤتمرات السلام في الشرق الأوسط وأساليب المقاومة وغيرها . ويقوم الموقف المشترك بين الحركتين تجاه منظمة التحرير الفلسطينية وخلافهما معها على الأسس التالية[١٢٣] :

ـ معارضة تشكيل دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين المحتلة .

«شكل الخلاف الايديولوجي في وجهات النظر في شأن القضية الفلسطينية وكيفية حلها الأساس الذي قامت عليه العلاقة بين الاتجاهين الديني والوطني بما ترتب على ذلك من آثار سلبية»[١٢٤] .

«الاخوان يوجهون النقد إلى المنظمة لأنها منظمة لا تحترم الله[١٢٥] ، ويعترضون على المبادئ التي تتبناها الفصائل المكونة للمنظمة ، ويرون ان عودة هذه الفصائل إلى الاسلام يشكل بداية السير في الطريق الصحيح . اننا نرى أن المنظمات الفلسطينية في الساحة تقوم على مبادئ تحمل في طياتها التناقض

(١٢٢) عمر عبد الرحمن خليفة ، عضو قيادة حركة الاخوان المسلمين ، مجلة العهد ، الناطقة باسم حزب الله لبنان ، بيروت ٢ جمادى الأولى ١٤١٢ .

(١٢٣) مع ملاحظة تاريخ العلاقات المتذبذبة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحركة الاسلامية الايرانية قبل الثورة الاسلامية وبعدها ، وكذلك تاريخ علاقات الاخوان المسلمين منذ الخمسينات وخصوصاً منذ حرب ١٩٦٧ وحتى الانتفاضة عام ١٩٨٧ .

(١٢٤) أبو عمرو ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(١٢٥) الفجر ، ٢٤/ ٤/ ١٩٨٤ .

والاختلاف ، بل ان بعضها يتبنى بوضوح الأفكار اليسارية واليمينية المعادية للإسلام ، وبعضها يعلن انه يريد دولة علمانية في فلسطين ، وهذا الاختلاف قد جرَّ عليهم الويلات والضربات والفتن . وعليه فاننا نرى ان أول السير في الطريق الصحيح ان تنبذ الأفكار الهدامة ، وأن تعود هذه المنظمات قيادة وقاعدة إلى الله ، وتوحد صفوفها تحت راية الاسلام وتعتمد الحل الاسلامي لقضيتها وتتبناه ، وان تقاطع كل محاولات الاستسلام لليهود وتحاربها بكل ما أوتيت من قدرة»[١٢٦] .

ويحدد الاخوان موقفهم المعارض لاجراء اتصالات مع يهود تقدميين على أساس ديني . وقد كانت هذه المسألة موضوع خلاف بين الاخوان من ناحية وفصائل (م . ت . ف) من ناحية أخرى منذ البداية . ويأخذ الاخوان على ياسر عرفات موقفه الودي من المنظومة الاشتراكية ومن القوى الديمقراطية في اسرائيل[١٢٧] .

ويلتزم الاخوان الموقف نفسه تجاه ياسر عرفات لعلاقته الودية مع التيار الاشتراكي والقوى الديمقراطية في اسرائيل .

ـ معارضة تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة في جزء من الأراضي المحتلة .

ـ المعارضة الجدية لاشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في أي سلام أو مساومة حول القضية الفلسطينية والاعتراف بدولة اسرائيل .

«ومن خلال ما كتب على أحد ملصقات الدعاية الانتخابية التابعة للكتلة الاسلامية في جامعة بيرزيت عام ١٩٨٧ جدد الاخوان المسلمون موقفهم من المنظمة : فتوى شرعية لا يجوز بأي حال من الأحوال اعطاء الولاء لمن لا يتبنى الاسلام فكراً وممارسة . ويورد بيان انتخابي رد الكتلة الاسلامية على التساؤلات حول عدم التزام هذه الكتلة (الاخوان) بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني . «ان الكتلة الاسلامية تناصر كل من يحمل السلاح ويقاتل ويقدم الشهداء لتحرير الأرض واحقاق الحق وينصر المظلومين . ولكن الكتلة الاسلامية لا تعترف بمن يسعى لعقد صلح مع اليهود على حساب أرضنا

(١٢٦) مجلة الدعوة ، العدد ١١٥ ، ص٣٥ .

(١٢٧) أبو عمرو ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

المغتصبة وشعبنا المشرد وثرواتنا المنهوبة ومقدساتنا المهانة ممثلاً لهذا الشعب كائناً من كان»(١٢٨) .

وقد أدى وجود ونفوذ العناصر اليسارية والتيارات الشيوعية في كثير من الفصائل الفلسطينية ومخالفتها الجدية للدين واتباعها للاتحاد السوفياتي ولمعسكر الشرق (سابقاً) وللأنظمة العربية إلى ان «قام كل نظام حكم بتشكيل فصيل تابع له ايديولوجياً ومالياً وسياسياً ، ثم عمل على ضمه إلى جهاز المنظمة من خلال مؤتمرات القمة من ناحية ، ومؤامرات العمل المسلح من ناحية أخرى . وبذلك أصبح قرار المنظمة قراراً نابعاً من سياسات الأنظمة وتابعاً لها(١٢٩) .

---

(١٢٨) بيان صادر عن التجمع الاسلامي في جامعة بيرزيت عام ١٩٨٦ للدفاع عن التجمع الاسلامي : «تجد بعض الاتهامات الموجهة إلى الاخوان المسلمين من قبل الاتجاه الوطني آذاناً صاغية أحياناً في ظل بعض مواقف الاخوان التي يصعب تفسيرها ، والتي تتطلب قدراً أكبر من الايضاح . من هذه المواقف تبني الاخوان استراتيجية عقائدية وسياسية تقوم على المطالبة بتحرير كل فلسطين من سيطرة اليهود واقامة دولة اسلامية عليها في الوقت الذي يرفض فيه الاخوان ممارسة المقاومة المسلحة أو الجهاد الفعلي ضد الاحتلال» ، أبو عمرو ، المصدر السابق ، ص٦٤ . ويتعرض الاخوان المسلمون للمساءلة حول عدم ممارستهم للجهاد من قبل كتاب يكنون العطف للحركة الاسلامية . يقول أمين هويدي : «أين كان الاخوان المسلمون طوال السنوات العشرين التي أعقبت هزيمة ١٩٦٧ ، ولماذا توقف جهادهم خلال هذه السنين ، ولماذا لم تنهض كوادرهم للدفاع عن الوقف (فلسطين) ولاداء فرض العين (الجهاد) ومباشرة الكفاح المسلح طوال تلك الفترة؟» فلسطين الاسلامية هي فلسطين المحررة ، لواء الاسلام ، ٩/ ١/ ١٩٨٩ ، العدد ١٠ ، ص٢٥ .

(١٢٩) م . ت . ف . من محنة إلى محنة ، مجلة المنطلق ، العدد ١٦ ، بيروت ، تشرين الثاني ١٩٨٦ ، ص٦ .

# القسم الثاني :

# عناصر الافتراق بين الحركتين

ندرس في هذا القسم عناصر الافتراق في العلاقات بين الحركتين ، أو بعبارة أخرى العناصر التي تشكل عقبة في طريق هذه العلاقات . وحين تكون هذه العناصر ذات جذور فكرية نتناولها تحت عنوان العناصر الفكرية ، بينما ندرسها تحت عنوان (العناصر السياسية) حين تكون ذات طابع سياسي سطحي .

## ١ ـ عوامل الافتراق الفكرية

### أ ـ الحكومة وشكلها المختلف في رأي الحركتين

«نلاحظ من تجربة حركة الاخوان المسلمين في مصر ان تبني نظرية التربية الشاملة للفرد كان ثابتاً في كل مراحل الظروف . ولكن يلاحظ ان الحركة كانت تواجه باستمرار أسئلة تتعلق بالموقف من السلطة والحكم ، أو موقفاً من قضايا اسلامية قد يؤدي الجواب عنها إلى صدام مع موقف السلطة[١]» .

هل في منهاج الاخوان المسلمين ما يشير إلى أنهم يسعون إلى تكوين حكومة أو يطالبون بالحكم ، وما وسيلتهم لذلك؟

هذه أسئلة طرحها الشيخ حسن البنا في خطاب افتتاح المؤتمر الخامس للاخوان المسلمين الذي انعقد عام ١٩٣٨ وقال «انه لن يدع السائلين في حيرة ولن يبخل بالجواب ، فالاخوان يسيرون على ضوء فهمهم للاسلام ، والاسلام يجعل الحكومة ركناً من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد» ، ويستمر الشيخ البنا قائلاً : «وقد جعل (صلى الله عليه وسلم) الحكم عروة من عرى الاسلام والحكم معدود في كتب الفقه من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع»[٢] . ولذلك «فالمصلح الاسلامي ان رضي لنفسه ان يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم وترك أهل التنفيذ يشرِّعون للأمة ما لم يأذن به الله

---

(١) منير شفيق ـ حول نظرية التغيير ، ص٣٨٣ .

(٢) البنّا : مجموعة رسائل الامام الشهيد (رسالة المؤتمر الخامس) ، ص٢٧٧ .

ويحملـونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامر الله ، فإن النتيجة الطبيعية ان صوت هذا المصلح صرخة في واد ونفخة في رماد»[٣] .

التنفيذ صياغة لأمر الله وتنفيذ أحكامه ، أما والحالة كما هي آنذاك «فان قعـود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف»[٤] .

حسن البنا كان يرى ان الأصل في الاسلام هو الترابط بين الدين والدولة وان الاسلام دين شمولي وان الخلافة أو الحكومة الاسلامية غاية سعى إليها الاخوان[٥] .

وحول موقف الاخوان من الحكم وان كان في منهاجهم ان يكونوا حكومة وان يطالبوا بالحكم والوسيلة إلى تحقيق ذلك؟ يجيب البنا : «ان الاسلام الذي يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه»[٦] .

إن الشيء الذي تمتاز به جماعة الاخوان هو انها أقبلت على العمل السياسي ونادت بان الاسلام دين ودولة ، ودعت إلى تحقيق الدولة الاسلامية ، ولم تتخذ جماعة الاخوان هذا الموقف من الاسلام السياسي ، إلا بعد أن امتلكت القوى البشرية التي تمكنها من ذلك . وفي هذه المرحلة أخذ البنا يكتب تحت عنوان آخر غير العناوين السابقة . فقد أخذ يكتب تحت عنوان : دعوتنا في طور جديد .

في هذا الطور الجديد اتسع ميدان الدعوة فأصبح العالم الاسلامي كله ، وتغيرت أهدافها فأصبحت امتلاك السلطة من حيث ان هذه السلطة هي التي

---

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٧٢ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) البنّا : مذكرات الدعوة والداعية ، ص١٤٥ ، القاهرة ، دار الشهاب (يرى الاخوان ان الوصول إلى الحكومة الاسلامية يتم على مراحل هي : اعداد الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم وحكومة المسلم ثم الخلافة التي توحد المسلمين) ، محمد محمد بدر ، الجماعات الاسلامية في جامعات مصر ، ص١٠٤ .

(٦) البنا ، مجموعة رسائل الامام الشهيد (رسالة المؤتمر الخامس) ١٩٣٨ .

سوف تكون أداة الدعوة إلى الله ، وتغيرت وسائل تحقيق هذه الأهداف فأصبحت الجهاد بدلاً من الحكمة والموعظة الحسنة .

ولم يفصح الاخوان عن رغبتهم في السلطة منذ النشأة الأولى لهم حين كانوا لا يملكون القوة التي تدفع بهم إلى السعي من أجل الاستيلاء على السلطة ، ومن هنا وقفوا عند مطالبة الحكومة بالعمل في سبيل الله ، بل اعتبروها في ذلك الوقت ممن تجب عليهم الدعوة إلى سبيل الله(٧) .

وفي ضوء المعطيات الجديدة التي فرضت نفسها في مصر والبلدان الاسلامية بعد الحرب العالمية الثانية ولزوم مواجهة التحولات الجديدة منذ تأسيس الاخوان ، كتب حسن البنا بعد عشر سنوات قائلاً : «سننتقل من دعوة الكلام وحسب إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والعمل ، وسنتوجه بدعوتنا إلى المسؤولين وسندعوهم إلى مناهجنا ونضع بين أيديهم برامجنا ، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية ، آزرناهم ، وإن لجأوا إلى المواربة وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة ، فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الاسلام ولا تسير في الطريق لاستعادة كلمة الاسلام ومجد الاسلام . سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة ، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين . إلى الآن أيها الاخوان ، لم تخاصموا حزباً ولا هيئة ، كما أنكم لم تنضموا إليهم . كان ذلك دائماً موقفكم ـ أيها الاخوان ـ سلبياً . هكذا فيما مضى ، أما الآن وفي هذه الخطوة الجديدة فلن يكون كذلك ، ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه ، خصومة شديدة إن لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الاسلام منهاجاً يسيرون عليه ، ويعملون له فإما ولاء وإما عداء .

ولسنا في ذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقنا أو نغير مسلكنا

---

(٧) د . محمد أحمد خلف الله ، مقالة (الصحوة الاسلامية في مصر) ، الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ـ جامعة الأمم المتحدة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ، أغسطس ١٩٨٩ .

بالتدخل في السياسة كما يقول الذين لا يعلمون . اننا بذلك ننتقل خطوة ثانية في طريقنا الاسلامي وخطتنا المحمدية ومنهاجنا القرآني . ولا ذنب لنا ان تكون السياسة جزءاً من الدين وان يشمل الاسلام الحاكمين والمحكومين فليس من تعاليمه : أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله . ولكن في تعاليمه : قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار»[٨] .

وكان من تقدير حسن البنا لابعاد الصراع مع الحكومة والمسؤولين أن العمل شاق والتضحية مطلوبة ، ومن هنا يعفى غير القادرين على الصراع من تحمل مشاقه وأهواله . يقول : ﴿ولتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ ، فمن كان معنا في هذه الخطوة فليتجهز وليستعد لها ، ومن قعدت به ظروفه أو صعبت عليه تكاليف الجهاد فليبتعد من الصف قليلاً وليدع كتيبة الله تسر ثم فليلقنا بعد ذلك في ميدان النصر إن شاء الله» . وحسن البنا لم يتوجه بهذا القول إلى الاخوان إلا وهو يعلم ان هناك الكتائب التي أعدها للجهاد ، أعدها في السر لا في العلن[٩] .

وكتب البنا مقالاً في صحيفة «الاخوان المسلمون» جاء فيها : «لا أستطيع أن أجهر صراحة بأن المسلم لا يتم اسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر في شؤون أمته ، مهتماً بها ، غيوراً عليها . . .»[١٠] .

وكذلك كان الامام الخميني منذ أوائل حركته الاسلامية يشرح لطلابه أسس الحكومة الاسلامية في دروسه الحوزية[١١] ، وكان يؤكد كثيراً ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية وعدم الفصل بين الدين والسياسة ، وفي هذا يقول :

«علّموا الناس الاسلام لئلا يحسب الشباب ان رجال الدين قابعون في

---

(٨) راجع مجلة النذير ، العدد ١ ، القاهرة .
(٩) المصدر نفسه .
(١٠) حسن البنا ، الاسلام سياسة وحكم ، (صحيفة الاخوان المسلمين ، ١٦/ ٤/ ١٩٤٦) .
(١١) ألقيت هذه الدروس في النجف الأشرف ثم طبعت تحت عنوان (الحكومة الاسلامية) ، أو (ولاية الفقيه) .

النجف وقم يدرسون أحكام الحيض والنفاس ولا شأن لهم بالسياسة ، وان الدين منفصل عن السياسة . ان الاستعمار هو الذي أطلق فكرة فصل الدين عن السياسة وان علماء الاسلام لا شأن لهم بالشؤون الاجتماعية والسياسية ، وراح أعداء الدين يروّجون لهذه الفكرة . هل كان الدين منفصلاً عن السياسة في زمن الرسول (ص)؟ هل كان هناك مجموعة من علماء الدين ومجموعة أخرى من السياسيين؟ هل كان الدين منفصلاً عن السياسة في زمن خلفاء الحق أو الباطل وفي زمن خلافة الامام علي (ع)؟ هل كان ثمة جهازان في حينه؟

ان المستعمرين وعملاءهم هم الذين يروّجون لهذه الأفكار ليقصوا الدين عن الخوض في أمور الدنيا وفي تنظيم مجتمع المسلمين ، وليقصوا علماء الاسلام عن الناس وعن المناضلين في سبيل الحرية والاستقلال . وحينئذ يتسنى لهم ان يتسلطوا على الشعب وأن ينهبوا ثرواتنا . . وهذا هو هدفهم»[١٢] .

وفي موضع آخر يفصل الامام الحديث حول أدلة وجوب تشكيل الحكومة ، فيقول : «سنة الرسول الاكرم (ص) دليل على وجود تشكيل الحكومة للأسباب التالية : أولاً ، لأن الرسول نفسه شكّل حكومة ، فالتاريخ يشهد على أنه شكّل حكومة ونفذ قوانين الاسلام وفرض أحكامه واهتم بادارة المجتمع ، وانه كان يرسل الولاة إلى أطراف دولته ، ويقضي ويعيّن القضاة ، ويرسل سفراءه إلى الخارج وإلى رؤساء القبائل والملوك ، ويعقد المعاهدات ، ويقود الحروب ويؤدي كل أعمال الحكومة ؛ ثانياً ، عيّن خليفة عنه بأمر الله ، وحين يعين الله تعالى حاكماً على المجتمع بعد الرسول (ص) فذلك يعني ان الحكومة واجبة حتى بعد رحيل رسول الله»[١٣] .

وفي موضع آخر يقول : «حين ندقق بطبيعة أحكام الشريعة نفهم ان

---

(١٢) الامام الخميني ، ولاية الفقيه (الحكومة الاسلامية) ، طهران ، دار أميركبير ، ص٢٣ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص٢٨ .

تنفيذها والعمل بها يستلزمان وجود حكومة ، وان وجوب تنفيذ الأحكام الالهية لا يمكن العمل به دون تشكيل جهاز عظيم وواسع للتنفيذ والادارة»[١٤] .

ويورد الامام دليلاً آخر فيقول : «ان كثيراً من الأحكام كأخذ الديات ودفعها إلى أصحابها أو الحدود وأحكام القصاص التي يجب ان تنفذ باشراف الحاكم الاسلامي لا يمكن ان تتحقق دون تشكيل مؤسسات حكومية . كل هذه القوانين تتعلق بجهاز الدولة ، ولا يمكن لغير سلطة الحكومة ان تنفذها»[١٥] .

من هنا فان الحركتين تعتقدان اعتقاداً راسخاً باقامة الحكومة الاسلامية وبتطبيق الشريعة وارتباط الدين بالسياسة . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل تتفق هاتان الحركتان في نظرتهما إلى مفهوم الحكومة والحاكم وإلى طريقة تطبيق الشريعة وأسلوب الوصول إلى الحكم؟

إن الشواهد الموجودة تشير إلى وجود اختلاف عميق في هذا المجال بين الحركتين ، ومصدره اختلاف نظرة كل منهما إلى هذه المفاهيم .

وإذا كنا نعتبر جماعة ـ وليس حركة ـ الاخوان المسلمين جماعة أصولية سنية متأثرة إلى حد بعيد بالمذهب السني السلفي ، فاننا نجانب العدل والانصاف إذا قومنا فكرها السياسي من خلال الفكر الشيعي الحسيني - الثوري ، ولم نلاحظ البنية الفقهية والكلامية والدينية للمذهب السني[١٦] . ولا ريب انهم لا يستطيعون أيضاً تقويم الحركة الشيعية في ايران وانصافها من خلال مذهبهم .

---

(١٤) المصدر نفسه ، ص٣٣ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص٣٩ .

(١٦) راجع كتاب محمد جامعي (زمينة هاي تفكر سياسي در قلمرو تشيع وتسنن) دار الهدى - طهران ، حول نظرة السنة إلى تاريخ صدر الاسلام وإلى الحاكم والعدالة والخصائص الأخرى التي بلورت الفكر السياسي لأهل السنة .

ان البنية الفكرية لكل من الفريقين إنما هي حصيلة تطورات وتحولات فقهية وكلامية واجتماعية لأكثر من ألف سنة من التاريخ الاسلامي ، وبدون تحليل هذه التطورات والتحولات يصبح البحث في نظرة الحركتين إلى المفاهيم الأساسية المذكورة بحثاً عقيماً ، بل يفضي إلى غير الصواب .

إن التقويم الصحيح لهذه التحولات التاريخية يقودنا إلى الاجابة عن بعض الأسئلة ، مثل لماذا لا يبادر الاخوان إلى الثورة؟ لماذا تحكمهم مثل هذه العلاقة بالحكومة؟ وكذلك يفصح لنا عن معنى بعض الاتهامات ، مثل العمالة والخيانة والمحافظة والتطرف . . .

ولسنا في حاجة هنا إلى أن نؤكد أننا لسنا في صدد تقويم آراء كل من الطرفين في هذا المجال وإنما نلقي فيما يلي نظرة على آرائهما في شأن الحكومة والحاكم وأسلوب تطبيق الأحكام الاسلامية والاختلافات بين هذه الآراء .

ونرى قبل ذلك ان نشير إلى نقطتين ، الأولى ان أهل السنة يفرّقون بين الحكومة ، ونعني بها الحكومة الاسلامية ، وبين الحاكم والشروط التي ينبغي توافرها فيه . وعلى الرغم من الترابط الوثيق بينهما ، فانهما إنما تبلورا بتأثير سلسلة من العوامل المختلفة .

فقد تأثر أهل السنة في نظرتهم إلى الحكومة بالقرآن والسنة النبوية ، وأحياناً بتراث الصحابة ، بينما تأثروا في مسألة الحاكم تأثراً أساسياً بل كاملاً بالأوضاع السياسية والتاريخية في العصور الاسلامية الأولى وما أعقبها وحتى أوائل العصر العباسي . وبعبارة أوضح ان فهمهم للحكومة متأثر بالأسس النظرية للاسلام ، وإذا صح التعبير فانهم مثاليون في نظرتهم إلى الحكومة ، وواقعيون في نظرتهم إلى الحاكم . وهم لا يرون أي ترابط بين هذين الموضوعين ، تماماً على عكس الفكر الشيعي[١٧] .

والثانية ، لو استعرضنا التاريخ الاسلامي منذ وفاة الرسول (ص) لرأينا ان متغيرات أنظمة الحكم كانت في أغلبيتها المطلقة تتكون من الحكام وينتسبون إلى

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٠ و١٨١ .

أهل السنة والجماعة ، وأقلية كانت على الأغلب معارضة وهي الشيعة . إذن فعلاقة الشيعة بالحكام الجائرين والذين كانوا على الأغلب من أهل السنة والجماعة تختلف عن علاقة السنة بأولئك الحكام . وهذه العلاقة وكل النتائج التي ترتبت عليها هي جزء من الصياغة المنطقية للفكر السياسي السني ، ويمكن استنتاج حقائق كثيرة في أصول هذه الصياغة المنطقية من خلال تسليط الأضواء على هذه الظاهرة .

وفي هذا السياق يرى السيد محمد باقر الصدر أنه : «في المراحل الأولى من حياة الأمة الاسلامية في عصر النبي (ص) كان هناك اتجاهان رئيسيان مختلفان قد رافقا نشوء الأمة وبداية التجربة الاسلامية منذ السنوات الأولى ، وكانا يعيشان معاً داخل اطار الأمة الوليدة التي انشأها الرسول القائد . وقد أدى هذا الاختلاف بين الاتجاهين إلى انقسام عقائدي عقيب وفاة الرسول (ص) مباشرة ، شطر الأمة الاسلامية إلى شطرين قدّر لاحدهما أن يحكم ، فاستطاع أن يمتد ويستوعب أكثرية المسلمين ، بينما اقصي الشطر الآخر عن الحكم وقدّر له أن يمارس وجوده كأقلية معارضة ضمن الاطار الاسلامي العام وكانت هذه الأقلية هي الشيعة»[١٨] .

ان فرقة أهل السنة والجماعة كانت في حصن حصين من قبل أغلب السلطات السياسية الحاكمة منذ وفاة الرسول (ص) وإلى يومنا هذا . وكانت الفرقة الأخرى «الشيعة» هي الفرقة المضطهدة في أغلب الأدوار ، والبعيدة عن الحكم ، ولذلك فإن لظروف كل من الفرقتين أثراً كبيراً في صياغة الاهتمامات والاطارات الفكرية والعقائدية .

لقد تم تسليط الأضواء على الشيعة نظراً إلى مواقفهم الحاسمة من الحكام ، ولا سيما الأمويين والعباسيين ، وألصقت بهم أيضاً اتهامات كثيرة ، بينما كان أهل السنة والجماعة في مأمن من هذه الظاهرة تقريباً طوال عصور طويلة . ويرى أحمد أمين انه «كان للحكومات دخل كبير في نصرة مذهب أهل السنة» .

---

(١٨) السيد محمد باقر الصدر ، التشيع والاسلام ، ط٤ ، بيروت ، دار الغدير ، ١٩٧٣ ، ص ٤٠ ـ ٤٦ .

ويقول : «والحكومات عادة إذا كانت قوية وأيّدت مذهباً من المذاهب تبعه الناس بالتقليد وظل مسنداً إلى أن تدول الدولة . ومن بين هذه الحكومات التي أيدت أهل السنة ، الدولة الأيوبية في مصر والشام وعلى رأسها صلاح الدين ، ودولة الموحدين وعلى رأسها محمد بن تومرت ، والدولة الغزنوية» . ولكن الواقع هو أن الحكومات التي كانت بجانب أهل السنة والجماعة هي أغلب أنظمة الحكم التي جاءت بعد وفاة الرسول (ص) كعهد الخلفاء الراشدين وعهود الأمويين والعباسيين وغيرهم . لذلك نرى ان الحكومات كانت سنداً لفرقة أهل السنة والجماعة في عدم توجيه الاتهامات والانتقادات إليهم في الكثير من العقائد والممارسات والوقائع التي يأخذون بها . ولذلك فقد بقيت هذه الفرقة في مأمن من عواصف النقد الشديدة ومن مثل المحن التي مرت بها فرقة الشيعة طوال عصور الحكم السني[١٩] .

وبعد ذكر هاتين النقطتين ننتقل إلى أصل البحث ، فلنلق نظرة على آراء علماء الفريقين في الحكومة والحاكم ، ليتبين لنا فهم الحركتين للمفاهيم التي مرت بنا سابقاً .

يربط الشيخ محمد جواد مغنية بين موقف السنة من الحاكم الجائر وبعض الآراء التي وردت عن الشيعة من قبل بعض المفكرين والكتّاب السنة كأحمد أمين بقوله : «ان جمهور السنة يوجبون طاعة الحاكم الجائر والصبر على ظلمه وجوره ولا يجيزون الخروج عليه ، وان الشيعة يوجبون المعارضة والثورة على الفساد والظلم . فمذهب الشيعة يخالف مذهب التسنن في ذلك»[٢٠] . ويقف كل منهما موقف التضاد من الآخر فأكثر السنة يرون الخروج على الحاكم الجائر خروجاً على الدين والاسلام . والشيعة يرون الخروج عليه من صميم الدين والاسلام والصبر على الجور خروجاً عنه ، وبهذا نجد السر الأول والتفسير الصحيح لقول أحمد أمين وغيره من السنة بأن «التشيع كان لكل من أراد هدم الاسلام» لأن الاسلام في منطق أحمد أمين وأسلافه يتمثل في شخص الحاكم جائراً كان أو

(١٩) أحمد أمين ، ظهور الاسلام ، ج ٤ ، ص ٩٦ و٩٧ .

(٢٠) محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الاسلامية ، ج ١ ، ص١٥٥ ، ٢٩٩ .

عادلاً ، فكل من عارضه أو ثار عليه فقد خرج على الاسلام . . . وعلى هذه السبيل فلا عجب إذا قال أحمد أمين ان الشيعة هدامون ، أجل ! انهم هدامون ولكن للضلال والفساد[٢١] .

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي : ان موقف أهل السنة (من نظم الحكم القائمة) كان أقرب إلى التسليم بالأمر الواقع (Statusquo) دون تأييد له أو خروج عليه ، يتجلى ذلك في موقف امام كالحسن البصري ، إذ انتقد تصرفات معاوية وعدها موبقات . ومع ذلك عارض قتال الحجاج ذلك الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة قائلاً : أرى ألا تقاتلوه ، فانها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله باسيافكم ، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين[٢٢] . ويقول الحسن البصري أيضاً : «تجب طاعة ملوك بني أمية وإن جاروا وإن ظلموا . . . والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون»[٢٣] .

قال ابن حنبل والشافعي ومالك : يجب الصبر عند جور الحاكم[٢٤] . وجاء في آخر الجزء الثامن من كتاب المواقف وشرحه : «إن المرجئة قالوا : لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وذهبت بعض فرقهم إلى أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن لا يضره ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ولا يعاقب عليها» .

وزعموا أن الخروج على الحاكم المستخف بدين الله الجائر على عباد الله حرام ، مستدلين بأن في الخروج تفريقاً لكلمة المسلمين ، واستبدال الخوف بالأمن ، وبما رواه أبو بكر عن الرسول : «ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، الا فإذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له ابل فليلحق بابله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كان له أرض فليلحق بأرضه . فقال

---

(٢١) محمد جواد مغنية ، الشيعة والحاكمون ، بيروت ، دار الجواد ، ص٢٧ .

(٢٢) محمود صبحي ، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص٢٣ .

(٢٣) مغنية ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٢٤) أبو زهرة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص١٠٥ .

رجل : يا رسول الله من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر» . ونقل أبو زهرة في الصفحة ١٥٨ من كتابه «المذاهب الاسلامية» عن الصحيحين البخاري ومسلم أن رسول الله قال : «من ولّي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية ولا ينزعنّ يداً من طاعة» . هذا إلى أن الأشاعرة يقولون بأن الانسان مسيّر غير مخيّر «وان جميع أفعاله بقضاء الله وقدره»[٢٥] .

يقول ابن حنبل : «لا يجوز الخروج على الامراء بالسيف وان جاروا» .

وبلغ تطرف علماء السنة وزعمائهم حداً أن قالوا : «إذا زادك السلطان اكراماً فزده اعظاماً وإذا جعلك عبداً فاجلعه رباً» .

وفي شرح الموطأ ان مالكاً وجمهور أهل السنة يرون : «إذا ظلم الامام فالطاعة أولى من الخروج»[٢٦] .

ويقول ابن حنبل : «السمع والطاعة لأئمة أمير المؤمنين ، البر والفاجر . . . ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم»[٢٧] . أي أنه لا يرى فقط أن عزل مثل هؤلاء الأشخاص غير ممكن ، بل لا يجيز حتى ذكرهم بسوء ، واضافة إلى ذلك لا بد من طاعتهم صالحين كانوا أو طالحين .

ويرى الباجوري مثل هذا الرأي ، إذ يقول : «فتجب اطاعة الامام ولو جائراً»[٢٨] . بمعنى ان الامام إذا ما عدل عن أصل العدالة وهي أهم واجب تجاه الأمة ، فان الأمة تظل ملزمة بطاعته .

---

(٢٥) مغنية ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

(٢٦) حيدر علي قلمداران ، (حكومت در اسلام) ، ص١٩ .

(٢٧) المناقب لابن الجوزي ، ص٧٦ .

(٢٨) حاشية الباجوري على شرح الغزي ، نقلاً عن (نظام الحكم والادارة في الاسلام) تأليف شمس الدين .

ونقرأ في صحيح مسلم : «يحرم الخروج على الامام الجائر اجماعاً»(٢٩) .

وإذا كان هذا هو موقف علماء أهل السنة من حكام الجور ، فانهم يقفون على الحياد إذا وقع نزاع بين زعيمين ، ويمتنعون عن تأييد أي منهما سواء كان محقاً أو مبطلاً . ويظهر هذا الأمر بوضوح فيما يتصل بصحابة الرسول الاكرم (ص) ومعاصري الخلفاء الراشدين ، بل في التاريخ الاسلامي كله بشكل عام . فعلى سبيل المثال يعظم ابن حنبل جميع صحابة الرسول (ص) ويحترمهم ولم يقل عنهم إلا خيراً . وهو يرى شرعية حكم الامام علي (ع) ، وفي الوقت نفسه لم يذم معاوية بكلمة واحدة ، وقد أعرض عن ذكر معركتي صفين والجمل رغم مقتل الكثير من الصحابة فيهما لئلا يضطر إلى ذم أحد من الصحابة . . . فالصحابة عنده سواسية ، ولم ينقل عنه في شأنهم إلا الذكر الجميل .

---

(٢٩) يرى أكثر المستشرقين ان الامامة نوع من الحكم الاستبدادي المطلق . يقول أمر كوليوث : «الامامة : حكومة مطلقة ، والامام ليس مسؤولاً إزاء أحد حتى لو ارتكب قتلاً . وعلى الناس ان يطيعوه دائماً وفي جميع الأحوال ، وليس لهم حق الاعتراض مطلقاً» . ويقول آرنولد : «الخلافة : حكومة ظالمة ومستبدة . والخليفة ذو صلاحيات غير محدودة . وليس للناس إلا الطاعة فقط» . ويقول ماك دونالد : «لا يمكن بأية حال اعتبار الخليفة حاكماً دستورياً» .

D. B. Macdonald, Development of muslim Theology jurisprudence and constitutional Theory, pp. 58 - 59.

ـ الحكومة الاسلامية في رأي ابن خلدون ، ص٩٦ .

أفتى عدد من الفقهاء السنة بعزل الامام الجائر ومنهم الماوردي وابن حزم والغزالي ولكنهم يصرون على دعوة الأمة للصبر على الحاكم إذا لم يكن صالحاً .

إلا أن بعض السنة ذكروا بعض الشروط لأولي الأمر ، وما لم توجد هذه الشروط في ولي الأمر فان طاعته غير واجبة . يقول أبو الأعلى المودودي في تحقيق له : العدالة شرط لازم للخلافة ، فلا يجوز ان يكون الخليفة أو القاضي أو الحاكم أو المفتي ظالماً أو فاسقاً . وإذا كان كذلك فامامته باطلة وطاعته غير واجبة على الناس» . أبو الأعلى المودودي ، الخلافة والملوكية ، ص٣٠٧ .

وتناول الامام الحنفي المعروف أبو بكر الجصاص هذه المسألة . بوضوح في أحكام القرآن ، فقال : «فلا يجوز ان يكون الشخص الظالم نبياً ، أو خليفة نبي أو قاضي أو صاحب منصب يكون الناس ملزمين بقبول أمره في شؤون الناس . وآية ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ تدل على أن الشرط الواجب في من يتولى أمور الدين هو أن يكون عادلاً وصالحاً . وثابت في هذه الآية ان امامة الفاسق باطلة ، وانه لا يمكن أن يكون خليفة» . الخلافة والملوكية ، ص٣٠٧ . محمد جواد صاحبي ، (انديشه اصلاحي در نهضتهاي اسلامي) ، طهران ، مؤسسة كيهان ، ص١١٨ .

وكان يقول : «ان معاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري هم من الأشخاص الذين وصفهم في القرآن الكريم بقوله : في سيماهم اثر السجود»[٣٠] .

ويتكلم ابن جزي الفقيه والمتكلم المعروف في القرن الثامن بصراحة أكثر على هذا الموضوع فيقول : «أما خلاف علي (ع) ومعاوية فخير لك ألا تعرض له وان تذكرهما بالخير وتفسر ما وقع بينهما باحسن وجه ؛ لأنه مورد من موارد الاجتهاد . ولكن علياً وأصحابه كانوا على الحق لأنهم اجتهدوا فأصابوا فهم مأجورون ، وأما معاوية وأصحابه فقد اجتهدوا وأخطأوا فهم معذورون ، وعلينا أن نعظّمهما وسائر الصحابة وان نحبهم جميعاً»[٣١] .

يقول محمد مسجد جامعي في كتابه القيم «مجالات الفكر السياسي عند الشيعة والسنة» باسطاً الحديث في هذا الأمر : «ان فهمهم لاحداث صدر الاسلام جعلهم يرون بل يعتقدون بأنه لا يمكن مطلقاً لمسلمين أن يقفا بوجه بعضهما وأن يتنازعا ويكون أحدهما على الحق المطلق والثاني على الباطل المطلق . وهم يؤكدون بشكل خاص أنه إذا وقع خصام بين مسلمين يمتلكان الصفات اللازمة للمسلم ، فلا يمكن ان يكون أحدهما على باطل .

وليس المهم هنا ان يكون الحق إلى جانب من ، بل المهم ان لا يكون ثمة باطل في القضية ، وكأنهم يقبلون ضمناً في مثل هذه الحال بوجود حق نسبي للطرفين وليس حقاً مطلقاً . فحين لا يكون هناك باطل ، فلا بد أن يمتلك كل من الطرفين بعض الحق» .

ويضيف قائلاً : «وهنا نرى مدى اختلاف الفريقين في الجانب النفسي والتكوين الذهني . فمن جانب نجد بنية ذهنية لا تستطيع الحكم بالتناقض بين طرفين مسلمين متخاصمين ، ومن جانب آخر نجد بنية فكرية ونفسية لا تستطيع الحكم على هذين الطرفين المسلمين إلا بالتناقض ، فتعتبر أحدهما على الحق المطلق ، والثاني على الباطل المطلق .

---

(٣٠) الأئمة الأربعة ، ج ٤ ، ص١١٧ .

(٣١) القوانين الفقهية ، ص١٨ .

ولا ريب ان مثل هذا الاختلاف الدقيق والمهم يفضي إلى وجود جوين اجتماعيين وثقافيين مختلفين للتحولات السياسية والاجتماعية . فشدّة الثورة في مجتمع يصنف الأطراف المتنازعة إلى حسيني ويزيدي ، لا بد أن تختلف كثيراً عنها في مجتمع لا يجد في التاريخ أو على الأقل في التاريخ الاسلامي حسينياً محضاً ولا يزيدياً محضاً (على افتراض تسليمه بأن الحسين كان على الحق المطلق وان يزيد كان على الباطل المطلق) .

ولسنا في صدد بيان أي الفكرين على صواب وأيهما على خطأ ، وإنما غرضنا ان نبيّن خصائص كل منهما . فمن أهم ما يميز بين الشيعة والسنة هو اختلافهم في تفكيرهم وفي نظرتهم إلى الأمور . ومن ثم فمن العسير ان يفهم بعضهم البعض ، فهم ينظرون إلى قضية واحدة نظرتين مختلفتين تعتمدان على سلسلتي مقدمات مختلفتين تماماً .

وإذا حدث ان فهم سني طبيعة تفكير الشيعي وفهم وحلّل مثله الأحداث التاريخية والسياسية ، فذلك لأنه يحمل فكراً شيعياً ، وليس لأنه يفكر بالعقلية الخاصة به وبمذهبه .

ومثل هذا الكلام بعينه يصدق في شأن الشيعي . فهو لا يستطيع ان ينظر إلى الأحداث التاريخية والاجتماعية كما ينظر إليها السني . فالعقلية التي يحملها كل منهما تختلف عن الآخر ، ومن ثم لا يمكن ان يتفقا في نظرتهما إلى الأمور وفي تقويمهما للأحداث»[٣٢] .

---

(٣٢) محمد مسجد جامعي ، (زمينه هاى تفكر سياسي در قلمرو تشيع وتسنن) ، طهران ، دار الهدى ، ص١٥٥ .

يتحدث جامعي في هذا الشأن محللاً الفكر السياسي لدى أهل السنة ، ويورد موقفهم تجاه حادثة عاشوراء شاهداً حياً على ما يذهب إليه . إذ يقول في الصفحة ١٥٥ : «وهذه الطريقة من التفكير مستحكمة في نفوسهم حتى ان الكثير منهم يسكتون ازاء قصة عاشوراء . وأما من لم يسكت فلأسباب خاصة كتمسكه بالأحاديث المنقولة عن الرسول (ص) في فضل الحسين (ع) وبالأحاديث التي تلمح لحادثة عاشوراء ، ومن ثم فهو يعتبر الامام الحسين على حق ويزيد على باطل ، ولولا هذه الأحاديث لما شخّص موضع الحق وموضع الباطل ، لماذا؟ للأسباب التي أوردناها ، إضافة إلى أدلة فقهية وكلامية أخرى .

ويعبارة أوضح ، انه لولا الروايات التي تتحدث بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن عاشوراء ومنزلة =

نخلص من هذا البحث المفصل نسبياً إلى نقطة مهمة جداً ، وهي انه على الرغم من ثورية مؤسس الاخوان وواقعيته ومن أعقبه من الزعماء ، وعلى الرغم

---

= أهل البيت (ع) والخمسة الطيبة وعن مثالب الأمويين وشخص يزيد لتوقف أهل السنة ازاء حادثة مهمة وواضحة كعاشوراء . فهم لا يستطيعون وفقاً للأدلة المقبولة لديهم أن يحكموا بالحق لأحد الطرفين .

والغريب ان بعض السنة وقف إلى جانب يزيد فبرّأه وأدان الامام الحسين على أساس الأدلة الدينية والفقهية . ومن هؤلاء أبو بكر بن العربي والسائرون على خطه في الماضي والحاضر ، فهو يمدح يزيد بصراحة ويخطئ الامام الحسين في خروجه ، ويقول : «لم يسمع نصيحة اعلم أهل زمانه عبد الله بن عباس وعدل عن رأي شيخ الصحابة عبد الله بن عمر ، فطلب البداية في النهاية والاستقامة في الاعوجاج . ففي حين خرجت الخلافة من يد أخيه على كثرة جيشه ووقوف كبار القوم معه ، فأنّى له ان يستعيدها بأوباش الكوفة . وقد نهاه كبار الصحابة عن هذا العمل وهذا الرأي . . . وكان أولى به أن يمتلك سعة الصدر ويبايع يزيد . ولم يكن يزيد وواليه عبيد الله بن زياد هما اللذان قتلاه ، بل قتله من طلب إليه القدوم إلى الكوفة ثم سلّمه إلى أوباش الكوفة» العواصم من القواصم ، ص٢٣١ ، ٢٣٢ .

وليس المهم هنا هو الهدف الذي دفع ابن العربي إلى مثل هذا القول الذي أطلقه من منطلق ديني ، بل المهم هو أن هذا القول جاء مع الأصول الفقهية والكلامية المقبولة لدى أهل السنة . والحقيقة ان الذي يمنع علماء أهل السنة من ترديد هذا القول بمثل هذه الصراحة إنما هو منزلة الامام وشأنه وفسق يزيد وفجوره . وبعبارة أخرى ان الالزامات الثانوية هي التي منعتهم من أن يوافقوا ابن العربي في رأيه وليس الأصول الأولية . فإذا كان ثمة اختلاف فهو ثانوي وأحياناً أخلاقي وليس أصولياً .

من هنا رجح الكثير من كبار علماء السنة التوقف والسكوت في مثل هذا المورد . وهنا يجب أن نعرف سبب هذا التوقف ، ولماذا توقف الكثير من علماء السنة في إدانة يزيد ، ولماذا لم يجزها آخرون؟

الحقيقة ان هؤلاء المتوقفين وحتى المانعين ليسوا ممن يبيع آخرته بدنياه ، وليسوا ممن يريد استرضاء حكام الجور بموقفهم هذا ، بل ان بعضهم أبدى موقفه هذا خلافاً للفكر العام السائد وأحياناً الحكم القائم في حينهم . إنما كانوا يرون فيه أداء لواجبهم الشرعي . فهم يرون أنفسهم مضطرين إلى السكوت ازاء التعارض بين أصولهم الفقهية والكلامية والالزامات الثانوية الناتجة من صحة الأحاديث الواردة في شأن الامام الحسين (ع) وفي شأن مثالب يزيد ومن الاشارات الصريحة وغير الصريحة إلى قصة عاشوراء ومظلومية الحسين في شهادته . ومن ثم فهم يوصون في مثل هذا الموقف بالاحتياط والاحتياط يعني التوقف والسكوت . وعلى أية حال يجب ان نبحث عن الجواب في النفسية الدينية المحتاطة الناتجة من تقديس تاريخ صدر الاسلام وشخصياته .

يتحدث محمود صبحي عن المظاهر الكلامية والعقيدية لشهادة الامام الحسين (ع) في الوسط السني الذي يصفه بأنه يفضل الحلول الوسط ، فيقول : «إن موقف أهل السنة من شهادة الامام الحسين (ع) على درجة كبيرة من الصعوبة . فهم فشلوا في كل محاولة للتوفيق بين تصويب ثورة الامام وحب أعداء الخلفاء . والذي يفشل هذه المحاولات هو قصة عاشوراء» . ثم يذكر شواهد لاثبات رأيه» . (نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية) ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

من فهمهم الظروف السياسية والاجتماعية واعتقادهم الراسخ بعدم فصل الدين عن السياسة ، فان الاخوان لم يستطيعوا التجرد من نظرتهم إلى الحكومة والحاكم من التأثير الروحي والفكري والعقيدي والسياسي للمذهب السني ، وظل التراث الديني والتاريخي والفقهي لهذا المذهب يلقي بظل ثقيل عليهم رغم عدم اتباعهم لفرقة مذهبية بعينها(٣٣) .

ومن هنا نلاحظ ان الاخوان لا يهتمون بشخص الحاكم ولا بمواصفاته التي ينبغي ان يتحلى بها ولا بوقت وكيفية تنفيذه الأحكام .

يقول حسن البنا : «وعلى هذا فالاخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فان وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج اسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم يجدوا الحكم من منهاجهم فسيعملون لاستخلاصه»(٣٤) .

ويذهب عمر التلمساني أبعد من ذلك فيقول : «فلا يعنينا شخص من يحكم ، ولكن في المقام الأول يهمنا نوع الحكم وشكله ونظامه وبعد ذلك فليحكم من يحكم»(٣٥) .

«إن حسن البنا لتيقنه من ذلك كان حريصاً على أن يطمئن هؤلاء الحكام بين الفينة والفينة وفي مختلف المواقف إلى أن الاخوان ليسوا طلاب حكم ولكنهم أصحاب فكرة يقدمونها إلى الحكام المنتسبين إلى الاسلام ليحكموا على أساسها ، وسيكون الاخوان في هذه الحالة في ركابهم وعلى حد قوله : «يغسلون على أيديهم» ، وقد وصل في حرصه على طمأنة الحكام إلى ذلك ان أعلن في المؤتمر السادس ، وكان الاخوان في أوج قوتهم ، ان الاخوان ليسوا أعداء الملك وإنما أصحاب دعوة في الحكم بها انقاذ البلاد وصلاح العباد يتقدمون إليه بها لتكون دستور الحكم ، واستشهد رحمه الله في ذلك بقول الامام مالك (رض) : لو

---

(٣٣) ينظر الاخوان المسلمون إلى المذاهب الاسلامية نظرة شمولية قائمة على أساس الاجتهاد الفردي . وللتوسع يراجع الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٣٤) البنا رسالة المؤتمر الخامس ، ص٢٧٢ .

(٣٥) مجلة الدعوة الناطقة باسم الاخوان المسلمين ، عدد (٢١ نوفمبر ١٩٧٨) ، القاهرة .

كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان فانه ان صلح صلح بصلاحه خلق كثير»[٣٦] .

وفي رسالة رسمية بعثت بها الجماعة الاسلامية (المؤيدة للاخوان) إلى النظام الحاكم ورد تأكيد هذه المسألة أيضاً ، إذ تقول : «فان اتهام الدعاة إلى الاسلام بشموله وكماله بانهم يتسترون خلف الدين للوصول إلى الحكم غير صحيح ، فاننا لا يعنينا كثيراً من الذي يحكم ، فالحكم في عقيدتنا مسؤولية وليس جاهاً ومغرماً وليس مغنماً»[٣٧] .

وفي هذا السياق يأتي تأكيد أكبر مسؤول في الجماعة حين يقول : «والهدف الأساس هو تطبيق الشريعة على يد أي كان وعدم التعرض بالعنف للحاكم حتى لو كان فاسقاً أو ظالماً»[٣٨] .

وبلغ الأمر بقادة الاخوان المسلمين حداً ان اعتبروا «ان صلح السادات مع اسرائيل جاء لحسن نيته وليس كعمل خياني»[٣٩] .

وهم يميّزون بين الحكام والحكومات فيقولون : ربما يكون النظام كافراً ولكن الحاكم ليس كذلك ، وفي الوقت الذي يعتبرون السادات عميلاً من الناحية السياسية ، فإنهم يعدّونه مؤمناً معتقداً[٤٠] . حتى ان عمر التلمساني يقول في لقاء مع مجلة المصور : «قتل السادات مظلوماً»[٤١] . ويبقى هذا السؤال يطرح نفسه : من هو الذي يمثل رأس النظام الكافر؟

---

(٣٦) عبد الحليم محمود ، الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ ، ص٤٣١ .

(٣٧) رسالة اتحاد الطلبة المصريين إلى السادات رداً على كلمته في شأن فصل الدين عن السياسة . بدر محمد بدر ، الجماعات الاسلامية في جامعات مصر ، ط ١ ، ١٩٨١ .

(٣٨) مجلة المجلة ، لندن ، العدد ٢٢٥ (٢٩/ ١٢/ ١٩٨٤) يقول عمر التلمساني في لقاء مع هذه المجلة : «جماعة الاخوان المسلمين أبعد الجماعات عن العنف ، والسلف الصالح لا يرى ان يقاوم الحاكم بالسلاح حتى لو كان فاسقاً أو ظالماً» .

(٣٩) المصدر نفسه .

(٤٠) لقاء شخصي مع ابراهيم المصري أحد الكوادر المعروفة في الاخوان المسلمين (الجماعة الاسلامية) في لبنان بتاريخ ١٩٩١ ، بيروت .

(٤١) الورداني ، الحركة الاسلامية في مصر ، ص٦٩ .

والأمر المهم الآخر هو ان الاخوان لا يقولون بجهاد النظام الحاكم ، لاعتقادهم ان الاخوان المسلمين لم يأتوا «لرفض النظام القائم»(٤٢) مهما كان هذا النظام .

وفي تلك الأثناء قاد حسن البنا الاخوان المسلمين إلى قصر فاروق حيث احتشدوا حوله «المبايعة جلالة الملك فاروق المعظم على كتاب الله وسنة رسوله بمناسبة توليه لسلطاته وللاعراب عن أمل الاخوان المسلمين المحقق في جلالة الملك المسلم»(٤٣) . ولم تقتصر هذه المبايعة على حسن البنا فقط ، بل كررها خلفه حسن الهضيبي بمجرد توليه لسلطاته في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥١ عندما قاد مكتب الارشاد في زيارة إلى القصر «للاعراب عن موالاة الاخوان المسلمين لجلالة الملك فاروق المسلم»(٤٤) ، وبالمثل فان هذه المبايعة لم تقتصر على الملك فاروق بل تمثلت من بعده في جمال عبد الناصر ثم أنور السادات ثم حسني مبارك ، كما شملت مع هؤلاء كل رموز الحكم الآخرين(٤٥) .

---

(٤٢) لقد ذكر شادي وهو من قادة حركة الاخوان في سلسلة مقالات حديثة له : «انه من الأمور اليقينية ان حركة الاخوان المسلمين لم ترفع إليها عوامل سياسية تتعلق بقضايا الاستقلال والدستور أو رفض النظام القائم ولكن رفع إليها ايمان ركيز بأن الاسلام نظام حياة شامل لا يستقيم ظله إلا بالايمان بالكتاب كله والدولة جزء من منهاج الحياة الذي رسمه الاسلام» وهو يرى ان خلاف المختلفين لا يقوم في شأن قضية معينة ولكن يقوم في أساس التحاكم الذي ترد إليه الأمور . (صحيفة الوطن الكويتية ، ص٣ ، (٨ أكتوبر ١٩٨٠) .

طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر (القاهرة : دار الشروق ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) ص٢٤ .

(٤٣) عبد العظيم ، رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص٣١٩ .

(٤٤) رفعت سعيد وحسن البنا ، متى وكيف ، ولماذا؟ ، ص١٥٤ .

لم يكن سلوك الملك فاروق الديني دون تأثير في هذا الأمر ، إلا أن الزيارات المتكررة التي كان يقوم بها الهضيبي للملك ، كان الهضيبي يصفها أحياناً بأنها (زيارة كريمة لملك كريم) ويصفها في أحيان أخرى بأنها (زيارات متكررة جاءت امتثالاً لرغبة الملك وأوامره) . وفسّر بعض المراقبين تصرفات الهضيبي بأن شخصية المرشد عنده كانت متأثرة بشخص الموظف (السابق) المحامي بصفته القانونية . (للاطلاع أكثر يراجع : كيف يفكر الاخوان المسلمون ، ص ١٣٢ ، ١٣٣) .

(٤٥) المهدوي طارق ، الاخوان المسلمون على مذبحة المناورة ، دار آزال ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ . بعد اغتيال السادات يقول عمر التلمساني في كتاب (ذكريات لا مذكرات) ، ص٢٠٣ : سألني الكثيرون عن موقفي من حكم السيد محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية ، وكان جوابي الذي لم يتغير : انه بدأ عهده بداية طيبة فأفرج عن المعتقلين السياسيين ومنع الصحف من مهاجمة حكام البلاد العربية . . .» .

ويتضح من هذا ان الاخوان يسعون لتطبيق الشريعة الاسلامية دون الاهتمام بمن يطبقها . وإذا كان هذا ينمّ على البساطة في التفكير فإنما هو حصيلة الفكر السني الذي يفصل بين الحاكم والحكومة . في حين يعتقد الشيعة بعدم الفصل بينهما . وقد انسحب هذا المبدأ على الحركة الاسلامية المعاصرة في ايران وكان الطابع الأساس الذي يميزها عن حركة الاخوان المسلمين .

«وقد اهتم الشيعة اهتماماً بالغاً بأوصاف الحاكم الديني والشروط التي اعتبروها أساساً لحكمه ، فدونوها في كتب الفقه والعقائد وألقوها على الطلاب في المعاهد وعلى المؤمنين في المعابد وعلى الناس أجمعين في المجالس والأندية العامة والخاصة وحكموا بقول قاطع على كل حاكم باسم الدين انه عدو الله ورسله وملائكته إذا فقد شرطاً واحداً من الشروط التي لا بد منها في من يتولى منصباً من المناصب الالهية ، ولم يفرقوا في حكمهم هذا بين السني والشيعي ، بل الحجة على الشيعي أقوى وأبلغ لأنه خالف ما يدين ويعتقد ، بل لم يكتف الشيعة بشرطي العلم والعدل حيث أضافوا إليهما عدم جواز تقديم الفاضل على الأفضل . فمن تصدى للحكم وفي الناس من هو خير منه فقد افترى وتجاوز الحد»[٤٦] .

وفي هذا المجال يقول صاحب كتاب «الفكر السياسي الشيعي» : أما موقف الشيعة من الحاكم الجائر فيستند إلى أصول عميقة الجذور أدلتها نمط التعامل مع الحكام من قبل أئمة أهل البيت الاثني عشر المعصومين الذين يتبعهم الشيعة الامامية الاثنا عشرية[٤٧] .

كان الفكر السياسي الشيعي في أغلب عصور الاسلام بعيداً عن السلطة ، وبالتالي فانه في موقف المعارض ، إذ يمكننا ان نقبل بأن الفكر السياسي الشيعي هو الفكر السياسي المعارض في الاسلام[٤٨] .

---

(٤٦) مغنية ، محمد جواد ، الشيعة والحاكمون ، دار الجواد للطباعة ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٤ ، ص٩ .

(٤٧) حسن عباس حسن ، الفكر السياسي الشيعي ، ط ١ ، بيروت ، الدار العالمية للطباعة ، ١٩٨٨ ، ص٦٥ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص٦٨ .

أما عن موقف الشيعة من الحكام الظالمين فيقول الشيخ محمد جواد مغنية : «فضّل الشيعة غير المسلم إذا كان عادلاً على المسلم إذا كان ظالماً ، فقد اشتهر عن ابن طاووس انه قال : الكافر العادل خير من المسلم الجائر . وقال العلامة المجلسي في البحار : الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم . . . وجاء عن الامام الصادق : «من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج من دين الله» . وقال الامام الباقر : «لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله» . وقال الامام علي : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وأفتى فقهاء الشيعة بأن أي عمل فيه معونة لظالم بجهة من الجهات فهو حرام ، وكبيرة من الكبائر .

وقاطع المخلصون من علماء الامامية الحاكمين وافتوا بتحريم العمل عندهم ولم يستثنوا إلا ما فيه نفع المؤمنين ودفع الحيف والظلم عن المظلومين ، ولم يكتفوا بذلك بل افتوا بأشياء لم تتصل مباشرة بأعمال الحاكم ، فلقد اشترطوا العدالة في امام الجمعة والجماعة ، وكان الحاكم ـ في الغالب ـ يؤم الناس في الصلاة ، ولازم هذا الشرط ان صلاة المؤتمين به باطلة لا يتقبلها الله مع علمهم بفسق الامام وجوره ، هذا إلى ان شرط العدالة يشعر بأن القيادة في كل شيء لا تصلح إلا مع الامانة والاخلاص ، وأفتوا أيضاً بتحريم الغناء واستعمال آلات الطرب والصيد للهو وما إلى ذلك مما كان يتعاطاه الحاكمون . وبهذا يتبين ان مبدأ التشيع يلازم الثورة على الفساد والظلم ، فلا بدع إذا كان اضطهاد الشيعة من الشغل الشاغل لكل حاكم جائر»[49] .

وفي رأي الشيعة ان الحاكم الذي يعرف باسم (ولي الأمر) يجب ان يتحلى بصفات خاصة بالاضافة إلى القيادة السياسية والزعامة الفكرية والأخلاقية .

يعتقد الشيعة ان مثل هذا الشخص يجب ان يكون معيناً من الله والرسول وان يكون طاهراً ، معصوماً ، منزهاً عن كل عيب خَلقي وخُلقي وسببي ، ومن نسل طاهر ، ومفسراً للقرآن وعارفاً بكل حقائق الدين ودقائقه ، وهذه الصفات حسب الروايات والأحاديث والأخبار منحصرة في الأئمة الاثني عشر . وهم فوضوا هذا الأمر في غيبة الامام المعصوم إلى الفقيه الجامع للشرائط . وقيد

(٤٩) مغنية ، المصدر السابق ، ص ٢٦ ـ ٢٨ .

(الجامع للشرائط) ينفي الطاعة لمطلق الفقهاء ، ويحددها فيما وزد في رواية الامام الصادق (ع) : «من كان من الفقهاء صائناً لدينه ، مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فعلى العوام ان يقلدوه»(٥٠) .

من هنا فان الشيعة يرون عدم وجوب طاعة الحاكم إذا حكم بالمعصية ، عملاً بالرواية المتواترة عن الأئمة المعصومين التي تقول : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» .

وفي رواية عن علي بن أبي طالب (ع) : «لا طاعة لمن عصى الله إنما الطاعة لله ورسوله ولولاة الأمر»(٥١) . ويتضح من هذه الرواية ان اولي الأمر لا بد ان يكونوا بعيدين عن معصية الله . ولا تجوز طاعتهم إلا إذا كانوا كذلك(٥٢) .

وفي كتاب «كشف الأسرار» يذم الامام الخميني الذين يعتبرون سلاطين الجور مصاديق لأولي الأمر ثم يقول : «ان ما ينبغي ان نخضعه للعقل وهو رسول الله فينا هو : حقيقة الأشخاص الذين يعتبرون أولي الأمر . فالبعض يقول انهم الملوك والأمراء ، أي ان الله أوجب على الناس اطاعة سلاطينهم وملوكهم ، فمثلاً حين كان مصطفى كمال باشا رئيساً لتركيا ورضا خان شاهاً على إيران كان هؤلاء يقولون ان الله أوجب طاعتهم»(٥٣) .

وبعد ان يرد الامام على هذا الرأي ، يقول : «إذاً فجميع السلاطين والخلفاء الذين قالوا شيئاً مخالفاً لقول الله لا يليقون ـ بحكم العقل ـ بمنصب (اولي الأمر) ، والشخص الوحيد الذي يستحق ان يكون ولياً للأمر هو الذي لم يحكم طوال فترة حكمه بما يخالف كلام الله ورسوله»(٥٤) .

---

(٥٠) وسائل الشيعة ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ج ١٨ ، ص٩٥ .
(٥١) الخصال ، ج ١ ، ص٦٨ .
(٥٢) صاحبي ، محمد جواد ، (انديشه اصلاحي نهضتهاي اسلامي) ، ١٩٨٨ ، طهران ، ط ١ ، مؤسسة كيهان ، ص١١٩ .
(٥٣) الامام الخميني ، كشف الاسرار ، ص١٠٩ .
(٥٤) المصدر السابق ، ص٣٨٥ .

من هنا «ليست مهمة تطبيق مبادئ الدين في نظام الحكم السياسي مسألة سهلة ، فالحاكم السياسي عند الشيعة يجب أن يكون على علم وافر بالشريعة وإلاّ كانت مهمته صعبة ، ان لم تكن مستحيلة التطبيق كلياً . فوظيفة الامام كحاكم لا تكتسب انها ملازمة ومتأصلة»(٥٥) . ويمكننا أن نتابع هذه الحقيقة بمتابعة مراحل انفصال الدين عن السياسة في الاسلام . لقد أثبت التطبيق العملي استحالة ادّعاء كون الدولة اسلامية بالمعنى الصحيح وتطبيق مبادئ الدين الاسلامي إن لم تكن قيادتها على غرار قيادة الرسول (ص) . وهنا يسوغ أيضاً أحد معالم الخلاف بين الشيعة وأهل السنة والجماعة ، حيث ان الجماعة الأولى تبرهن على ضرورة وجود مثل هذه القيادة(٥٦) بعد وفاة الرسول (ص) وحتى قيام الساعة وان الأرض لا يمكن ان تخلو من مثل هذا القائد(٥٧) . وتبرهن أيضاً على أن الامام علي بن أبي طالب كان أهلاً لتحمل أعباء هذه المهمة وكان هو بالفعل مرجع الخلفاء في المسائل المستعصية التي كانت تواجههم(٥٨) . وهنا يجب التمييز بين الحاكم السياسي المثالي الذي يراه التشيع في شخص الامام والتسنن في شخص الخليفة(٥٩) .

## نمط الحكومة في رأي الحركتين

من خلال البحث في الخلافة والامامة ونقاط الاختلاف بين هذين الخطين «برزت في حياة المسلمين ظاهرة شغلتهم فترة طويلة من الزمن وما زالت وهي ظاهرة «الخلافة» . وقد دارت بحوث نظام الحكم في الاسلام وأغلب معالم

---

(٥٥) GUSTAVEYON Grunebaom, op. cit., p 187 .

(٥٦ ، ٥٧) المصدر نفسه .

(٥٨) راجع المظفر ، محمد رضا ، عقائد الامامية ، القاهرة ، المطبعة العالمية ١٩٧٣ ، ص ٧١ ـ ٧٢ . والعقاد ، عباس ، عبقرية الامام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦ ، ص ٤ ، ٤١ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ . وحسين ، طه ، علي وبنوه ، ص١٦ . محمد أبو زهرة ، دراسة تحليلية في مقدمة لكتاب : نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة : الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين لأحمد تيمور باشا ، القاهرة ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، ١٩٦٩ ، ص١٤ . وفهمي عارف ومحمد مصطفى ، يسوع المسيح والامام علي بين الانجيل والقرآن والعقل . القاهرة ، مطبعة الجيلامي ، ١٩٧١ ، ص٨٣ .

(٥٩) Sayyed. Hossein. Nasr. op. cit., p. 167.

وعوالم الفكر السياسي الاسلامي حول هذه الظاهرة»[٦٠] وظاهرة «الخلافة» هذه أيدتها جماعة من المسلمين هي السنة ، وعارضتها جماعة أخرى هي الشيعة . ولقد وضع الفكر السياسي الشيعي نصب عينيه ، وفي محاولات جادة ومستمرة ، ان يثبت عدم شرعية «الخلافة» على الصورة التي ظهرت في حياة المسلمين وعدم جواز أن تكون هذه الخلافة بديلاً من «الامامة» بأي حال . وينظر الفكر السياسي الشيعي إلى الخلافة أنها إنما كانت وسيلة تجميد «مرجعية» الامام علي بن أبي طالب وبقية أئمة أهل البيت بالنسبة إلى جماعات كثيرة من المسلمين في عهد الخلفاء (الراشدين) أنفسهم أو في العصور التالية لهم . وربما كان هنا مناط الخلاف بين «الشيعة» وغيرهم من الفرق الاسلامية[٦١] .

وفي بحث مفصل عن مسألة الخلافة يقول صاحب كتاب «الفكر السياسي الشيعي» : «في مسألة الخلافة هنالك وجهتا نظر مختلفتان ، إحداهما مؤيدة لها والأخرى معارضة . فوجهة النظر المؤيدة كما هو معروف هي لأهل السنة والجماعة ووجهة النظر المعارضة هي للشيعة . والاختلاف بينهما هو في «الشرعية» ومفهوم الشرعية في هذه المسألة يستمد مقاومته من جانبين : (١) الترشيح ، (٢) البيعة . وان اختلاف الشيعة مع أهل السنة والجماعة هو في كلتا المسألتين (الترشيح والبيعة) إذ يرون ان منصب خلافة الرسول هو منصب ديني ولادارة أمور الناس لتوجيههم لما يضمن سعادة دنياهم وآخرتهم ، وان ترشيحاً تم من قبل الله ورسوله لعلي بن أبي طالب ، وهنالك أدلّة يستندون إليها هي نصوص من القرآن والسنة .

وان عملية البيعة التي تمت لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة فيها أخطاء كثيرة ، ومنها أخطاء فنية ، إذ لم تتم دعوة الامام علي وبقية الهاشميين والكثير من الصحابة في هذا الاجتماع أو أن التصرف في هذا الاجتماع الذي حدث بصورة طارئة ومفاجئة لم يكن ليأخذ في نظر الاعتبار الكثير من الحقائق منها مسألة

---

(٦٠) فؤاد شبلي ، الفكر السياسي ، دراسة مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية ، ج ١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص٢٢٩ .

(٦١) عباس حسن ، المصدر السابق ، ص ٥ ، ٦ .

الترشيح والأسلوب الصحيح للتصويت أو بالأحرى كانت شورى ناقصة لم تتم على أصول وأسس صحيحة سليمة .

هذا بالاضافة إلى الأسلوب الاكراهي الذي اتبعه الخليفة بمؤازة عمر بن الخطاب وجماعات المؤيدين لهما من الأمويين وغيرهم والمعارضين لواقع «علي بن أبي طالب» . ان هذا الواقع الذي فرض نفسه على المسلمين بهذا الأسلوب كان بمثابة ولادة قوتين في الاسلام : قوة عضلية وقوة فكرية» . ويرى الباحث وفي ضوء ما وقع حينذاك وفي الكثير من الأدوار التي تلته ، ان الفكر السياسي السني يمثل القوة العضلية ، والفكر السياسي الشيعي يمثل القوة الفكرية ، واستمرت هاتان القوتان في مسيرتهما حوالي أربعة عشر قرناً وإلى اليوم . وقد تكونت لكل من القوتين صياغة منطقية تتغير باستمرار تبعاً لقوة منطق وأدلة كل منهما ، ولكنهما ما زالتا محافظتين على كيانهما ، وهما قوتان متكاملتان(٦٢) .

ان أقصى ما يأمله أهل السنة والجماعة في نظام الحكم الاسلامي المثالي عدا حكم الرسول (ص) ، أن يكون على غرار حكم الخلفاء الراشدين(٦٣) ، ويأخذ البعض منهم كذلك بجوانب من حكم معاوية(٦٤) وبعض الخلفاء الأمويين والعباسيين ، بينما يرى الشيعة ان نظام الحكم الاسلامي المثالي هو نظام الحكم الذي قاده الامام علي(٦٥) فترة خلافته على الرغم من التركة المثقلة التي واجهها وكان عليه اصلاح جوانب كثيرة منها ، وكانت الفرصة الوحيدة الضائعة هي فرصة استلامه مقاليد الحكم بعد وفاة الرسول (ص) لضمان استمرار تطبيق الشريعة الاسلامية في نظام الحكم . ولذلك فان أهل السنة والجماعة يأملون قيام الدولة الاسلامية التي يقودها الزعيم المسلم الذي يتحلى بصفات الخلفاء الراشدين وخاصة أبو بكر وعمر لأنهم يعتبرون عهدي عثمان والامام علي عهدي الفتن والاضطرابات ، بينما الشيعة يأملون ظهور الامام المصلح المهدي المنتظر(٦٦) الامام

(٦٢) المصدر نفسه ، ص٢١٧ .

(٦٣) شبلي ، فؤاد ، المصدر السابق ، ص٢٣٠ .

(٦٤) راجع حسن ابراهيم حسن ، زعماء الاسلام ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(٦٥) وذلك لاعتقادهم بامامته وعصمته .

(٦٦) راجع المظفر ، المصدر السابق ، ص ٨٠ ـ ٨٣ .

الثاني عشر الذي سيظهر بعد ان تملأ الأرض ظلماً وجوراً ليملأها قسطاً وعدلاً . ويرون أن كل أنظمة الحكم التي ظهرت بعد وفاة الرسول (ص) عدا فترة خلافة الامام علي والامام الحسن هي أنظمة حكم دنيوية حاول البعض من قادتها تطبيق معالم الشريعة الاسلامية حسب الظروف . وفي ذلك يقول سيد حسين نصر : «ان الحكم التام أو المثالي ـ في نظر الشيعة ـ هو حكم الامام . وهو الذي سيحقق بحضور المهدي الذي يحكم العالم الآن ، وان لم يكن يظهر نفسه مباشرة للمجتمع الانساني ، وفي غيبته فان أي شكل من الحكم هو بالضرورة غير كامل ، أي غير مثالي»[٦٧] .

وفي هذا المجال يقول مسجد جامعي : «ولكي يتضح هذا الأمر أكثر يجب ان نشير إلى النقطة الأساسية ، وهي نظرة الطرفين إلى الامامة والوصاية ، وليست المسألة هنا مسألة من هو الامام ومن هو وصي النبي (ص) ، فهي لا تبدأ من هنا ، لأن الشيعة في الأساس لا يطرحون مسألة الامام والوصي بل مسألة الامامة والوصاية ، فهي ليست قضية شخص إنما قضية شأن ، أي شأن الامامة والوصاية ، ويأتي بعد ذلك البحث عمن يليق بهاتين المنزلتين . وفي رأيهم ان الامام أو الخليفة هو الشخص الذي يمتلك الشروط اللازمة لمثل هذا الشأن والمنصب . والشأن يعرّف ويحدّد أولاً ثم يعيّن . والحقيقة أن الشيعة يعتمدون على عدة أدلة نقلية وعقلية في احترامهم الخاص لخلافة الرسول (ص) ووصايته ، وهم يعتقدون ان مكانة هذين المنصبين أرفع بكثير من منصب القيادة السياسية في مفهومها المتداول وأكثر أهمية . فالرسول (ص) في زعامته للمسلمين لم يكن قائداً سياسياً بالمفهوم العادي الذي يعني الامساك بزمام السلطة وحسب . ومن ثم فان خليفته في الزعامة لا يمكن ان يكون قائداً سياسياً عادياً ، بمعنى ان خلافة الرسول (ص) لا يمكن أن تكون لشخص عاد لا يملك إلا القيادة السياسية ، والسبب الأساس في ذلك هو الصفات الفريدة للاسلام»[٦٨] .

---

(٦٧) Sayyed Hossein Nasr. op. cit. p. 166.

(٦٨) مسجد جامعي ، المصدر السابق .

لا يبدو ان الاخوان يؤمنون بالخلافة كسلطة تنفيذية كما كانت في تركيا ، ولكنهم يرون ان «الخليفة» أو «الامام» هو «واسطة العقد ، ومجمع الشمل ومهوى الأفئدة وظل الله في الأرض»[٦٩] . فالخلافة عندهم هي «رمز» الوحدة الاسلامية ومظهر الارتباط بين أمم الاسلام وانها شعيرة اسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها .

والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله ، ولهذا قدم الصحابة النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه حتى فرغوا من تلك المهمة[٧٠] .

ويقول الشيخ البنا ان الأحاديث التي وردت في وجوب تنصيب الامام وبيان أحكام الامامة[٧١] وتفصيل ما يتعلق بها «لا تدع مجالا للشك في ان من واجب المسلمين ان يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حورت عن منهاجها ثم ألغيت بتاتاً»[٧٢] ، والاخوان ـ لهذا ـ يرون ان اعادة الخلافة في رأس مناهجهم[٧٣] وان كان ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات ، وان الخطوة المباشرة لاعادة الخلافة لا بد ان تسبقها خطوات ، لا بد من تعاون ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب ، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد ، ويلي ذلك تكوين عصبة الأمم الاسلامية[٧٤] .

«ويتصل بالخلافات السياسية أيضاً طبيعة التصور لدى القائمين بحركة الاحياء الاسلامي في مصر وايران خلال السبعينات للبديل الاسلامي المنشود ، إذ نجد أن جميع أدبيات حركة الاحياء في مصر تحصر هذا البديل في (عودة الخلافة)

---

(٦٩) البنا : مجموعة رسائل الامام الشهيد ، المؤتمر الخامس ، ص٢٧٢ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص٢٨٥ .

(٧١) لا يقصد حسن البنا بالامامة ما يقصده الشيعة ، فالامامة عند السنة تعني الخلافة ، بينما هي عند الشيعة تعني المرجعية في أمور الدين والدنيا .

(٧٢) المصدر السابق ، ص٢٨٤ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٥ .

(٧٤) شاموق : المصدر السابق ، ص ٨٨ و٨٩ .

نجد ذلك في أدبيات الاخوان المسلمين والسلفيين والجهاد والتكفير والهجرة والقطبيين ، أما في ايران فان الأمر مختلف حيث تركز الأدبيات الشيعية خلال النصف الثاني من السبعينات على مفهوم (الجمهورية الاسلامية) ، أي ان (الجمهورية) بكل دلالاتها وآلياتها السياسية والفكرية هي البديل عند الايرانيين ، في حين ان (الخلافة) بكل ما تعنيه من رمزية اسلامية ودلالات سياسية مغايرة هي البديل لدى القائمين بحركة الاحياء في مصر .

ويعزز هذا الخلاف ان الايرانيين يرفضون فكرة الخلافة من الأساس ، بل يرون ان كل ما أتى بعد علي بن أبي طالب غير شرعي وغير معترف به ، خاصة إذا ما أتى من أهل السنة . من هنا فالباحث يرى أن هذا الوجه من أوجه الخلاف يمثل عقبة جديدة تضاف إلى عقبات الخلاف بين قوى حركة الاحياء في النموذجين»[٧٥] .

والأمر الآخر هو ان نظام حكومة (ولاية الفقيه) الذي يراه المسلمون الايرانيون مظهراً للفكر السياسي والحكومي الشيعي بمواصفاته التي مرّ ذكرها آنفاً هو من العناصر المهمة للاختلاف بين حركة الاخوان المسلمين وحركة الشيعة في ايران .

**ب ـ اختلاف النظرة إلى معسكري الشرق والغرب**

من الأمور الأخرى التي يختلف فيها الفريقان نظرتهما إلى معسكري الشرق والغرب أو موقفهما من الماركسية والرأسمالية .

كان الاخوان المسلمون ومنذ السنوات الأولى لتأسيسهم يعارضون المعسكرين من الناحية النظرية ، فهم من الناحية العقيدية يعارضون الماركسية بشدة ، وهم يعارضون الغرب بسبب انحطاط ثقافته وسيطرة الاستعمار الانجليزي على مصر ، ثم بسبب دور بريطانيا في احتلال فلسطين واسكان اليهود فيها . وإذا كان ينقل عن الاخوان اتصالهم بالانجليز وبالملك فاروق أحياناً ، حتى ان أعداءهم يتهمونهم بالتعاون مع الانجليز ، فان زعماءهم دأبوا على رفض هذه الاتهامات

(٧٥) رفعت ، سيد أحمد : المصدر السابق ، ص٢١٩ و٢٢٠ .

وعلى اعتبارها خطوات تكتيكية من قبل الجماعة لظروفهم الخاصة آنذاك . «فقد كان الاخوان يعلمون أنهم (الانجليز) أصل البلاء وانهم من وراء كل فساد واضلال وخيانة ومحاولات للقضاء على القيم وطمس معالم الدين . كما كان الاخوان يعلمون ان الانجليز من أقدر الناس على بث الدسائس وحبك المؤامرات . فكانت سياسة الاخوان قائمة على أساس من الاستخفاء بالدعوة ما دامت في مهدها حتى لا تنتبه لها عيون الانجليز فتقضي عليها قبل ان ترى نور الحياة . فلما ثبتت الدعوة واشتد عودها انتبه الانجليز لأول مرة فرأوها في طور لا يسهل اختلاعها فيه ، فلجأوا إلى أساليب أخرى من الدس والوقيعة والضرب بيد الغير . ولكن الاخوان كانوا في يقظة فلم تفلح مكايد الانجليز ولم يستطيعوا أن ينالوا من الاخوان نيلاً يوقف تيار دعوتهم أو يحد من مدها الغامر»(٧٦) .

من هنا لم يكن موقف الاخوان واحداً تجاه المعسكرين . وكذلك كانت الأسباب التي تكمن وراء موقفهم المعارض متعددة . وهكذا الأمر بالنسبة إلى الجمهورية الاسلامية الايرانية ، فرغم اطلاقها شعار (لا شرقية ولا غربية) فان موقفها المعارض للمعسكرين لم يكن واحداً ، بل لأسباب عدة ، وهي نفسها اعترفت بهذا الأمر . وفيما يلي ندرس موقف الطرفين من الشرق والغرب كلٌّ على حدة :

**موقف الاخوان من الغرب**

يمكن ان نلخص موقف الاخوان من الغرب في المحاور التالية :

١ ـ ركز الاخوان في عدائهم للغرب على انحطاطه الثقافي والأخلاقي . فعلى الرغم من احتلال الاستعمار البريطاني لمصر ومعارضة الاخوان لهذا الاستعمار ، إلا أن اختلافهم معه في الجوانب الثقافية والأخلاقية كان أقوى بكثير من الجوانب الأخرى .

وفي هذا السياق جاءت أكثر مواقف حسن البنا وخطبه . واستمر خلفاؤه على هذا النهج حتى مع تصاعد حدة الهجوم الثقافي والاقتصادي والسياسي لهذا المعسكر على مصر وسائر البلدان الاسلامية ، ومن ثم لم تحظَ الجوانب السياسية

(٧٦) عبد الحليم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ و٤٣٨ .

والاقتصادية والنزعة التسلطية لأميركا والغرب مطلقاً بموقف جدي من الاخوان . «حتى عندما كشف أحد كتّاب الاخوان النقاب عن وثيقة للمخابرات الأميركية تحدد فيها الخيارات المطروحة في شأن الحركات الاسلامية المعاصرة في مصر وكيفية توظيفها بعد دراستها جيداً من خلال طابور من العملاء كان في مقدمتهم البروفسور اليهودي الأميركي ريتشارد ميتشل(٧٧) ، وحتى عندما كشفوا النقاب عن هذه الوثيقة كانت حملتهم على السفارة الأميركية وليس على الحكومة الأميركية أو سياستها الدولية ، وانحصرت القضية في ريتشارد ميتشل دون اعطاء الأبعاد الأخرى حقها من التحليل»(٧٨) .

٢ ـ ينظر الاخوان دائماً إلى الغرب من الناحية الدينية والصليبية (التاريخية) ، وعلى الرغم من معاداة الصليبية ، فان الأميركان ما زالوا في نظر الاخوان من أهل الكتاب . وفي هذا يقول عمر التلمساني : «فما زلنا نعتبرهم ـ أي الأميركان ـ أهل كتاب»(٧٩) .

وفي ردّه على سؤال حول موقف الاخوان المسلمين من أميركا ووجودها المكثف في الشرق الأوسط ، أكّد أن مستشار السفارة الأميركية السابق وجّه إليه هذا السؤال ، وانه أجابه : «انكم أهل كتاب ، ولو وقعت الحرب يوماً بينكم وبين غير أهل الكتاب لبادرنا إلى دعمكم» . وفي تفسيره هذا الموقف يقول : «حدث في تاريخ الاسلام مرة ان حزنوا لانهزام الروم ـ وهم من أهل الكتاب ـ في الحرب ، وفرحوا حين هزم الفرس المجوس» .

---

(٧٧) جابر رزق ، مجلة الدعوة (حول وثيقة المخابرات الأميركية ومخطط تصفية الحركات الاسلامية) ، القاهرة ، العدد ٤٢/ ١٩٧٩ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٧٨) سيد أحمد ، الحركات الاسلامية في مصر وايران ، ص٩٩ .

يقول حسن الهضيبي في حوار معه أجراه ادوارد بولاك المحلل في صحيفة اسوشيتد برس بتاريخ ٥ تموز/ ١٩٥٣ : أنا أثق بأن الغرب سيجد في الاخوان عاملاً كفئاً في سبيل تقدم الانسانية والرخاء والسلام بين مختلف الشعوب وأنا على ثقة بأن الغرب سيقتنع بميزات الاخوان المسلمين» وكانت قيادة الثورة في ذلك الوقت ترى في هذا الموقف مغازلة من قبل الاخوان للغرب . وقد ورد في مذكرات انطوني ايدن قوله : «ان الهضيبي كان حريصاً على حسن العلاقات معنا» مجلة الشراع ، بيروت .

(٧٩) افتتاحية مجلة الدعوة ، العدد ٤٣/ ديسمبر تحت عنوان (أميركا من وجهة نظر اسلامية) .

ثم ينتقد مرشد الاخوان المواقف الأميركية المتحفظة في تعاملها مع العالم الثالث ، ويضيف : «لقد كان يؤسفنا كثيراً أن أميركا تبتعد عن العدالة في موقفها من العرب واسرائيل . وحتى مع مصر واسرائيل ، فانها تميل إلى اسرائيل ، مما يدفعنا إلى العتب عليها»[٨٠] .

٣ ـ يفتقر موقف الاخوان من الغرب إلى الفهم الدقيق للرأسمالية وأهدافها الاستراتيجية . ومن ثم فهم ينظرون إليها بدرجة كبيرة من السطحية والسذاجة .

«على الرغم من عداوة الجماعة للاستعمار الغربي وللمادية الالحادية للمعسكر الشرقي ، إلا أنها في فكرها وممارستها راحت ضحية التصور الرأسمالي للعالم ، وركزت على الاقتصاد الحر والربح والتجارة والملكية ، كله رزق من الله طبقاً للجهد ، واستشهدت بتاريخ المسلمين وبكبار الصحابة وبتجار مكة وبأغنياء قريش ، ما داموا يجهزون الجيوش ويشترون العبيد ويطلقون سراحهم ويطعمون الفقير ويساعدون المحتاج . وبالتالي ظهر العداء للاستعمار والصليبية دون أن يظهر عداء للرأسمالية ؛ وكأن الاستعمار ليس أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية . في حين ظهر العداء للاتحاد السوفياتي عداء نظرياً خالصاً ، ضد المادية والالحاد والماركسية دون أن يظهر أي قبول لنظم العدالة والمساواة وتقديس العمل وتحريم الاستغلال»[٨١] .

ونخلص إلى القول : ان الاخوان يقفون موقفاً سياسياً من أميركا المعسكر الغربي ، ولكنه موقف سطحي يقتصر على البعد النظري[٨٢] .

**موقف الاخوان من المعسكر الشرقي**

يعتبر الاخوان خطر الشيوعية خطراً أساسياً ، ومن ثم كانوا في طليعة المتصدين للتيارات الماركسية على كافة الأصعدة ، وكانوا يجدون في ذلك دعماً من الحكومات على الدوام . حتى ان بعض المحللين السياسيين يعتقدون ان عدداً

---

(٨٠) مجلة المجلة ، العدد ١٠١ (لندن ١٦/ ١/ ١٩٨٢) .

(٨١) د . حنفي ، حسن : الحركات الاسلامية في مصر ، ص ٣٨ و٣٩ .

(٨٢) راجع د . سيد أحمد ، رفعت : الحركات الاسلامية في مصر وايران ، ص ٩٩ ـ ١٠٢ .

من الاخوان المسلمين أدلوا إلى الحكومة بمعلوماتهم عن الجماعات اليسارية(٨٣) .

ويرجع سبب عداء الاخوان التقليدي للشيوعية إلى عدة أسباب ، نشير فيما يلي إلى بعضها :

١ ـ الماركسية مذهب فكري حارب الأسس العقيدية الدينية للمسلمين بشعاره الذي أطلقه (الدين أفيون الشعوب) ، ومن الطبيعي ان يصطدم هجومها الفكري الواسع هذا بموقف صارم من قبل الاخوان المسلمين الذين يقوم وجودهم على أساس الفكر الديني .

وبعبارة أخرى ، كان الاخوان لا ينظرون إلى الماركسية على أنها خطر عابر ، بل باعتبارها خطراً فكرياً وعقائدياً وثقافياً متفاقماً ، ولذلك رأوا من الضروري ان يتصدوا لها بكل قوة(٨٤) . ووقعت مقولة الاخوان المعروفة التي تعتبر الاتحاد السوفياتي ملحداً والغرب من أهل الكتاب ، موقعاً حسناً لدى الحكومات المعادية للشيوعية ولدى عامة الناس . و«حيث ان المعركة قبل كل شيء هي معركة الايمان ضد الالحاد»(٨٥) فان الاخوان كانوا يقفون حتى في الجبهات الدينية التي كانت تتزعمها أميركا لمحاربة الشيوعية(٨٦) .

«ويؤمن شباب الجماعات الإسلامية ان الايمان والالحاد لا يلتقيان أبداً ، وانطلاقاً من ذلك كان دور الجماعات الاسلامية في تطهير الجامعة من الفكر الشيوعي أو الناصري(٨٧)

(٨٣) مجلة آخر ساعة : ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٤ ، ٥ ، القاهرة .

(٨٤) ابراهيم المصري ، لقاء شخصي معه في بيروت .

(٨٥) اسحاق موسى الحسيني ، الاخوان المسلمون وتاريخها ، ص١٢٢ .

(٨٦) من هذه المؤتمرات ، مؤتمر نيسان ١٩٥٤ ، الذي عقد في مدينة بحمدون اللبنانية من قبل الجمعية الأميركية لاصدقاء الشرق الأوسط في سبيل اتحاد العالم الاسلامي والعالم المسيحي في وجه الشيوعية .

(٨٧) محمد بدر ، الجماعة الاسلامية في جامعات مصر ، ط ١ ، ١٩٨١ ، ص١١٣ . الجماعة الاسلامية هو اسم جماعة الطلاب المؤيدين للاخوان المسلمين في جامعات مصر المختلفة ، ويمكن القول انها الجناح الطلابي غير الرسمي للاخوان .

بارزاً» وهو ما أثار حساسية الشيوعيين وجعلهم يقفون موقفاً عدائياً من الاخوان(٨٨) .

وكان سيد قطب قد درس قبل ذلك المجتمعات المختلفة ، وأوضح السبب الذي يجعل كل مجتمع من هذه المجتمعات جزءاً من جاهلية كبرى ، وجعل على رأس القائمة المجتمعات الشيوعية التي تنكر وجود الله وتعبد الحزب(٨٩) .

وكان سيد قطب يعتقد «ان كفاح الاخوان يجب ان يوجّه ضد الاستعمار والشيوعية معاً» ، وفي الوقت عينه يقول : «إلا أن اليوم هو يوم الاستعمار»(٩٠) ولكن هذا الرأي لم يترك بصماته الواضحة على سلوك الاخوان(٩١) .

٢ ـ كانت أولى الضربات التي تلقاها الاخوان واقساها من النظام الناصري كحل الجماعة واعدام قادتها واعتقال آلاف من أعضائها ، وهو نظام (محالف للاتحاد السوفياتي الملحد) ، وطبيعي ان هذا الأمر لم يكن عديم التأثير في موقف الاخوان من الماركسيين .

---

(٨٨) يقول أحد الكتاب اليساريين في معرض تعليقه على موقف الاخوان هذا :
وإني لأذهب إلى حد القول بأن كل من يدعو إلى تخفيف عداوتنا للمعسكر الغربي الرأسمالي بحجة أن مجتمعات هذا المعسكر من أهل الكتاب وإلى شن حملة صليبية شعواء ضد المعسكر الاشتراكي بحجة أنهم ملاحدة يخدم عن وعي وليس فقط غن غفلة أو سذاجة مصالح الغرب . مثل هذا الداعية يعلم أن الاستعمار الذي اعترت منه بلادنا زمناً طويلاً جاء من الغرب ويعلم أن اسرائيل ما كانت لتقوم لها قائمة وما كانت لتتمكن من الصمود طوال ثلث القرن الأخير ومن عُشر القوة التي تفوق قوة الدول العربية مجتمعة لولا المساندة المباشرة من الغرب خاصة أميركا ـ الحقيقة والوهم في الحركات الاسلامية المعاصرة ـ د . فؤاد زكريا ـ دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة .

(٨٩) جان كويل ، النبي وفرعون ، ترجمة حميد أحمدي ، طهران ، مؤسسة كيهان ، ص٤٧ .

(٩٠) صحيفة الاشتراكية ، القاهرة ، ٢٩ ، نوفمبر ١٩٥١ .

(٩١) وكان التقارب بين الاخوان المسلمين والشيوعيين قد وقع لأول مرة في معسكرات الاعتقال قبل ثورة ٢٣ يوليو وظهر هذا التقارب في أعقاب الثورة عندما وقف مفكر الاخوان المسلمين الكبير سيد قطب في مؤتمر الاخوان الصحفي في شأن المسجونين السياسيين في أغسطس ١٩٥٢ يطالب للشيوعيين «بالحرية كغيرهم ممن كانوا يكافحون الطغيان» ووصف الشيوعيين في هذا المؤتمر بالشرفاء «الذين ينبغي أن نقارعهم الرأي بالرأي والحجة بالحجة ولا نلقاهم بالحديد والنار» . وفي هذا الاطار يقول حسن الهضيبي أيضاً «ان الشيوعية لا تقاوم بالعنف والقوانين وانه لا مانع لديهم من أن يكون لهم حزب ظاهر والاسلام كفيل بضمان سلامة الطرق التي تسلكها البلاد» .

يقول الكاتب المصري محمد محفوظ : «الاخوان المسلمون لا ينسون أبداً ولا يغفرون أيضاً ان الحكم بابادتهم صدر من موسكو وبتحريض منها لأنها واحد من «الطواغيت الثلاثة» المعاصرة والمعادية للاسلام ، وهي الشيوعية والصهيونية والصليبية الجديدة التي تحمل أميركا رايتها»[٩٢] .

وأخيراً ينبغي ان لا ننسى ان كتاب «معالم في الطريق» كتب في معسكر مركزي أمضى فيه المؤلف عشر سنوات من حياته ، أدرك خلالها المعنى الحقيقي «للاشتراكية العربية» ذات «الأسلاك الشائكة وخشبات الاعدام»[٩٣] .

٣ ـ كان اتساع نطاق ثورات الشيوعيين والأحزاب اليسارية الماركسية في العالم العربي وقمعها العنيف للحركات الاسلامية والتيارات الدينية يثير تعاطف الاخوان . ومن جانب آخر كانت الشعارات البرّاقة التي يطلقها اليساريون الماركسيون لاستغفال الشباب المسلم تدفع الاخوان إلى زيادة التصميم على مواجهة الماركسية .

وليس ثمة شك ان الأنظمة السياسية العربية ذات الاتجاه الماركسي كانت تقمع المسلمين أكثر من غيرهم ، وآية ذلك ما حصل في الوضع السابق للمسلمين في اليمن الجنوبي والجزائر والعراق وليبيا والأنظمة الاشتراكية الأخرى .

٤ ـ يبرز الاخوان قرائن تشير إلى الارتباط الوثيق بين اليهودية والشيوعية ، وهذا ما يشدّد عداء الاخوان للمعسكر الشرقي ، «ان الصهيونية والماركسية وجهان لعملة واحدة ، وان الصهيونية صنعت الماركسية لخدمة أهدافها في معسكر يوصف بالمواجهة ظاهرياً بينما هو مكمل في الحقيقة»[٩٤] .

---

(٩٢) من موسكو حيث كان «الزعيم» في رحلة عمل وصلت الأنباء منه شخصياً يكشف مؤامرة انقلابية واسعة النطاق دبرها الاخوان المسلمون بهدف الإطاحة بالمجتمع الاشتراكي العادل والعودة بمصر التقدمية إلى عصور الظلام والرجعية وتحريم «المزيكا» واغلاق دور السينما وأيضاً سجن النسوان في البيوت والعودة إلى نظام الحريم . محمد محفوظ ـ الذين ظلموا ، لندن ، دار رياض الريس ، ص٤٦ .

(٩٣) كويل ، جان ، النبي وفرعون ، مؤسسة كيهان ، طهران ، ص٤٦ .

(٩٤) أنور الجندي ، تاريخ الدعوة الاسلامية في مرحلة الحصار ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ص١٣٦ .

ومما يسوّغ مواقف الاخوان المسلمين المعادية للشيوعية أكثر ان أغلب زعماء الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي هم من اليهود أو المسيحيين المؤيدين لاسرائيل .

ان المراد من الحديث السابق هو الاشارة إلى أن الحركة الشيوعية في مصر كانت خاضعة للتيارات اليهودية ، وان عبد الناصر كان مرتبطاً بزعماء هذه الحركة قبل انقلابه في تموز / يوليو ١٩٥٢ .

يقول الكاتب المصري طارق البشري في كتابه «الحركة السياسية في مصر ٤٥ ـ ١٩٥٣» : «اكتشف تاريخياً سيطرة العناصر اليهودية على الحركة الشيوعية خلال الفترة موضع البحث ، وان هذا قد رتب مواقف غامضة وموافقة مع عملية الاستيطان اليهودي الذي حدث في فلسطين»[٩٥] .

و«عشية الحرب العالمية الثانية وخلالها كان النشاط الأبرز لهذه التيارات (الحركة المصرية لتحرير الوطن ، الطليعة ، الفجر الجديد ، العصبة الشيوعية ، القلعة بالنجمة الحمراء) المتعددة داخل الأطر الثقافية ومن خلال الجمعيات المعادية للفاشية على يد أعضاء معظمهم من اليهود والأرمن ، منهم راكول وكوربيل وتوارتز»[٩٦] .

يقول فيصل : «ان قادة الشيوعية كلهم من الصهيونيين الذين خططوا أو سعوا إلى تحطيم البشرية وتهديمها ليصلوا إلى مبتغاهم ، وهو السيطرة على العالم ، ثم ان قادة الشيوعية في روسيا هم يهود ، لينين وتروتسكي وبيريا كلهم يهود ، والحركة الصهيونية كلها انطلقت من جنوب روسيا ، والذين أسسوا الأحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان ومصر والعراق كلهم يهود»[٩٧] .

من هنا لم يكن اعتباطاً ان يعلن وزير خارجية الاتحاد السوفياتي السابق اندريه غروميكو بافتخار من منصة الأمم المتحدة ان الاتحاد السوفياتي كان الدولة

---

(٩٥) المصدر نفسه ، ص٧٣ .

(٩٦) مجلة الشراع ، السنة السادسة ، العدد ٢٩٥ (١٦ نوفمبر ١٩٨٧) .

(٩٧) أنور الجندي ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

الأولى في العالم التي أعلنت اعترافها رسمياً باسرائيل[٩٨] . أضف إلى ذلك موقف زعماء الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي الداعم لتقسيم فلسطين .

٥ ـ يعتقد الاخوان ان هزيمة العرب الكبرى أمام اليهود في حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ كانت نتيجة لخيانة ومؤامرة الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي وتعاونهم مع الصهيونية الدولية . وفي هذا السياق يقول الكاتب المصري المعروف أنور الجندي «كانت هزيمة ٦٧ ثمرة التواطؤ السوفياتي ـ الاسرائيلي ، وكان عبد الناصر على اتصال باليهود والروس ، وكان يهدف إلى البقاء في الحكم أطول وقت ممكن ليحقق هدفاً أساسياً هو تعميق الحجاب بين الأمة وبين قيمها الأساسية ، وكانت القومية العربية في مفهومها الغربي ، ثم الشيوعية في مراوغاتها القاسية هي دقات الطبول التي تحجب الاسلام تماماً ، وحمل عبد الناصر أمام التاريخ تبعة هذه المأساة التي سودت صفحات تاريخه إلى الأبد ، حين أحسن الظن بالشيوعية فتحالف معها ، وأغرى كثيراً من الدول العربية والاسلامية بالولاء لها ، وقد غابت عنه حقيقة خطيرة هي ان هذه المسميات من اشتراكية وشيوعية وماركسية ويسار تنتهي إلى تنظيم واحد تمسك الصهيونية بزمامه من وراء ستار وتوجهه لهدم كل القيم الاسلامية التي تحول بين اليهود وبين السيطرة العالمية التي يحلمون بها» . ويقول الأستاذ حسين يوسف : «إن الرئيس عبد الناصر طلب رسمياً ان يتولى السوفيات الدفاع الجوي عن مصر بقائد روسي ، وأن مصر اعتمدت في حربها ضد اسرائيل دولة الشيوعية الكبرى واستعانت بالألوف من خبرائها في مختلف القطاعات العسكرية والاقتصادية فانتهى الأمر بالهزيمة» .

---

(٩٨) يسوغ الشيوعيون هذا الموقف بشتى الأساليب : «ان المعسكر الاشتراكي بعد ان ارتكب خطأ الاعتراف باسرائيل في أول عهدها حيث لم تكن قد اتضحت بعد معالم الدولة الجديدة من حيث هي قاعدة للنفوذ الاستعماري الجديد تنفّذ من خلالها أميركا جميع مخططاتها في منطقة الشرق الأوسط قد عاد وكفر عن هذا الخطأ على شكل مساندة معنوية ومادية للعالم العربي ضد أعدائه . وهذا المعسكر لا يفعل ذلك بالطبع حباً بسواد عيون العرب وإنما المسألة ببساطة هي أن مصلحته اضعاف النفوذ الغربي الرأسمالي في أي مكان بالعالم وخاصة في المناطق القريبة منه ، وفي هذه المسألة تتفق مصالحنا الحقيقية مع مصالح هذا المعسكر على الرغم من الاختلاف العقائدي الاساسي بيننا وبينه» . د . فؤاد زكريا ، الحقيقة والوهم ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص٣٧ .

ويضيف قائلاً : «لقد أكدت الأحداث المتوالية ان الصداقة الشيوعية المزعومة تخفي في طياتها عداوة مريرة للاسلام والعرب وسعياً حثيثاً إلى حماية اسرائيل وتوطيد أقدامها . إن تسويف السوفيات في ارسال الأسلحة كان يستهدف ابقاء اسرائيل في موقف القوة الغالبة ، ومصر والعرب في موقف الضعف والهزيمة ، حتى انتهى الأمر بأن كشف الاتحاد السوفياتي عن معارضته الصريحة ضد أي معركة لاسترداد الأرض العربية المغتصبة . وكان الخبراء الروس لا يتلقون تعليماتهم من الحكومة المصرية التي تستخدمهم ، وإنما من الاتحاد السوفياتي وحده ، وما يشكل ذلك من الخطر على كيان البلاد ويكشف خططها العسكرية . لقد ذهب عبد الناصر إلى الروس بعد أن أزعجه الأميركيون ، وظن انه سيجد لديهم سيطرته واستعلاءه ، ولكنهم كانوا أكثر مكراً ؛ لقد دفعوه إلى تحطيم الحياد بين الكتلتين ، فلما وقف من أميركا موقف الخصومة الواضح ، حاصروه وضربوه ، وكان في أيامه الأخيرة يفكر في العودة إلى الأميركيين لولا ان سبقته الأحداث»[٩٩] .

٦ ـ دور السعودية وغيرها من المرتبطين بالمعسكر الغربي : أثار الهجوم الاعلامي الموسع الذي شنّه عبد الناصر على الرجعية لمعارضتها اصلاحاته الاشتراكية رد فعل الاخوان المسلمين[١٠٠] .

وبعد ثورة ١٩٥٢ ظل (الاخوان) منشغلين في الصراع الداخلي مع السلطة ، وبدأ الفتور بسبب الشؤون الداخلية ، وغاب الموقف السياسي العدائي

(٩٩) أنور الجندي ، المصدر السابق ، ص ٩٩ و١٠٠ .

(١٠٠) رمضان ، عبد العظيم ، مصر في عصر السادات ، دار الرقي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ . وفي ذلك الحين كانت الرجعية تستخدم سلاحها المفلول لمحاربة الاشتراكية باسم الدين وقد تصدى عبد الناصر لهذا السلاح بشراسة . ففي خطابه يوم أول مايو ١٩٦٦ بمناسبة عيد العمال وقف يقول : «يقولون ان الاشتراكية كفر ! طيب ليه الاشتراكية كفر؟ أنا باخذ العامل اللي انت بتسف دمه . . . وبديله حقه . الفلاح الاشتراكية بتديله حقه . الاشتراكية تقضي على الفقر . نأخذ من أهل الغنى ونعطي لأهل الفقر . ده بالنسبة لهم كفر !» ثم يتساءل مستنكراً : «هل الشعب مغفل علشان تنطلي عليه التجارة بالدين؟ التجارة بالدين انطلت في وقت من الأوقات . . . ولكن لا يمكن الآن . الدنيا النهار ده تغيرت والدين النهار ده مفهوم ، الدين هو المساواة . . . الدين هو العدالة . . . . الدين هو أن تعطي أموال المسلمين للمسلمين» .

ضد القوة الخارجية . ونتيجة المطاردة والتنكيل بالاخوان في (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى البحث عن ملجأ ، ووجدوا الملجأ في السعودية ، وهذا اللجوء أثر في الموقف السياسي للجماعة وفي نقائها[١٠١] ، وذلك بسبب المنافسة المحتدمة بين مصر والسعودية لتزعم العالم العربي وبسبب حرب اليمن والخلاف بين الملك فيصل وعبد الناصر وعدائهما القديم واحساس السعودية بخطر انتشار الشيوعية ، مما جعلها تتحول إلى قاعدة كبرى لمواجهة الاتحاد السوفياتي ، ويأتي في هذا السياق دعمها المعنوي والمادي للأزهر وللاخوان[١٠٢] .

ولم يخل اعلام السادات الموسع ودعمه للجماعات الاسلامية[١٠٣] في الجامعات في وجه الماركسية من دور فاعل في هذا المجال . ويقال ان جامعة المدينة الاسلامية التي أدت دوراً مهماً في مواجهة الماركسية في العالم الاسلامي إنما انشئت على يد الاخوان الذين نكّل بهم عبد الناصر .

٧ ـ وأخيراً كان الهجوم العسكري السافر الذي شنّه الشيوعيون السوفيات على أفغانستان الاسلامية والمساعدات الكثيرة التي قدمتها أميركا ومعها البلدان الغربية للمجاهدين المسلمين الأفغان عوامل أخرى لاثارة عواطف المسلمين «كما استغلت السلطة السياسية الغزو السوفياتي لافغانستان لاظهار تأييد المسلمين ضد الملحدين والاستعانة بأميركا والاستغاثة بالغرب لتحقيق غرض مشترك ، ونزلت الجماعة الاسلامية في الحلبة نفسها ، وأقامت المؤتمرات تأييداً لشعب افغانستان وجمعت الأموال ونظمت طلبات المتطوعين وقدمت المجاهدين الأفغان في حي الأزهر ولم يعد يعلم أين الدولة وأين الجماعة الاسلامية»[١٠٤] .

---

(١٠١) حوار شخصي للباحث مع مصعب وهو من الأعضاء البارزين في الجماعة الاسلامية في لبنان .
(١٠٢) «وقد كان الاخوان دائماً على علاقة طيبة مع أفراد العائلة السعودية المالكة التي قدمت دعماً مادياً للاخوان في مصر ، وقطاع غزة» . د . زياد أبو عمرو ، الحركة الاسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة .
(١٠٣) راجع العلاقة بين الاخوان والسادات للمؤلف أعلاه ـ دار الاسوار ، عكا ١٩٨٩ ، ص٢٦ .
(١٠٤) د . حنفي ، حسن ، الحركات الاسلامية في مصر ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

## موقف الحركة الاسلامية الايرانية من المعسكرين الشرقي والغربي

لم تظهر أدنى بوادر للتعاون والانسجام بين الحركة الاسلامية الايرانية والتيارات الشيوعية ، بل كان العداء مستحكماً دائماً بين الطرفين لعدة أسباب (تشبه أسباب الاخوان أحياناً) . ومنها أسباب عقيدية وسلوك الأحزاب الشيوعية في العالم الاسلامي وسرعة الشيوعيين الايرانيين إلى بث التفرقة والانتهازية ومحاربة الدين (كما في حادثة آذربايجان) والصدام مع ثورة رجال الغابات وخيانة (فدائيي الشعب) : انضمام بعضهم إلى صفوف النظام السابق ، ارتباط أكثرهم بالدول الأجنبية . ولم تنسجم الحركة الاسلامية معهم على الرغم من موقف بعضهم المؤيد لها في محاربة النظام الشاهنشاهي وعلى الرغم من دخول البعض مع المجاهدين المسلمين في الزنزانات نفسها . ودأب الثوار الايرانيون على النظر بعين الشك والريبة إلى المعسكر الشرقي ، وعلى اعتبار الشيوعية والرأسمالية في مصاف واحد والنظر إلى المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي باعتبارهما قوتين استعماريتين معاديتين للحركة الاسلامية . ويتجلى هذا الموقف من خلال الشعارات التي كان الشعب يرددها في ثورته والتي يساوي فيها بين الاتحاد السوفياتي والصين وفرنسا وبريطانيا وأميركا . وكذلك كانت الحركة الاسلامية الايرانية تتشدد في عدائها للغرب لأسباب كثيرة يأتي ذكرها فيما بعد . ومع انتصار الثورة تجسد خط الثوار في شعارهم الذي أطلقوه واعتبروه شعاراً استراتيجياً ومحوراً أساساً لسياسة النظام الخارجية ، ألا وهو شعار (لا شرقية ولا غربية) . ويتبين من هذا ان الحركتين لا تختلفان في موقفهما النظري من المعسكرين ، إلا انهما تختلفان كثيراً فيما بينهما في موقفهما العملي .

فقد لاحظنا ان عداء جماعة الاخوان المسلمين للمعسكر الشرقي والنظرية الماركسية وللأسباب التي ذكرناها أكثر بكثير من عدائها للمعسكر الغربي ، بل كان يبرز منها أحياناً ميل نسبي إلى الأخير . بينما نلاحظ العكس في الحركة الاسلامية الايرانية ، إذ ان عداءها للغرب وعلى رأسه أميركا ، أكثر منه بكثير للمعسكر الشرقي ، وهذا الأمر من وجوه الاختلاف الأساسية بين الحركتين . ويعود الاختلاف بين الجانبين إلى عدة أسباب ، أهمها :

١ ـ كانت ايران خلال القرنين الأخيرين خاضعة لسلطة الاستعمار الغربي السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وبغض النظر عن أحداث أذربايجان واحتلال غيلان ، فان البلدان الغربية ، ولا سيما بريطانيا وأميركا ، كانت الحاكمة المطلقة في هذه البلاد . كذلك فان الدور الاستعماري لبريطانيا وأميركا في تقسيم ايران وتعيين الحكومات وتغييرها مراراً وفي انقلاب رضا شاه وانقلاب عام ١٩٥٣ والدعم اللامحدود لنظام الشاه في قمعه الشعب المسلم والحركة الاسلامية ؛ كل ذلك لا يمكن ان يوضع بمصاف واحد مع سياسة الاتحاد السوفياتي .

ان دور الاتحاد السوفياتي وبلدان المعسكر الشرقي الأخرى في ايران لم يكن دوراً فاعلاً في النصف الثاني من هذا القرن (على الرغم من نزعتها الاستعمارية) خلافاً لدورها في مصر ، ومن ثم لم تتعرض الحركة الاسلامية في ايران لقمع الحكومات الدائرة في ركاب الماركسية على عكس حركة الاخوان المسلمين إذ كانت تتعرض للقمع من قبل الأنظمة المرتبطة بعجلة أميركا والغرب ، ولذلك فمن الطبيعي أن يكون عداؤها للغرب أكثر بكثير من عدائها للشرق .

٢ ـ لم تكن الحركة الاسلامية الايرانية تنظر كما ينظر الاخوان إلى الغرب على أنه من أهل الكتاب ، وإلى الشرق على أنه ملحد . فقد هاجم زعيم الحركة الاسلامية الايرانية الامام الخميني في كلمة له مبدأ الليبراليين الذي يعتبر الاتحاد السوفياتي ملحداً وان أميركا موحّدة(١٠٥) ، وانتقد هؤلاء لاطلاقهم شعارات تحارب الاتحاد السوفياتي وحده ، واعتبر ذلك مؤامرة لنسيان الخطر الأميركي(١٠٦) .

وما يحظى بكثير من الأهمية هنا أن الامام الخميني هاجم هذا التيار رغم تستره بالاسلام ووصفه بالاسلام الأميركي الذي يهتم بالثروة والرفاهية ولا يعبأ بالمجتمع . ويعتبر زعيم الحركة الاسلامية الايرانية الغرب (كافراً) خلافاً للاخوان المسلمين ، ويعتقد ان المواجهة بين ايران وأميركا هي «مواجهة بين الكفر كله والاسلام كله»(١٠٧) .

---

(١٠٥) صحيفة النور ، ج ١٥ ، ص١٣ ، كلمة الامام الخميني ١٥/ ٦/ ١٩٨١ ،

(١٠٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص٦٨ كلمة الامام بعد الافراج عنه في ١٥/ ٥/ ١٩٦٣ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص٢٢٤ ، كلمة الامام في مجموعة من ضباط الجيش الباكستاني بعد عودتهم من الحج في ٢٤/ ١١/ ١٩٧٩ .

٣ ـ تنظر الحركة الاسلامية الايرانية إلى مجموعة مواقف ونشاطات الشيوعيين والأحزاب اليسارية في داخل البلاد ، والتي ترتبط ظاهرياً بالمعسكر الشرقي ، على أنها تصب في حساب أميركا والدول الغربية الأخرى وليس في حساب الاتحاد السوفياتي . فالامام الخميني يختلف مع الاخوان في اعتقاده بانه «حتى أكثر الشيوعيين تشدداً في المنطقة هم أياد أميركية»(١٠٨) . وهو يرى ان الشيوعية ظهرت في ايران بيد الاميركان ، كما أن ظهور حزب توده كان على يد بريطانية(١٠٩) .

وصرح الامام الخميني في لقائه سفير الاتحاد السوفياتي في ١٢/ ٦/ ١٩٧٩ قائلاً : «في اعتقادي ان الشيوعيين في ايران يرتبطون بأميركا أكثر من غيرها»(١١٠) . ومن هنا كان الامام هو أول من أطلق على الشيوعيين اسم «الجماعات اليسارية الأميركية»(١١١) . وذهب الامام إلى أبعد من ذلك بقوله : «ان أميركا هي التي خدعت الاتحاد السوفياتي»(١١٢) .

٤ ـ تعتقد الحركة الاسلامية الايرانية ان سبب مآسي الاسلام هو الغرب ، ولا سيما أميركا ، وتصر على اعتقادها هذا ، بينما يعتقد الاخوان أن سبب ذلك هو ظهور اسرائيل والأحزاب اليسارية في البلدان الاسلامية . والامام الخميني يعتقد ان «سبب جميع مصائب البلاد»(١١٣) وجميع مآسيها هو أميركا(١١٤) ، ومنها حرب العراق وايران والحصار الاقتصادي والاشتباكات في غرب البلاد وعشرات المشاكل الأخرى التي خلقتها أميركا أو حسب تعبيره «أم الفساد في هذا القرن»

---

(١٠٨) المصدر نفسه ، نداء الامام إلى الشعب الايراني في ٢٤/ ١١/ ١٩٧٩ .

(١٠٩) المصدر نفسه .

(١١٠) الامام الخميني ، «در جستجوي راه از كلام امام» ، استعمار وابر قدرتها ، طهران ، مؤسسة أمير كبير ، ١٩٨٣ ، ج ١٤ ، ص٢٨٩ .

(١١١) المصدر نفسه ، ص٥٦٤ .

(١١٢) المصدر نفسه .

(١١٣) صحيفة النور ، بيان الامام الخميني في ٣١/ ٥/ ١٩٧٨ بمناسبة ذكرى ١٥ خرداد ، ج ٢ ، ص٦٧ .

(١١٤) المصدر نفسه ، بيان الامام الخميني في ١٢/ ١٠/ ١٩٧٨ ، ج ٢ ، ص١٤١ .

و«الشيطان الأكبر»[١١٥] . بل هو يعتبرها أساساً لكل مصائب المسلمين[١١٦] ويعدها هي والغرب سبباً لكل مآسي المسلمين والشرق[١١٧] . ويرى ان جميع المتحالفين ضد الجمهورية الاسلامية يرتبطون بأميركا ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر[١١٨] .

ويذهب إلى أبعد من ذلك فيعتبر «ان أهم قضية تواجهها الشعوب المسلمة وغير المسلمة والدول المحتلة هي أميركا»[١١٩] ، ويقول : «ان أميركا هي العدو رقم واحد للشعوب المستضعفة والمحرومة في العالم»[١٢٠] وهي «مظهر الاستغلال العالمي»[١٢١] و«أقوى بلدان العالم التي تسلك شتى السبل لنهب ثروات البلدان الخاضعة لها»[١٢٢] . ونؤكد هنا ان ما اهتمت به الحركة الاسلامية في ايران من مواجهة للرأسمالية أغفله الاخوان المسلمون تماماً . وفي سياق هذه المواجهة يقول الامام الخميني : «اننا عازمون على استئصال الجذور الفاسدة للصهيونية والرأسمالية والشيوعية في العالم»[١٢٣] .

على أن كل هذا التأكيد لخطر الغرب وأميركا ونزعتهما الاستعمارية لا يعني إغفال المواقف الاستعمارية السابقة للاتحاد السوفياتي . فتأييده لقمع الثورة الاسلامية الايرانية في ٥/ ٦/ ١٩٦٣ ومشاركته الدول الغربية في أعمال النهب و«خطر الشيوعية العالمية الذي لا يقل عن خطر الرأسمالية الغربية»[١٢٤] كلها أمور لم تغفلها قيادة الحركة الاسلامية الايرانية . ففي اعتقاد الامام الخميني ان أميركا

---

(١١٥) المصدر نفسه ، بيان الامام الخميني في ١٩/ ١/ ١٩٧٩ ، ج ١٠ ، ص٢١١ .
(١١٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص٤١ .
(١١٧) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص٧٦ .
(١١٨) الامام الخميني ، (در جستجوي راه از كلام امام) ، ج ١٤ ، ص٥٧٨ .
(١١٩) صحيفة النور ، ج ١٣ ، ص٨٣ . نداء الامام الخميني لحجاج بيت الله الحرام .
(١٢٠) المصدر نفسه .
(١٢١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، جواب الامام الخميني لياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
(١٢٢) المصدر نفسه .
(١٢٣) المصدر نفسه .
(١٢٤) الامام الخميني ، (در جستجوي راه از كلام امام) ، ج ١٤ ، ص٥٧٨ .

أسوأ من بريطانيا وبريطانيا ، أسوأ من أميركا ، والاتحاد السوفياتي أسوأ من الاثنتين ، وانها جميعاً بعضها أسوأ من بعض[١٢٥] . إلا أن «الخائن الأساس للبلاد هو أميركا ، ومشكلتنا الآن مع أميركا»[١٢٦] .

## ج ـ المسار الاصلاحي والثوري

على الرغم من أن حسن البنا كان متأثراً إلى حد بعيد بالمسلك الصوفي ، وان حركته ـ في مفهومنا اليوم ـ كانت حركة اصلاحية محافظة وليست حركة انقلابية ، فانه لم يكن يستبعد اللجوء إلى القوة والعنف في سبيل تحقيق أهدافه ، وبعبارة أخرى «ليس في أدب الاخوان دعوة إلى الارهاب أو الاغتيال السياسي أو العنف ، ولكن الجماعة كانت ترفع دائماً شعار «الحق والقوة» أي «القوة المستندة إلى الحق»[١٢٧] ، ويتجلى هذا الأمر في اختيار الجماعة كلمة «واعدوا» وسيفين متوازيين لرمزها .

وفي هذا المجال يقول مؤسس الجماعة : «ويتساءلون هل في عزم الاخوان المسلمين ان يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم للوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الاخوان المسلمون في اعداد ثورة عامة على النظام السياسي والنظام الاجتماعي في مصر؟» . ويضيف قائلاً : «ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة ، بل انتهز هذه الفرصة فاكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وجلاء ، فليسمع من شاء : أما القوة ، فهي شعار الاسلام في كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء : ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الانفال ، الآية ٦٠) . والنبي يقول : «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف» (رواه مسلم وابن ماجه في المقدمة والزهري) .

---

(١٢٥) صحيفة النور ، ج ١ ، ص١٠٢ .

(١٢٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص١٣٥ .

(١٢٧) شاموق ، أحمد محمد ، كيف يفكر الاخوان المسلمون ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨١ ، دار الفكر ، الخرطوم ، ص٩٧ .

بل ان القوة شعار الاسلام حتى في الدعاء ، وهو مظهر الخشوع والمسكنة ، واسمع ما كان يدعو به النبي (ص) في خاصة نفسه ويعلمه أصحابه ويناجي به ربه : «اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (رواه البخاري في الجهاد والأطعمة والدعوات وأبو داود كما رواه الترمذي) .

ألا ترى في هذه الأدعية انه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف : ضعف الارادة بالهم والحزن ، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر؟ . . .» ثم يخلص إلى القول : «فماذا تريد من انسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً في كل شيء ، شعاره القوة في كل شيء . فالاخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء ولا بد أن يعملوا في قوة»[١٢٨] .

ويبدو من مجموع مواقف البنا انه لإيمانه بأهمية القوة كان ينتظر الفرصة المناسبة والظروف الملائمة لايجادها وللافادة منها ، تلك الظروف التي لم تتهيأ مطلقاً في حياته ، أو تهيأت ولكنه وسائر زعماء الاخوان من بعده لم يستطيعوا توظيفها بأسلوب صحيح ، بل ظلوا في دوامة بحوث جانبية عن كيفية الافادة منها «هل تكون القوة أول علاج أم ان آخر الدواء الكي؟ وهل من الواجب ان يوازن الانسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه ان يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟»[١٢٩] .

هذا فضلاً عن ان الحركة بطبيعة مرحلتها في تاريخ العرب الحديث كانت دعوة جانحة إلى ابراز القوة في بلد كان يرزح تحت حكم الاستعمار ، وهذه القوة دثرت بثوب عاطفي جذاب فأصبح الحماس والاندفاع وتخطي العقبات ثم تكاثر عنصر الشباب فيها هي من سماتها البارزة .

ولكن هذا الاندفاع الشديد أو ما كان يسميه الشيخ البنا (العجلة) كان يلجم بحزم شديد ، فالأجنحة أو المجموعات المتطرفة كان البنا يهدئ من غليانها

---

(١٢٨) راجع البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ، مصدر سابق .

(١٢٩) المصدر نفسه .

بكلمات هي نفسها ساخنة بالنسبة إلى العمل السياسي . كان يقول : «ان طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت بانها أسلم طريق للوصول . أجل قد تكون طويلة ولكن ليس هنالك غيرها . . فمن أراد منكم أن يستعجل الثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات»[١٣٠] .

والحقيقة ان البنا كان جاداً في ايجاد السبل المناسبة لهذا الأمر ، فبعد ان حدّد عناصر القوة ذكر ثلاث مراحل للوصول إليها . وجاء تشكيل أفواج (الكتائب) و(الجوالة) التي كانت بمثابة القوات شبه النظامية للجماعة كخطوة عملية مهمة ومدروسة للوصول إلى القوة . وفي تعريفه عناصر القوة يقول : «ولكن الاخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصون إلى أعماقها ولا يزنون نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها . . . فهم يعلمون ان أول درجة من درجات القوة : قوة العقيدة والايمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح . ولا يصح ان توصف جماعة بالقوة حتى تتوافر لها هذه المعاني جميعاً ، وانها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام ، أو ضعيفة العقيدة خامدة الايمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك»[١٣١] .

ويركز بعد هذا على التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات ويحدد للدعوة ثلاث مراحل :

ـ مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وايصالها إلى الجماهير .

ـ ثم بعد ذلك مرحلة التكوين واختيار الأنصار واعداد الجنود وتعبئة الصفوف .

ـ ثم بعد ذلك مرحلة التنفيذ والعمل والانتاج[١٣٢] .

---

(١٣٠) شاموق ، أحمد محمد ، المصدر السابق . ص٢٥٦ ، نقلاً عن رسالة المؤتمر الخامس .

(١٣١) البنا ، رسالة المؤتمر الخامس .

(١٣٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٦ .

وكان البنا يرفض بشدة أي عمل انقلابي أو حركة ثورية لقلب النظام الحاكم لأسباب نجهلها ، ولسنا ندري ان كانت تكتيكية أم عقيدية ، وكان يقول « . . . هذه نظرات يلقيها الاخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل ان يقدموا عليه ـ والثورة أعنف مظاهر القوة ـ فنظر الاخوان المسلمين إليها أدق وأعمق ، وبخاصة في وطن كمصر جرّب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون . وبعد كل هذه النظريات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين : ان الاخوان المسلمين يستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها وحيث يثقون انهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة . وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء ، وسينذرون أولاً وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة ويحتملون نتائج موقفهم هذا بكل رضى وارتياح . أما الثورة ، فلا يفكر الاخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها»(١٣٣) . و«ما كان لجماعة الاخوان المسلمين ان تفكر إلا في الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر ، ولا ان تحاول الطعن فيه أو اثارة الناس ضده وحضهم على كراهيته ، ما كان لها ان تفعل ذلك وهي جماعة مؤمنة مخلصة تعلم ان اهاجة العامة ثورة وان الثورة فتنة وان الفتنة في النار»(١٣٤) .

يأتي هذا الحديث في وقت يرفض فيه الاخوان الأساليب البرلمانية والليبرالية(١٣٥) . وقد أعلنت الحركة ـ وفق هذا الخط ـ انها لا تؤمن بالوصول للسلطة عن طريق الانتخاب ، أي لن تتخذ الطريق الليبرالي وسيلتها إلى الوصول إلى الحكم . وعندما كانت العناصر الشابة المتعجلة تطلب من المرشد ان يتحرك نحو السلطة ، وهي تظن ان الثمرة قد نضجت وحان قطافها كان يقول لهم :

---

(١٣٣) البنا ، رسالة المؤتمر الخامس من مجموعة رسائل حسن البنا ، مصدر سابق .

(١٣٤) مجلة النذير ، الاخوان المسلمون والدستور ، حسن البنا ، العدد ٣٣ ، القاهرة .

(١٣٥) غيّر الاخوان موقفهم من هذا الأسلوب في الوقت الحاضر ، وهم يرون ان السبيل الوحيد لتحقيق أهدافهم يكمن في الأسلوب البرلماني . ودليل ذلك ائتلاف الاخوان المسلمين مع الأحزاب العلمانية في مصر وخوضهم الانتخابات في الأردن والجزائر .

« . . . وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الاخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة في هذا الوقت طالبوني بان أخوض بكم لجج البحر وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد فاني فاعل إن شاء الله»[١٣٦] .

وإذا كنا نعتبر هذه الأمور هي المبادئ النظرية لحسن البنا ، فانه من الناحية العملية أفاد من القوة العسكرية بطرق مختلفة :

فمن ايجاد «النظام الخاص» عام ١٩٤٢ بكل مقوماته العسكرية وخصائصه المميزة وادارته المنظمة إلى الدور المهم لـ «جناح العسكري» في حرب فلسطين وحرب السويس إلى اغتيال النقراشي والسعي للاطاحة بنظام الملك فاروق من خلال الارتباط السري بين الجناح العسكري وجيش الملك وعناصر من الضباط الاحرار[١٣٧] ؛ كلها خطوات عسكرية ذات طابع عنيف أقدم عليها حسن البنا ، وكان فيها عرضة لانتقاد معارضيه ، على الرغم من انه دأب على انكار مثل هذه الخطوات ، وعلى التأكيد بأن «النظام الخاص» يراد توظيفه في حرب فلسطين

---

(١٣٦) البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ، ١٩٣٨ .

(١٣٧) كان حسن البنا واعياً بالمخاطر التي تحيط به كما انه كان يعرف ان هناك قوى كثيرة ترغب في تصفية حركته أو استيعابها وهكذا فانه انشأ جناحاً من الاخوان المسلمين اطلق عليه اسم (النظام الخاص) وتم تسليح هذا النظام الخاص وتدريبه ليصبح قوة قادرة على الضرب والردع . هيكل ، محمد حسنين ، خريف الغضب ، ط ٨ ، ١٩٨٤ ، شركة المطبوعات للتوزيع ، بيروت ، ص٢٨٠ .

للاطلاع أكثر على الحياة السرية للاخوان وأوكارهم وكيفية انتقائهم وبيعتهم لقادتهم ، يراجع الكتاب القيم (النقط فوق الحروف) لكمال أحمد عادل (ط ١ ، الزهراء للاعلام العربي ، ١٤٠٧) . والجدير بالذكر ان المؤلف المذكور هو عضو بارز في الجماعة وأحد الأفراد الذين طردهم الهضيبي . وكذلك يراجع كتاب (حسن البنا ومدرسة الاخوان المسلمين) د . رؤوف شبلي ص ص ٢٢٥ ـ ٢٣٨ . وأيضاً كتاب : د . موسى الحسيني ، الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية ، (ط ٢ ، بيروت ، دار بيروت للطباعة ، ١٩٥٥) .

وحسب ، كما دأب زعماء الاخوان على تأكيد هذا الأمر[١٣٨] . «ولكن الواضح ان هذا «النظام الخاص» كان يُعد للعمل الداخلي ، فلم يكن حجمه أفراداً وسلاحاً وتدريباً قادراً على أن يمثل أي تحد حقيقي لقوات الاحتلال البريطاني . فقد كان الجاهزون للانضمام إليه يؤخذون لكي يحلفوا يمين السمع والطاعة للمرشد العام داخل غرفة مظلمة وعلى مصحف ومسدّس»[١٣٩] .

ولم تكن ادعاءات الاخوان تجد آذاناً صاغية ، بل كانت أعمالهم هذه دائماً ذريعة لاعدائهم لمطالبة الأنظمة بالقضاء عليهم . وقد أصبحت أفكار البنا النظرية ، وليس العملية ، فيما بعد مساراً ثابتاً ومنهجاً غير قابل للتغيير بالنسبة إلى الجماعة وزعمائها المحافظين الذين أخذوا يستندون في كل مواقفهم إلى مقاطع من أقوال البنا .

وكانت الخطوة الأولى التي بدأها خليفة البنا حسن الهضيبي بعد توليه أمور الجماعة سعيه لالغاء الجناح العسكري (الجناح الخاص) والجناح الأمني (الجناح السري) والاكتفاء بالدعوة الاصلاحية وممارسة النشاطات في اطار قوانين البلاد ، مما أدى إلى ظهور خلافات داخلية شديدة في صفوف الاخوان ، وإلى تهديد الهضيبي بالاستقالة وانقطاعه مؤقتاً عن الاشتراك في اجتماعات المجلس .

وجاء بعد الهضيبي عمر التلمساني فتشدد أكثر في هذا النهج ، وتميزت مرحلته عن المراحل السابقة ببعض الخصائص ، منها :

١ ـ التأكيد المستمر للنهج الاصلاحي المسالم والبعيد عن جميع أنواع العنف والثورة . وفي هذا يقول الورداني : «لأجل ذلك سخر الاخوان كل الامكانيات الاعلامية المتاحة لديهم ، وفي مقدمتها مجلة الدعوة ، في محاولة اثبات ان جماعة الاخوان هي الحمل الوديع البعيد عن صور العنف والتطرف»[١٤٠] . وتحت

---

(١٣٨) يقول التلمساني في معرض رده عن السؤال عن وجود جماعات عسكرية تابعة للاخوان : لا وجود لهذا الأمر مطلقاً في الوقت الحاضر . كان لدينا سابقاً قوات شاركت في قتال الانجليز وتحرير فلسطين ، أما في الوقت الحاضر فلا وجود لأي قوة مسلحة ، لأن هذا الأمر مخالف للقانون ومخالف لاعتقادنا ، وليس لدينا نية لتأسيس مثل هذه الجماعات حتى في المستقبل .

(١٣٩) هيكل ، محمد حسنين ، خريف الغضب ، ط ٨ ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٢ ، مصدر سابق .

(١٤٠) ورداني ، صالح ، الحركة الاسلامية في مصر ، ص٥٨ ، مصدر سابق .

عنوان «موقف الاخوان من الانقلابات والمؤامرات والمظاهرات» يقول عمر التلمساني في مجلة الدعوة : «أما إذا كان المقصود بالحركة هو التظاهر فما قرأنا في كتب السيرة ان الصحابة صاحوا يوماً بحياة فلان أو سقوط فلان . وهذا أدب اسلامي نأخذ به أنفسنا مهما تقول المتقولون الذين ينسبون إلينا اننا محل رضا الحكم القائم . وأما إذا كان المقصود بالحركة التآمر وتدبير الانقلابات فهذا لا يفعله إلا طلاب الحكم لذات الحكم ، أما نحن فلا يعنينا شخص من يحكم ، ولكن في المقام الأول يهمنا نوع الحكم ودستوره وشكله ، وأما إذا كان المقصود بالحركة هو الاصطدام بالحكم عن طريق القوة والعنف فنحن نرى في ذلك استهلاكاً لقوى الشعب واستنفاداً لجهوده لا يستفيد منه أحد إلا أعداء هذا البلد»[١٤١] . ويخاطب التلمساني السادات في عدد آخر من مجلة الدعوة بقوله : «إنك تعلم عن طريق أجهزتك اننا لا نتآمر ولا ندعو إلى انقلاب ولا نفكر في ثورة ولا ننافس على حكم ولا نبيت على ضغينة كما فعل غيرنا . . .» .

ويعترف في موضع آخر أن : «جماعة الاخوان أبعد الجماعات عن العنف ، والسلف الصالح لا يرى ان يقاوم الحاكم بالسلاح حتى لو كان فاسقاً أو ظالماً . . . فنحن ننكر هذه الناحية ولم يحدث في يوم من الأيام ان بدأ الاخوان صداماً ، فنحن لسنا في صدام مع أحد» . ويستشهد بسيرة الزعماء السابقين فيقول : «كان الامام الهضيبي ومن قبله الامام حسن البنا ينكران هذا كل الانكار ، وأنا بدوري اقتداءً بهما أنكر كل هذا ولا أقر أي ظاهرة من ظواهر العنف في هذا البلد أو في أي بلد اسلامي بين حاكم ومحكوم» . ثم هو يستشهد بتصريح لوزير الداخلية المصري كدليل كاف على نفي صفة الثورية عن الاخوان ، فيقول : «يكفي ان وزير الداخلية الاسبق ـ النبوي اسماعيل ـ قال ان الارهاب والجماعات الارهابية لم تخرج من تحت عباءة الاخوان ، وهذه شهادة رسمية للاخوان» . وهو يزعم ان «كل ظواهر العنف لم تظهر في غيبة الاخوان»[١٤٢] . وفي تعليقه على اعتراض الجماعات الاسلامية المجاهدة في مصر ، يقول : «كل الجماعات تتهم الاخوان

---

(١٤١) مجلة الدعوة ، العدد ٣١ نوفمبر ١٩٧٨ ، القاهرة ، مصدر سابق .

(١٤٢) مجلة المجلة السعودية ، العدد ٢٢٥ ، ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤ ، لندن .

بانهم تركوا الجهاد . وهم يفسرون الجهاد على انه الصراع مع الحاكم»[١٤٣] . وفي معرض دفاعه عن نهج الجماعة السابق ومسارها الحالي يقول : «ولو كان الاخوان المسلمون جبناء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، كما يظن البعض ذلك ، مخطئين متجنين لما شهدتهم ميادين الوغى والجهاد في فلسطين وضفاف القتال ، أسد الشرق ، وصناديد الجلاء . انهم رجال في ميادين الرجولة ، مناضلون شجعان في مجالات الكفاح . أما اصطدامهم بمواطنيهم ، أما حرق المعامل وتدمير المدرجات والمحال التجارية العامة في المظاهرات الصبيانية فأمر يعرفه الشيوعيون ومن نحا نحوهم ، فكل هذا ليس في برامج الاخوان المسلمين ولو سبب هذا الالتزام للاخوان المسلمين الكثير من المآسي الدامية . ان الاخوان المسلمين لا يجرمون ولكنهم جادون في توعية المسلمين وتوسيع القاعدة العريضة للمسلمين التي تعرف ما لها وما عليها . انهم لا يعدّون الشباب الجامعي للاعتداء على أحد أو سبابه ، ولكنهم يعدونهم لما بعد التخرج حتى إذا عمل أحد في الأجهزة العامة أو الخاصة فعن طريقهم وبأيديهم وباسلامهم يكون الاصلاح دون اراقة دم ولا مهاترات . قد يطول الزمن في انتظار هذه النتيجة الطيبة فليكن . ان علينا العمل والعمل وحده ، أما النتائج فأمرها بيد الله وحده في الوقت الذي حدّده لنا لأننا على ثقة ان الله لا يعجل لعجلة عبده الذي خلقه عجولاً . اننا لسنا بالقوم المتعجلين ، هكذا علمنا استاذ الجيل (حسن البنا) وكل هذا من تعاليمه .

ليس هناك من لا يعلم ان أكثر الجماعات الاسلامية هاجمت الاخوان المسلمين ورمتهم بالكفر وادخلتهم في زمرة الملحدين ، فكيف يكون للاخوان جماعات تشتمهم وتتهمهم بالكفر؟ ان الاخوان درجوا منذ نشأتهم على أن يصلوا إلى تحقيق هدفهم وهو تطبيق الشريعة الاسلامية عن طريق الفهم والفكر والوعي والحوار المنطقي بعيدين كل البعد عن وسائل العنف . وان كل من انتسب إلى الاخوان فترة ثم لم يجد في دعوتها لوناً من ألوان العنف خرج من صفوفها وكوّن جماعة ترضي اندفاعات الشباب وكان من الأدلة على ذلك ما صرّح به الرئيس مبارك من ان الاخوان بعيدون عن حادث المنصة ، وما صرّح به السيد

---

(١٤٣) المصدر نفسه .

حسن أبو باشا وزير الداخلية من ان هذه الجماعات لم تخرج من تحت عباءة الاخوان ، وان لها اتجاهات غير اتجاهات الاخوان ، وأؤكد عن يقين ان بعض هذه الجماعات اقامتها جهات معروفة تقصد عرقلة دعوة الاخوان المسلمين وتعطيل مسيرتها فينشغل المسلمون بعضهم ببعض» .

لقد نظم الاخوان معارضتهم ونشاطهم في اطار قوانين البلاد الوضعية ، وهم يعترفون بهذا الأمر . ففي ردّه على اتهامات السادات ، يقول مرشد الاخوان : «هناك فرق شاسع بين المطالبة بتغيير قانون وضعي وبين الخروج عليه ، ولم يثبت في يوم من الأيام ان الاخوان المسلمين المطالبين تطبيق شرع الله منذ بدء دعوتهم ، لم يحصل أبداً انهم خرجوا على تلك القوانين ، فمن الخروج عن دائرة الحق والصواب أن يتهمهم رئيس دولتهم بأمر لم يقدموا عليه»(١٤٤) . وهكذا «انتقلت الحركة من موقف المفاصلة المناهضة والمقارعة للنظام والدعوة للثورة عليه إلى مواقف مختلفة وأكثر ليونة إلى درجة ان نقد النظام الساداتي وكشف عوراته وتعريته لم يكن مرغوباً فيه دائماً»(١٤٥) . وفي اجابة عمر التلمساني عن سؤال حول ذلك وجهه إليه اسماعيل الشطي رئيس تحرير مجلة (المجتمع) التي يصدرها الاخوان المسلمون في الكويت ، قال : «نحن لا نفضح ولا نتتبع العورات ، ومن تتبع العورات تتبع الله عورته»(١٤٦) . وفي مجلة الدعوة يقول الأستاذ التلمساني مخاطباً رأس النظام المصري أنور السادات : «انك تعلم عن طريق أجهزتك اننا لا نتآمر لانقلاب ولا نفكر في ثورة ولا ننافس على حكم ولا نبيت على ضغينة كما فعل غيرنا»(١٤٧) ، وفي موضع آخر يقول : «اننا مواطنون نلتزم بقوانين بلدنا ولا نخرج عليها وان كنا نطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية»(١٤٨) .

---

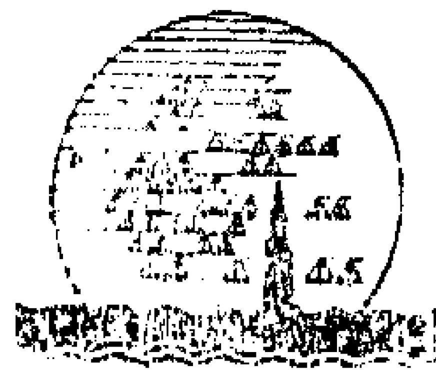
(١٤٤) عمر التلمساني ، أيام مع السادات ، القاهرة ، ص١٩ ، ٢٢ .
التلمساني يخاطب السادات في افتتاحية المجلة قائلاً : «يا رئيس الجمهورية اننا من أفراد شعبك الذين يجب ان يكون لهم من الحب نصيب فان حرمتنا من حقنا في العودة إلى الشرعية الرسمية فلنا ان نقول انك لا تحبنا» .

(١٤٥) د . فتحي ، ابراهيم ، مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الاسلامي المعاصر ، دار الفكر الاسلامي ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٤٦) مجلة المجتمع ، نيسان ١٩٨٠ ، الكويت .

(١٤٧) مجلة الدعوة ، العدد ١٥ ، القاهرة .

(١٤٨) المصدر نفسه ، العدد ٥٠ .



وفي تقويم عام لنهج الجماعة يقول عمر التلمساني في لقاء مع مجلة المختار الاسلامي الصادرة في القاهرة : «دعوة الاخوان دعوة نزيهة بريئة مخلصة تدعو إلى وحدة الصف وجمع كلمته وتأكيد وحدته في ظل الخلافة ، وهي تعد نفسها جندياً لكل من يدعو إلى هذا أياً كان موقعه ، ولا تنازع حاكماً حكمه ، ولن تحارب موقف الناقد أو المعارض أياً كان موقعه ولكنها تنصح لأن الدين النصيحة ، وتوجه لأنه مطلوب من المسلمين ان يكون منهم من يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، ولا تخاصم أحداً وتحتمل في سبيل هذا المطلب الأسمى كافة ما يتطلبه الاسلام من دعاته»(١٤٩) . ويضيف : «لا يجادل اثنان في ان الاخوان المسلمين هم أول من طالب بتطبيق الشريعة الاسلامية في هذا البلد المسلم وذلك منذ قيام دعوتهم في عام ١٩٢٨ . ولا يجهل أحد ما أصاب الاخوان من ويلات من جراء هذه المطالبة . . . ورغم ذلك كله لم يعملوا يوماً لاثارة القلاقل ضد أي حكومة ولم يهاجموا ولم يجرحوا ولم يتهموا . بهذا التأريخ الأبيض الناصع يتحدث الاخوان المسلمون عن تطبيق الشريعة الاسلامية ولا يقرون المسيرات ولا المؤتمرات ولا مناصبة الحكومة العداوات لأن أسلوبهم في الدعوة إلى الله حقق ما لم تحققه الاندفاعات والحماس الطائش»(١٥٠) .

ويطرح رؤوف شبلي أحد كتاب الاخوان المسلمين معنى آخر لمفهوم القوة ، ويعارض صراحة الأساليب الثورية ، فيقول : «وإذن فهناك مفهوم للقوة عند الاخوان غير مفهوم الثورة وغير مفهوم القوة عند غير الاخوان المسلمين . ان القوة تعني في نظر الاخوان التسلح بالايمان واليقين والعمل الجاد حتى تنتشر الفكرة من أقصاها إلى أقصاها . ويوم أن يبيت المجتمع العربي كله مسلماً فتلك هي القوة التي أرادها المرحوم المرشد العام ، ويومها لن يجد أصحاب المنافع الشخصية لهم سنداً من شهواتهم لمقاومة التيار الاسلامي الجارف . أما الثورة بالمفهوم الغوغائي الشعوبي أو بمفهومها العسكري فلا يفكر فيها الاخوان بل لا يؤمنون بجدواها ، فقد ثار عرابي وسعد زغلول فما زاد الوطن إلا خسراناً بل ثارت جماعة من

(١٤٩) مجلة المختار الاسلامي ، القاهرة ، العدد ٣٠ نوفمبر ١٩٨٤ .
(١٥٠) المصدر نفسه ، العدد ٤٣ ، تموز ١٩٨٦ .

ضباط الجيش في تموز/ يوليو ١٩٥٢ فانقسموا على أنفسهم عشية الانقلاب ، وتفرقوا إلى مجموعات متصارعة على الحكم وانتهت بأن قتل الصديق صديقه وانهزمت الأمة العربية بسببها في الحقل الدولي حتى أنقذنا الله بالعاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ . . . وما زلنا في ديون للمعسكر الشيوعي من جراء ثورة ما كان أغنانا عنها لو شاء الله لهذا الوطن ان تسير الحركة الاسلامية في مجراها الصحيح ، ولكن قضاء الله لا راد له ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[١٥١] .

٢ ـ الاقبال على نظام الأحزاب وتقديمها طلباً لتشكيل حزب سياسي ، والتعاون مع الأحزاب السياسية غير الدينية والعلمانية التي كانت على عداء قديم مع الاخوان . وجاءت هذه المواقف كلها الصادرة عن الروحية المحافظة لقيادة الاخوان في خطوة منها لانهاء حالة التشنج القائمة وللحصول على اجازة قانونية لاستئناف النشاط العلني ولتأسيس حزب سياسي ديني يعمل في اطار القوانين الوضعية ، وكذلك في سبيل «السير على الخط الذي رسمته الجماعة وهو الدعوة للخير والاصلاح»[١٥٢] ، وإذا كانت الجماعة لم تستطع الحصول على مثل هذه الاجازة رغم كل خطواتها ومساعيها لطمأنة الأنظمة المتعاقبة ، فان طلبها لتشكيل حزب بدعة جديدة في حياتها المملوءة بالمطبات ، فقد كان مؤسس الجماعة

---

(١٥١) شبلي ، رؤوف ، الشيخ حسن البنا ومدرسة الاخوان المسلمين ، ص٣٦٩ .

(١٥٢) مجلة المجلة ، عمر التلمساني ، العدد ٢٥٥ ، ١٩/ ١٢/ ١٩٨٤ .

خالف بعض الاخوان هذا الأمر ، فقد أصدرت الجماعة الاسلامية بياناً بعنوان (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أعربت فيه عن موقفها المعارض للأحزاب السياسية في مصر ، وقالت في الفقرة السابعة منه : «وقد يطالب بعض حسني النية بحزب اسلامي يشارك في الحياة السياسية ، وهذه الفكرة خاطئة من وجهة النظر الاسلامية لما سبق من نقاط ولأن مقتضى ذلك : اننا نضع دين الله على قدم المساواة مع مناهج من وضع البشر . ومعنى ذلك اننا نسوي بين الله وخلقه والله يقول : ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ ويقول سبحانه : ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾ ومقتضى ذلك أيضاً أننا نعرض دين الله على اهواء البشر إن راقهم امتثلوه وإن لم يرقهم أهملوه والله تعالى يقول ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾» . وبعد ان عدد البيان نقاط الاعتراض والرفض لقيام الأحزاب السياسية عموماً وقيام حزب اسلامي على وجه الخصوص والتي أسلفناها آنفاً ، قال البيان : «هذا بوضوح موقفنا من قضية الأحزاب نعلنه اليوم نظرياً وقد أعلناه عملياً منذ ظهرت الأحزاب كفكرة برفضنا الانضمام إليها» . الجماعة الاسلامية ، ص٥٢ .

والكادر المهم من بعده يعارضون بشدة النظام الحزبي ويعتبرونه خطوة لتفريق المجتمع وتشتيته .

وقد رفض الاخوان الحزبية رفضاً باتاً ، ولم يكن حسن البنا يقبل فيها نقاشاً وكان يعتبرها أصل الشرور والمفاسد ، وكان يبني موقفه على قواعد الاسلام . فالاسلام يعتبر المسلمين أمة واحدة ويعتبر الوحدة «جزءاً أساسياً في حياة المجتمع الاسلامي لا يتساهل فيها بحال»(١٥٣) ، كما يعتبر «الخلاف والفرقة قرين الكفر»(١٥٤) ، ويقول «ان الاجتماع انعقد على ان الاحزاب المصرية هي سيئة الوطن الكبرى ، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن»(١٥٥) وهو «لا يعتبرها أحزاباً حقيقية مثل الأحزاب السياسية في العالم» وإنما هي «انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية»(١٥٦) ، وهو يعتبرها بلا برامج وبلا مناهج ولا خلاف بينها في شيء إلا في الشخصيات ، ويستشهد بما كتبه الأستاذ سيد صبري في كتابه «مبادئ القانون الدستوري» من أنه «لم يعد لأغلب الأحزاب السياسية في مصر برامج يدافع عنها أنصارها ، بل أصبح كل حزب عبارة عن وزير سابق له أنصار ومريدون ، ولهذه النتيجة أهميتها ، فان الانتخاب لن يقوم على المفاضلة ، بل سيقوم على الثقة بالأشخاص أو المفاضلة بينهم وستكون الانتخابات شخصية لا حزبية ، وبديهي ان بقاء الأحزاب على هذا المنوال يقسم البلاد شيعاً وأحزاباً ويثير الشقاق والمنازعات بين الأفراد والاسرات بلا سبب مفهوم»(١٥٧) . حتى ان التلمساني كان يؤيد في السابق قمع السادات للأحزاب ، فيقول : «لقد جاءت كلمة الأحزاب في القرآن يحوطها الشر والعدوان . . . لقد بلينا بالأحزاب والهيئات في مصر طوال نصف قرن فلم نلق منها إلا العلقم والمر . . . وإذا كانت الأحزاب قد زالت من مصر حيناً فقد عادت بكل ما تحمله معها من أثقال»(١٥٨) .

---

(١٥٣) البنا ، حسن ، مجموعة رسائل الامام الشهيد ، ص٣٧٣ ، مشكلاتنا في ضوء . . . .
(١٥٤) المصدر نفسه .
(١٥٥) المصدر نفسه .
(١٥٦) المصدر نفسه .
(١٥٧) المصدر نفسه .
(١٥٨) مجلة الدعوة ، القاهرة ، كانون الأول ١٩٧٨ ـ تشرين الثاني ١٩٨٠ .

٣ ـ انتخاب البرلمان والتوجه البرلماني : يبدو ان الهدف من تشكيل الحزب هو الدخول إلى البرلمان والسعي من خلال الانتخابات والبرلمان إلى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وهي خطوة مكررة للتجربة الفاشلة التي خاضتها الجماعات الاسلامية في الهند وباكستان وتركيا ولم تجن منها أدنى نفع للحركة الاسلامية .

وما يدعو للعجب انه على الرغم من رغبة الأنظمة في اقحام المعارضة في اللعبة البرلمانية للتخلص من المعارضة الحركية ، فان الأنظمة الحاكمة في مصر وتونس والسودان والأردن(١٥٩) لم تسمح للاخوان بدخول هذه اللعبة ، والأعجب من ذلك ان الاخوان كانوا مستعدين ، في سبيل ادخال بضعة أشخاص في البرلمان إلى التعاون والعمل تحت مظلة عدوهم العتيد (حزب الوفد) الحزب العلماني الذي كان أول حزب يهاجم حسن البنا(١٦٠) .

«ولكن الاخوان المسلمين يقولونها بصراحة ان اليوم الذي يستخدم فيه الاخوان المسلمون لفكرة غير فكرتهم الاسلامية البحتة لم يأت بعد ولن يأتي أبداً . . . ان الاخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب ويعتقدون انها مسكّن لا علاج وسرعان ما ينفض المؤتلفون فتعود الحرب»(١٦١) .

ومما مر بنا نخلص إلى أن الاخوان المسلمين باستثناء المؤسسين وبعض الشخصيات المعدودة كسيد قطب (الذي شك الكثير من الاخوان في عضويته في الجماعة) الذين كانوا يحملون نفساً ثورياً نسبياً ، قد اختاروا المنهج التربوي الاصلاحي للعودة إلى القرآن والسنة ولتطبيق الشريعة ومن ثم العودة إلى الخلافة ، وتجنبوا الحلول العنيفة أو الثورية ، وهذه الروحية المحافظة متأثرة بمفاهيم

---

(١٥٩) شارك الاخوان المسلمون في الأردن في الانتخابات البرلمانية أخيراً نتيجة للضغوط الناتجة من حرب الخليج الفارسي ، واستطاع عدد كبير منهم الوصول إلى البرلمان ، إلا أنهم اصطدموا بعد حين بمعارضة النظام الحاكم .

(١٦٠) للاطلاع أكثر على علاقة الاخوان بحزب الوفد راجع : عمر التلمساني ، الملهم الموهوب ، حسن البنا أستاذ الجيل ، ص ٤٦ ـ ٤٨ ، مصدر سابق .

(١٦١) شبلي ، رؤوف ، الشيخ حسن البنا ومدرسة الاخوان المسلمين ، ص٤٦٠ ، مصدر سابق .

المذهب السني ، وهي حصيلة فهم معين لتاريخ الاسلام والخلفاء والصحابة . ويمكن القول ان الاخوان اسقطوا عملياً كلمة الجهاد من قاموسهم لسنوات طويلة ، ولم يلتفتوا إليه إلا لفترة محدودة وبالتحديد في فلسطين ، وكان هذا الأمر سبباً لحدوث انهيار نسبي في تنظيماتهم وانشقاق متواصل في صفوف المعارضين لهذا النهج . ولا يزال في الوقت الحاضر ثمة تناقض في أمرين لا يجد من يفسره .

أولاً ، اللجوء إلى العنف والجهاد المسلح في أفغانستان بمشاركة عدد من الاخوان عملياً فيه ، والموقف الرسمي المؤيد من قبلَ الجماعة لأسلوب الجهاد المسلح في افغانستان .

ثانياً ، موقف الاخوان المسلمين المسلح العنيف من حزب البعث السوري . وإذا كان التعامل المسلح في أفغانستان يمكن تفسيره على غرار الموقف في فلسطين باعتباره مقاومة لقوة عسكرية أجنبية محتلة ودفاعاً عن ثغور بلد إسلامي ، فهل يمكن تفسير الموقف المسلح من الحكومة السورية؟ ولماذا لم يحدث الأمر عينه مع الأنظمة الأخرى التي عقدت اتفاق صداقة مع العدو الصهيوني؟ ونؤكد هنا أننا لسنا في صدد تقويم هذا المنهج أو الدفاع عن المناهج الأخرى ، إنما نثير التساؤل الذي دأب على طرحه المعارضون لخط الاخوان الاصلاحي والمؤيدون للاسلوب الثوري للحركة الاسلامية في ايران ، وهو : ما الذي أسفر عنه الأسلوب الاصلاحي التربوي للاخوان بعد خمسين سنة من تجربته؟ وإذا كنا نتقبل جواب الاخوان على أنه «لم يغير الحكومات ولكنه خلق قاعدة عريضة ودائمة» فان سؤالاً آخر يطرح نفسه ، وهو : هل يستحق هذا الأمر كل هذا الثمن الباهظ؟ ولعلنا نجد الجواب الشافي حين نرى انتصار الثورة الاسلامية الايرانية بانتهاجها الخط الثوري ونرى تأثيرها السريع في جميع الحركات الاسلامية في العالم الاسلامي .

ان الحركة الاسلامية الايرانية التي سعت لتطبيق الشريعة ، وأكثر من ذلك سعت لاقامة الحكومة الاسلامية في سائر البلدان الاسلامية ، كانت تؤمن بالأساليب التربوية والاصلاحية ، ولكنها لم تكن تكتفي بهذه الأساليب ، ومن ثم

لجأت إلى كل أسلوب رأته مناسباً لتحقيق هدفها . وكانت تختلف مع الاخوان في اعتمادها الاسلوب الثوري العنيف ، فهي ترتكز على الأصول الشيعية في عملها وتتأثر بالاحداث التاريخية وبالمظالم التي تعرض لها الشيعة على امتداد تاريخهم وبالمعارضة التقليدية التي عرفوا بها حكام الجور والظلم ، ويطلقون شعار : «كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء» مقتدين بالمنهج الدموي الذي سلكه الامام الحسين في كربلاء ، ويبقى الخيار مفتوحاً أمام زعماء هذه الحركة لاختيار الظروف الزمانية والمكانية المناسبة واختيار أقصر الطرق لتحقيق هدفهم السامي .

ويبرز الاختلاف الكبير بين الحركتين وتباين آرائهما وانعكاسه على نتائج أساليبهما من خلال الثورات الدموية المتعاقبة التي قامت بها الحركة الاسلامية الايرانية في القرنين الأخيرين ولجوئها إلى حكم الجهاد في بعض الاحيان ، وأخيراً دعوتها إلى الاضراب العام وإلى الثورة على النظام الشاهنشاهي والوصول إلى تحقيق أهداف هذه الثورة .

## ٢ ـ العوامل السياسية

إن العامل الأهم في هذا المجال هو القلق الناشئ عن تفوق الفكر السياسي للشيعة والقيادة الدينية الشيعية . والحقيقة ان انتصار الثورة الاسلامية هو انتصار للفكر الشيعي واحياء له من جديد بين مسلمي العالم . وهو الفكر الذي يعتقد الشيعة انه حورب منذ وفاة الرسول وانتخاب الخلفاء الراشدين على يد بعض الصحابة في سقيفة بني ساعدة(١٦٢) فتحول إلى مذهب معارض ، وبلغ أوج معارضته في زمن الأمويين والعباسيين الذين حاربوه بشتى الأساليب ودفعوا به إلى الانزواء . ومن هنا فإن انتصار فكر الأقلية (الشيعية) بين الأكثرية (السنية) في العالم الاسلامي بعد أربعة عشر قرناً من العزلة والانزواء ورغم وجود المؤسسات

---

(١٦٢) اجتماع جمع من المهاجرين والأنصار في مكان يدعى (سقيفة بني ساعدة) وانتخاب أبي بكر كخليفة في الساعات الأولى من وفاة الرسول الأكرم (ص) . ومخالفة محبي الامام علي بن أبي طالب لهذا الأمر ، ولمزيد من الاطلاع مراجعة ـ عباس ، حسن ، الفكر السياسي الشيعي ، مصدر سابق .

السنيـة العـريقـة لم يكـن يخلـو من ردود الفـعل . فكـانت كل خطوة تخطوها الجمهورية الاسلامية الايرانية تخضع لتمحيص العالم السني وتثير حساسيته . وأدت الخطوات الوحدوية التي خطاها أصحاب الثورة الاسلامية ، ورفعهم راية الوحدة ، وسعيهم للابتعاد عن كل ما يحمل طابعاً مذهبياً رغم كل الخلافات المذهبية الموجودة ، إلى رفع طموحات السنة إلى أكثر مما ينبغي ، حتى اضحوا يرون في أي تأكيد للهوية المذهبية للثورة انحرافاً عن الأهداف الأساسية للثورة ويهاجمونه بشدة دون ان يلحظوا دور المذهب في انتصار الثورة ، والتزام الناس الشديد بمذهبهم ، ووضع الحوزة ووجود الكثير من الأشخاص المتعصبين ، وما إلى ذلك من الأمور التي لا سبيل إلى تجاهلها .

وأدى ظهور بعض العوامل إلى زيادة حدة هذه المواقف ، وبالتالي إلى ترك أثر سلبي في العلاقة بين الحركة الاسلامية الايرانية وجماعة الاخوان المسلمين باعتبارها أكبر الجماعات السنية والنموذج الأبرز لطبيعة تفكيرها . ولعل أبرز هذه العوامل هي :

**أ ـ نهضة الشيعة في البلدان الاسلامية وفي المناطق الشيعية**

خرجت الأقلية (وأحياناً الأكثرية) الشيعية في مختلف البلدان الاسلامية على حكوماتها مدفوعة بمعاناتها وحرمانها من أبسط أنواع الحريات السياسية والاجتماعية والدينية ومتأثرة بالثورة الاسلامية الايرانية ، فواجهتها هذه الحكومات السنية بالقمع ، وأثارت النعرات المذهبية لكسب تعاطف أهل السنة . ومثال ذلك ثورة الأكثرية الشيعية في العراق عدة مرات على النظام السني الحاكم ، كما في انتفاضة رجب وانتفاضة الجنوب وغيرهما ، وجاء ذلك احتجاجاً على موقف السكوت المطبق الذي التزمه السنّة لعشرات السنين وعلى تأييد بعضهم للأنظمة المتعاقبة على الحكم والتي تتفق معهم في المذهب ظاهرياً . وكذلك الحركة القوية للشيعة في البلدان الخليجية العربية ودعمهم التام للحركة الاسلامية الايرانية الذي تجلى بأشكال مختلفة كالمظاهرات والاجتماعات المؤيدة للتحركات العنيفة وشبه الانقلابية المعادية للأنظمة الحاكمة ، ومنها :

ـ انتفاضة الشيعة في المحافظات السعودية الشرقية (خصوصاً في تاسوعاء وعاشوراء عام ١٩٧٩) وهم العاملون الأصليون لشركات آرامكو، وهم في الوقت نفسه الطبقة الأفقر في السعودية.

ـ الموقف العنيف والغاضب لشيعة الكويت تجاه سياسة الشيوخ في حرب الخليج الأولى وتجاه الدعم الكبير الذي تقدمه حكومة الكويت للنظام العراقي في حربه مع ايران.

ـ سطوع نجم الشيعة في لبنان، وتبلور مقاومة القهر الصهيوني في ظهور (حزب الله) الشيعي، واستعادة الشيعة لكثير من حقوقهم المغتصبة في هذه البلاد وكسبهم لتأييد المستضعفين وتعاطف المسلمين الاحرار في العالم.

ـ انتظام الوجود الشيعي في باكستان وظهور تنظيم شيعي باسم (الفقه الجعفري) في خطوة للدفاع عن حقوقهم الثقافية والسياسية والدينية ولمواجهة ممارسات السلطة. هذه المصاديق وغيرها العشرات أثارت قلقاً متزايداً من تفوق الشيعة في القيادة السياسية. ومما يزيد في وتيرة هذا القلق ان الشيعة في جميع البلدان هم في طليعة المخالفين لحكوماتهم ويمتلكون أقوى المؤسسات المعارضة[١٦٣]. والشيء الأهم الذي كان يخلق الهلع والقلق هو الانتصارات المتلاحقة التي أحرزتها ايران في السنوات الأولى من حربها مع العراق من جهة، والاعلام المكثف الذي كان الاعداء يقومون به من جانب آخر.

ويمكن ان نلمس عمق هذا القلق في ما كتبه الاعداء، فمثلاً يقول صاحب كتاب «الشيعة قادمون»: «ولكنهم أشعلوها حرباً مقدسة لا يخمد أوارها قبل ان تحقق الهدف النهائي منها وهو إقامة الامبراطورية الشيعية الكبرى التي تمتد من باكستان شرقاً إلى سوريا ولبنان غرباً وتضم امارات الخليج وتبسط نفوذها على

(١٦٣) ظهرت في جميع هذه البلدان تقريباً حركات شيعية بعد انتصار الثورة الاسلامية الايرانية ومنها: (منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية) في السعودية (منظمة تحرير البحرين الاسلامية) في البحرين، (المجلس الأعلى للثورة الاسلامية) في العراق، (الفقه الجعفري) في باكستان، (حزب الله) في لبنان.

أرض الحرمين واليمن وعمان ، وتقف في خط المواجهة الصارمة مع مصر قلب العالم السني وأكبر وحداته البشرية والسياسية والحضارية»[١٦٤] .

ويعرب الكاتب في موضع آخر عن قلقه من تفاقم المقاومة الشيعية فيقول : «وأنا عندما أرى انتفاضة الشيعة الايرانيين وزحفهم البطيء ذا النفس الطويل إلى منطقة الخليج والبقاع المقدسة ، من حقي أن أضع هذه التحركات في اطارها التاريخي إلى أجواء انتفاضاتهم القديمة وسعيهم الدائب إلى اقامة امبراطورية فارسية شيعية تعيد مجد قورش وقمبيز ودارا على انقاض مجد سعد بن أبي وقاص والمقداد والمثنى بن حارثة صناديد الفتح الاسلامي لبلاد الفرس ، وعندئذ يحق لي ان أتخوف على مستقبل بلادي لأنني أعرف جيداً كم يحن الشيعة إلى استرداد مصر إلى حظيرة التشيع ، وأناعندما أرى طائفة (البهرة) تنفق عشرات الملايين من الدولارات على مقصورة الحسين والسيدة زينب وتجديد مسجد الحاكم بأمر الله يكون من حقي أن أشعر بالقلق لأنني أعرف أن البهرة لم ينفقوا هذه الملايين لله وليسوا من السذاجة أن ينفقوها لتجديد مسجد لا يصلون فيه»[١٦٥] .

ويربط الكاتب بين الثورة الاسلامية والثورات الشيعية السابقة محذراً المسلمين من هذا الخطر ، قائلاً : «وأينما نظرت في أي صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي فسوف تقف أمام عنوان ثابت اسمه (الانتفاضات الشيعية) تجد ذلك في حركة محمد ذي النفس الزكية بالمدينة المنورة عام ١٤٥ هجري وحركة اخوته الثلاثة ابراهيم بالبصرة ويحيى في بلاد الديلم وادريس الذي فر إلى المغرب ونجح في اقامة دولة الادارسة (١٧٢) وحركة الحسين بن علي بالمدينة (١٦٩) وحركة محمد بن ابراهيم والي السرايا بالكوفة (٢٠٢) وحركة ابراهيم بن موسى الكاظم باليمن (٢٠٠) وحركة عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله باليمن (٢٠٧) وحركة محمد بن القاسم بن عمرو بن علي بن زين العابدين في خراسان (٢١٩) حركات متوالية بصفة منتظمة»[١٦٦] .

---

(١٦٤) بدوي ، جمال ، الشيعة قادمون ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

(١٦٥) المصدر نفسه ، ص٢٥ .

(١٦٦) المصدر نفسه ، ص٩٩ .

وبعدها ينذر : «وأقول لكم في ختام هذا الحديث ما قلته في صدره : انتبهوا أيها المسلمون إلى ما يدبر لكم في الخفاء . ان التحركات الشيعية تسير وفق مخطط دقيق يهدف إلى اثارة الفوضى والقلاقل في منطقة الخليج والجزيرة على أمل ان تسقط في براثن الامام . . .»(١٦٧) .

**ب ـ اقبال بعض الشباب على المذهب الشيعي وايجاد نواة للدعوة الشيعية :**

أقبل الكثير من شباب السنة النشطين في افريقيا وأوروبا وبلدان جنوب شرق آسيا وفي البلدان العربية في شمال افريقيا بشكل خاص على المذهب الشيعي في السنوات الأخيرة وبعد انتصار الثورة الاسلامية الايرانية ، مما أثار قلقاً شديداً لدى الحكومات وأثار حفيظة الحركات والمنظمات السنية . ففي رأي هؤلاء ان هذه الظاهرة جاءت بفعل النشاط السري للحركات الايرانية . وإذا كنا لا ننكر دور بعض المؤسسات الدينية الخاصة وبعض الطلاب الشيعة الايرانيين المقيمين في هذه البلدان في خلق هذه الظاهرة ، فاننا نرى من غير العدل ان يحمّل هؤلاء الدور الأساس في هذا الأمر . فقد كان العامل الأهم في تحول هؤلاء الشباب إلى المذهب الشيعي هو تأثرهم بأفكار وجهاد عدد من الشخصيات الشيعية كالسيد محمد باقر الصدر والدكتور شريعتي(١٦٨) ومرتضى المطهري ، وانزعاجهم من مواقف حكوماتهم السنية والكيانات الدينية المؤيدة لهذه الحكومات ، واعجابهم بالنموذج الثوري الجديد الذي تجلى في الثورة الاسلامية الايرانية(١٦٩) ، وقد روج

(١٦٧) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

(١٦٨) تحظى كتب المرحوم شريعتي بشعبية واسعة في البلدان العربية وخصوصاً بلدان شمال افريقيا ، ويتم بيعها خلسة بمبالغ كبيرة . وتجدر الاشارة هنا إلى كتاب (العودة إلى الذات) الذي حقق الرقم القياسي في مبيعات معرض الكتاب الدولي في القاهرة .

(١٦٩) يقول الكاتب المصري المعروف فهمي هويدي : «أنا منشغل بسؤال هو : لماذا ينتقل بعض أهل السنة إلى التشيع؟ طموح الشباب إلى التغيير واحداث نظام حياة مختلف لا يجد أحياناً في الرموز المتاحة ما هو مقنع له تماماً . . . وقد ينبهر برموز عند الشيعة ، فالمشكلة التي أحاول أن ألفت النظر إليها رغم اقتناعي بجواز التعبد وفق المذهب الجعفري شرعاً هي أسباب تغيير المذهب . . . وظاهرة التشيع هذه ليست جديدة . ففي تونس هناك ظاهرة تشيع وسط الشباب ، وكذلك في الجزائر . إنما الفراغ الديني مشكلة ، المؤسسات الدينية مشكلة ، وغيبة الرموز المقنعة مشكلة ، والتعتيم ومصادرة العمل الاسلامي مشكلة ، ولا ننسى أهم عزاء أمام الشباب والمتمثل في ثورة ايران وقيام دولة اسلامية إلى آخر النقاط التي تشكل حلماً لدى الشباب» . الشراع ، ٥/ ٩/ ١٩٨٨ ، العدد ٣٣٧ .

لهذه الأمور بشكل أساس الشباب المثقف من شيعة العراق ودول الخليج الفارسي المقيمون في هذه البلدان كطلاب أو أساتذة . وغلب على الشباب المتشيعين حديثاً طابع التعصب الشديد للمذهب الجديد والمعارضة الشديدة للمذهب القديم(١٧٠) ، وكما أشرنا آنفاً كان هذا سبباً لاثارة حساسية شديدة في صفوف الحركات الاسلامية السنية وزعمائها .

وفي هذا المجال يتحدث زعيم حركة النهضة التونسية لسكرتير مجلة العالم الصادرة في لندن محذراً الايرانيين من مغبة نشر الفكر الشيعي في شمال افريقيا . وفي لقاء له مع طلاب جامعة طهران في الجزائر يشير إلى هذه المشكلة ويقول عاتباً بعد الثناء على الثورة الاسلامية الايرانية : «المشكلة ليس انتصار مذهب على مذهب والمهم ان تنتصر الأمة وتكبر الأمة ، ولذلك كنا عندما رأينا في بلادنا شمال افريقيا ، رأينا أن بعض الدعاة يأتون لنشر المذهب الجعفري ونحن نراه انه مذهب من المذاهب الاسلامية ، كنا نقول لهم انكم تقومون بجهد وتبذلون جهوداً كبيرة من أجل تحصيل شيء يسير . فالحقيقة انكم تبذلون جهوداً كبيرة لتخرجوا شخصاً من غرفة في داخل دار الاسلام وتدخلونه غرفة أخرى . والنتيجة صفر . فالأولى من هذا ان أدخل أناساً من الخارج في دار الاسلام . . .»

ويضيف قائلاً : «لاحظنا أناساً يأتون متحمسين للثورة الاسلامية في ايران ولكنهم يسيئون لهذه الثورة ، لأنهم يظنون انهم يقدمون للثورة خدمة عندما ينتشرون في المساجد والأرياف ويسبون أبا بكر وعمر وعائشة والصحابة ، وهم في الحقيقة في تقديري ـ سواء كانوا يقصدون عن سوء نية أو عن طيبة ـ كالذي يريد ان يخدمك ولكن يسيء إليك»(١٧١) .

---

(١٧٠) يختلف هؤلاء الأشخاص بعد تشيعهم اختلافاً شديداً مع أبناء مذهبهم السابق ، ويرفضون التعاون معهم ، بل يرفضون الأفكار الوحدوية أحياناً ، ويؤكدون على الأحاديث والروايات التي تخالف مذهبهم السابق ويستندون إليها دائماً . ويأتي نشاطهم الديني في هذا السياق . ومثال ذلك كتاب (ثم اهتديت) لمؤلفه محمد التيجاني وهو من الذين تشيعوا من أهل تونس .

(١٧١) راشد الغنوشي في لقاء مع طلاب من جامعة طهران في الجزائر بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٩٩١ .

وفي سبيل وقف هذه النشاطات والتخلص من عواقبها لجأت الحكومات إلى الاعلان بين آونة وأخرى عن كشف شبكات سرية شيعية . وذلك لاثارة عواطف السنة وتحريضهم ضد الشيعة ، وبالتالي ضد الجمهورية الاسلامية ، وتتكرر هذه الظاهرة باستمرار في مصر وتونس والمغرب والجزائر(١٧٢) .

### ج ـ الصراعات المؤقتة والمواجهات المختلفة بين بعض اتباع المذهبين السني والشيعي

على الرغم من ان أكثر هذه الصراعات و المواجهات لا تتصل بأسباب عقيدية ودينية ، إلا أنها شكلت وسيلة مناسبة استغلها الاعداء في زرع الخلافات المذهبية ، مما كان له انعكاسه السيء على العلاقات بين الحركة الايرانية والاخوان المسلمين . ولعل الحرب العراقية ـ الايرانية (التي سنشير إليها لاحقاً) والصدام الدموي بين السنة والشيعة في باكستان من أبرز النماذج على هذه المواجهات ، وكان آخرها المعارك الدموية بين حركة أمل والجماعات الفلسطينية الموالية لعرفات(١٧٣) التي صورت على أنها مجازر ارتكبها الشيعة بحق السنة ، وأولتها

---

(١٧٢) كتبت مجلة الشراع عن مزاعم النظام المصري بكشف شبكة شيعية مرتبطة بايران : «فمن الظلم أن نطلق على هذه المجموعات المعتقلة التي أعلنت السلطات المصرية عن كشفها اسم تنظيم ديني سياسي فهي مجموعة من الشباب متفرقة عايشت الحركات الاسلامية الموجودة في مصر وتشكل في فكرها توجهاً دينياً يتقارب مع الفقه الشيعي في موضوع أساسي وهو الاعتراض على الحاكم الظالم ، هذا الموضوع كان سبباً رئيسياً في عدم التزامهم بالحركات القائمة في مصر . لكنه لم يكن حافزاً لكي ينظموا أنفسهم فظلوا في اطار الجدل النظري والتعمق الفكري دون أي رابط سياسي أو تنظيمي يجمعهم حب الاطلاع على الفقه الشيعي والرغبة في التقريب بين المذاهب الاسلامية . . .
أهم ما يميزهم بعد الاطلاع على الفقه الشيعي استقلاليتهم وعدم ارتباطهم بايران رغم محاولتها المتعددة لاحتضانهم أو لدفع المغريات إليهم قد أسسوا دار النشر (البداية) لتكون مصدر رزق لهم ولنشر أفكارهم السليمة دون دافع تنظيمي أو سياسي» . مجلة الشراع ، ٤/ تموز/ ١٩٨٨ ، العدد ٣٢٨ ، ص١٢ .

(١٧٣) تتضح معالم المؤامرة بالاطلاع على بعض المؤلفات التي وضعت في هذا المجال ، فعلى سبيل المثال نقرأ في الصفحة ١٦ من كتاب (الشيعة قادمون) : «قد تحول الشيعة الذين كانوا يسمون أنفسهم «المستضعفين في الأرض» إلى جبارين في الأرض يركبون الدبابات والمصفحات ويذبحون الفلسطينيين ويحاصرونهم في المخيمات حتى أجبروهم على أكل الكلاب والقطط والفئران ، فلما فرغوا منها تحولوا إلى أكل لحوم البشر ، وفي الوقت نفسه تحول أهل السنة إلى اذلاء مستضعفين لأنهم آثروا العيش في سلام ورفضوا ان يحملوا سلاحاً أو يشكلوا ميليشيات كما فعل غيرهم» .

وسائل الاعلام الغربية اهتماماً كبيراً ، وبلغ الأمر بالتلفزيون الفرنسي ان بث مجزرة صبرا وشاتيلا متهماً الشيعة بارتكابها في سبيل إثارة عواطف السنة ، وتجاهل تماماً ادانة الجمهورية الاسلامية لهذه المجزرة وكل ما قامت به من جهود لوقف المجازر .

### د ـ الصراعات الداخلية في ايران

اكتسبت المواجهات الدموية بين أنصار الثورة الاسلامية ومعارضيها في المناطق السنية الايرانية ، مثل كردستان وآذربايجان الغربية وتركمنستان طابعاً مذهبياً بفعل وسائل الاعلام الغربية التي أظهرت هذه المواجهات على أنها ضغط تمارسه الحكومة الشيعية على (الأقلية السنية) المعارضة . وكان للفقر الثقافي والاقتصادي المستشري في المناطق السنية والدعم المادي والاعلامي من قبل الدول النفطية المجاورة دور كبير في توسيع نطاق هذه المواجهات .

### هـ ـ الهجوم الاعلامي الواسع للأنظمة العربية ضد الثورة الاسلامية

رأت الحكومات العربية نفسها في خطر حقيقي اثر انتصار الثورة الاسلامية وظهور تحركات الأصولية الاسلامية والاضطرابات الشعبية في الداخل ، فوظفت كل طاقاتها ووسائلها الاعلامية الحديثة في الهجوم على الثورة الاسلامية وعلى المذهب الشيعي لتحجيمهما ولاثارة عواطف المسلمين السنة ، مستعينة في ذلك بشكل أساس بأجهزتها الدينية ووعاظ السلاطين .

ونشطت مؤسسات مثل رابطة العالم الاسلامي وجامعة (أم القرى) في مكة المكرمة وجامعة (المدينة) المرتبطة بالنظام السعودي وجامعة الأزهر المرتبطة بالحكومة المصرية ، وهي مؤسسات تغذي مئات المؤسسات والجمعيات الصغيرة والكبيرة في سائر أنحاء العالم ، نشطت في تشويه صورة ايران والشيعة ، وفي إشعال فتيل الخلافات بين السنة والشيعة . ولم يتورع وعاظ السلاطين عن اصدار الفتاوى[١٧٤] التي تعتبر الشيعة مرتدين وكافرين أو مشركين ، وصدرت الكتب

---

(١٧٤) من هنا نلاحظ صدور فتاوى مضللة بين الفينة والأخرى سواء مما يسمى بـ (هيئة كبار العلماء) أو (اللجنة الدائمة للافتاء) أو (مراكز الافتاء والدعوة والارشاد) والقيام ببعض الممارسات الطائفية من خلال ما يسمى بـ (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وبث الدعايات =

التي تهدف إلى تفريق المسلمين ، وأعيد طبع الكتب القديمة التي تحمل الطابع نفسه . وفي هذا المجال يقول الكاتب المصري المعروف فهمي هويدي : «ان البعض ذهب بعيداً في الشقاق ففتح جبهة الصراع المذهبي وشن حرباً لا هوادة فيها ضد الشيعة الاثني عشرية وسحب المعركة ضد النظام إلى معركة ضد المواطنين وعقائدهم ، وكان من علامات تلك المعركة المفتعلة وغير المجدية ان وصل عدد

= والأكاذيب والأفكار المسمومة لتكريس مبدأ الطائفية واشعال الفتنة بين أبناء الشعب بجملة من الفتاوى موقعة باسم (الشيخ) عبد العزيز بن باز وبعضها باسم (الشيخ) عبد الله الجبرين وغيرهما .

ونورد الفتوى التالية كمثال على رمي الشيعة بالشرك :

حضرة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وأما بعد ، يوجد في مدينتنا شخص رافضي يشتغل قصاباً ، وأهل السنة يرجعون إليه في ذبح اضحياتهم وتتعامل بعض المطاعم معه ومع غيره من الروافض الذين يعملون في هذا العمل .

ما هو حكم التعامل مع هذا الرافضي وأمثاله؟

ما حكم الذبح ، وهل تحل الأضحية أم لا؟

افتونا مأجورين ، والله ولي التوفيق .

الجواب :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ،

أما بعد ، فلا يحل ذبح الرافضي ولا أكل أضحيته ، لأن أكثر الروافض مشركون ، فهم في الشدة والرخاء وحتى في عرفات والسعي والطواف يتوسلون بعلي بن أبي طالب وابنائه وبائمتهم ، وهذا هو الشرك الأكبر والارتداد عن الاسلام الذي يستحق القتل . انهم مرتدون لغلوهم في علي (رضي الله عنه) ولوصفهم اياه بصفات لا تليق إلا بالله ، وقد سمعناهم في عرفات يصفونه بالخالق والرب والمتصرف بالكون والعالم بالغيب وبيده ما يضر وينفع . وهؤلاء يطعنون في القرآن ويدعون انه حرّف وحذفت بعض أجزائه المتعلقة بأهل البيت واعدائهم على يد الصحابة ، ولذلك فهم لا يقتدون بهم ولا يسترشدون ، وكذلك فهم يسيئون إلى كبار الصحابة كالخلفاء الثلاثة والعشرة الآخرين وأمهات المؤمنين ومشاهير الصحابة كأنس وجابر وأبي هريرة وأمثالهم ، ويرفضون الأخذ بأحاديثهم باعتبارهم كافرين ، ويرفضون أحاديث الصحيحين إلا ما نقله أهل البيت . ويستندون إلى أحاديث ملفقة وغير موثوقة ، ولذلك فهم منافقون يعلنون ما لا يؤمنون به ويكتمون ما يؤمنون به ، ويزعمون ان من لا تقية له لا دين له ، وهكذا فان دعوتهم إلى الصداقة والاخوة والايمانية غير مقبولة . . . كفانا الله شرهم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

صحيفة العهد الاسبوعية ـ بيروت .

الكتب العربية التي تهاجم عقائد الشيعة وتطعن في ايمانهم إلى ١١٥ كتاباً»[١٧٥] .

وهكذا صدرت ملايين النسخ من الكتب المعادية لايران والشيعة ووزعت مجاناً على المسلمين في جميع أنحاء العالم . وكانت المحاور الأساسية لهذه الكتب هي المواضيع التالية[١٧٦] :

ـ اثارة الخلافات المذهبية التاريخية من جديد وتحريف التشيع والصاق مختلف التهم به واعتباره سبباً في ظهور جميع مآسي العالم الاسلامي السابقة . وفيما يلي بعض الأمور التي أثيرت في هذا السياق : دور الحركات الشيعية ونشاطها في مواجهة الحكمين الأموي والعباسي ، خلاف الصفويين والعثمانيين ودور الصفويين في انهيار الامبراطورية العثمانية ، علاقة الخواجة نصير الدين الطوسي بهولاكو ودوره في دحر المسلمين وتدمير البلاد الاسلامية ، مؤامرة جمال الدين الايراني الشيعي الذي زعم انه سني وافغاني لتضليل الشعب المصري والمسلمين في بلاد الشرق ودوره وتلميذه محمد عبده في ترويج الماسونية في مصر[١٧٧] .

ويخلص أصحاب هذه الكتب من خلال إثارتهم لهذه الأمور إلى أن القيادة الايرانية وظهور الامام الخميني إنما تأتي في السياق نفسه وان الثوار الايرانيين هم استمرار لهذا الخط المنحرف الذي يهدف للقضاء على الاسلام والمسلمين .

ـ العلاقة مع اسرائيل : إن بغض المسلمين الشديد لليهود يجعل من اتهام الخصم بالتعاون مع اسرائيل والصهاينة أفضل وسيلة اعلامية يمكن ان تستغل في هذا المجال . وحمل هذا الاتهام طابعاً سياسياً في خضم الحرب الايرانية ـ العراقية حين اتهمت ايران بشراء الأسلحة من اسرائيل ، ثم اكتسب بالتدريج طابعاً دينياً

---

(١٧٥) نشرت صحيفة تشرين السورية في ٢٨/ ٦/ ١٩٨٩ ، ص٣ مقالة لفهمي هويدي تحت عنوان (المصالح الاستراتيجية تجمع العرب وايران في كتلة واحدة) ، جاء فيها : « . . . بعض هذه الكتب تأتي من باكستان كما ان بعضها يتحدث بلغة البعث العراقي ، ويستخدم مصطلحاته وتقوم السفارة العراقية في مصر بمجهود كبير في الوقت الحاضر لنشر مثل تلك الكتابات ودعمها .
ـ الورداني ، صالح ، الحركة الاسلامية في مصر ، ص٢٠٢ .

(١٧٦) للاطلاع أكثر راجع بعض الكتب الواردة في الملحق الرقم ١ .

(١٧٧) أحمد الافغاني ، (سراب في ايران) ، ص٢٢ ، نقلاً عن (الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر) محمد محمد الحسيني .

حين وصف التشيع بانه ذو جذور يهودية فنقرأ : «أجمع الكتاب والمؤرخون العاملون في حقل الدراسات الاسلامية قديماً وحديثاً ان اليهود هم الذين خلقوا الفرق المنشقة عن الاسلام (ومنهم الشيعة) وبنوا لهم أدياناً أخرى غير دين الاسلام»(١٧٨) ، وأيضاً : «ان اليهود هم في الأصل مهندسو دين الشيعة الأمامية الاثني عشرية من طريق عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أرسى اللبنات الأولى لهذا الدين الباطل»(١٧٩) .

ويورد هؤلاء المتعصبون المتحجرون المرتبطون بالأنظمة الحاكمة عدة أدلة لاثبات مدعاهم ، وهو التشابه الموجود بين الشيعة واليهود ، «فالشيعة لا ينطقون بكلمة (آمين) بعد قراءة الحمد في الصلاة ، ويتميزون بالحسد ، وبعدائهم للمسلمين ويعطّلون في عاشوراء كما يفعل اليهود في يوم السبت ، ويفترون على الله ، ويؤخرون الافطار في شهر رمضان ، ويستحلون(١٨٠) أموال الخير» ، وما إلى ذلك .

ـ وكان السبيل الأقصر لتحقيق الهدف هو النيل من قيادة الثورة ، ومن ثم لم يتورع هؤلاء عن الصاق شتى أنواع التهم بقائد الثورة في سبيل اثارة عواطف السنة وخلق الحواجز بين القيادة الشيعية وملايين السنة المتأثرين بها . وتنوعت التهم الملصقة بالامام ، فمنهم من نظم صفحات في سب الخلفاء الراشدين ونسبها إلى الامام(١٨١) ، ومنهم من ادعى ان الامام الخميني «جعل نفسه أعظم من النبي الكريم ، وادخل اسمه في آذان الصلاة»(١٨٢) ، وقال آخرون : «ادخل الخميني اسمه في آذان الصلوات وقدم نفسه حتى على اسم النبي الكريم ، فآذان الصلوات في ايران بعد استلام الخميني للحكم وفي كل جوامعها كما يلي : الله أكبر الله أكبر خميني رهبر ثم اشهد ان محمداً رسول الله»(١٨٣) .

---

(١٧٨) الأفغاني ، المصدر نفسه ، ص٦٥ .

(١٧٩) وجيه المديني ، لماذا أفتى علماء المسلمين بكفر الخميني ، ط٢ ، الرياض ، دار الرشد ، ١٤٠٩ ، ص٦٢ .

(١٨٠) أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، الالحاد الخميني في أرض الحرمين ، القاهرة ، دار الحرمين ، ١٩٨٧ ، ص ١٦١ ـ ١٧٥ .

(١٨١) محمد ابراهيم شقره ، شهادة الخميني في أصحاب رسول الله ، ص ١٧ ـ ١٩ .

(١٨٢) موسى الموسوي ، ثورة الخميني الثورة البائسة ، ص١٤٧ .

(١٨٣) المديني ، المصدر السابق ، ص٧٢ .

ـ تأكيد المسائل العقيدية المزيفة واتهام الشيعة بها ، وعدم التورع عن اتهامهم بكل أنواع الافتراءات والاتهامات والأباطيل ، بل وصل الأمر إلى رميهم بالشرك والكفر وعبادة الأوثان . وفي هذا يقول أحد هؤلاء الكتاب : «فإن العالم الاسلامي اليوم يجابه أعظم فتنة وبلاء في التاريخ الحديث وذلك بقيام الثورة الايرانية الخمينية الشيعية ، هذه الثورة التي تستهدف عقيدة العالم الاسلامي وتحاول زرع عقيدة وثنية جاهلية مكانها ، وتستهدف تمزيق هذا العالم وتدميره ، حيث تولى اعداء الله هؤلاء اعداء المسلمين من كل اتجاه شيوعيين ويهود وباطنيين وزنادقة وملاحدة وعملوا معهم لضرب العالم الاسلامي وتفتيته»(١٨٤) .

ويقول كاتب آخر : «الشيعة الجعفرية جميعهم (ماضياً وحاضراً) ملتزمون بالعقائد الفاسدة التي في كتبهم ، وموقفنا منها (أهل السنة والجماعة) اننا نرفضها كلها ونرفض ان نسميها اسلاماً» وذلك لأنه «لا تؤمن الشيعة بالسنة من طريقنا (البخاري ومسلم وبقية الصحاح) وبالتالي ترفض القرآن بفهم أهل العلم والحديث منا إلا ما وافق مروياً عن طريقهم هم . ومعلوم لدينا ان تفصيل مسائل الصلاة والزكاة والحج والصوم والمعاملات موجود في السنة . فمن أنكره فقد أنكر القرآن وإن كان يؤمن بحرف النص»(١٨٥) . ويهاجم هذا الكاتب أنصار الثورة الاسلامية ودعاة الوحدة الاسلامية ، ويقول : «بما تبين من الأدلة على كفر الملتزمين بعقائدهم ، فإن من شك في كفر هؤلاء فهو كافر ومن صحح مذهبهم فهو كافر أيضاً»(١٨٦) .

ويؤكد في موضع آخر : «ان العلماء الذين يدعون للتشيع هم كمن يدعو للقاديانية والبهائية والماسونية وغيرها من الحركات المخربة . . .»(١٨٧) .

وكانت أكثر هذه الكتب تلتقي في اتهام الشيعة بأنهم يقولون بتحريف القرآن وبنزول الوحي على فاطمة وعدم انقطاع الوحي بعد وفاة الرسول ، وفي

(١٨٤) المديني ، المصدر السابق ، ص٣ .
(١٨٥) الافغاني ، سراب في ايران ، مصدر سابق .
(١٨٦) الأفغاني ، مصدر سابق ، ص٦٤ .
(١٨٧) المصدر نفسه ، ص٢ .

ذلك يقول أحدهم : «دعوى الخميني ان الوحي لم ينقطع بموت الرسول (ص) وزعمه ان جبريل أنزل قرآناً على فاطمة (رضي الله عنها)»[١٨٨]، ويقول في موضع آخر : «لفاطمة مصحف خاص يعدل القرآن ثلاث مرات وليس فيه من القرآن حرف واحد»[١٨٩] .

ومن الأمور الأخرى التي اتهم بها الشيعة : وجود سورة ذات سبع آيات باسم (الولاية) في القرآن الشيعي وأورد هؤلاء الكتاب متنها في كتبهم . واتهموهم أيضاً بإضافة نصوص إلى نهج البلاغة ، وكذلك اتهموا الامام الخميني بأنه يقول بأفضلية أئمة الشيعة على جميع الأنبياء والملائكة[١٩٠] .

والأمر المهم هنا ان جميع الفتاوى التي كان يصدرها قائد الثورة في سبيل اقرار الوحدة الاسلامية ، كان يعدها هؤلاء أسلوباً مخادعاً أو كما يسمى فقهياً بالتقية ، ومن ثم كانوا يقولون : «انه صاحب تقية كذاب يريد ان يخدع المسلمين ويجرهم إلى دينه . له تعصب مقيت لعقائد الشيعة اليهودية»[١٩١] .

ان هذا الهجوم الثقافي والاعلامي والسياسي الواسع استطاع في هذه الفترة القصيرة ان يشوه صورة الثورة الاسلامية وانعكس بدرجات مختلفة على كثير من المؤسسات الاسلامية السنية ، ومن ثم خلق الشك والتردد لدى الاخوان المسلمين في موقفهم من الثورة الاسلامية وأدى إلى اضعاف علاقتهم بها .

---

(١٨٨) المديني ، المصدر السابق ، ص٥ ، وكذلك فظائع الخمينية ـ مجموعة من الكتّاب ، ص٧٩ .
(١٨٩) أبي بكر الجزائري ، هذه نصيحتي إلى كل شيعي ، الرياض ، ١٤٠٨ ، ص٢٠ .
(١٩٠) المديني ، المصدر السابق ، ص٥ .
(١٩١) الأفغاني ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

## الفصل الرابع

# العلاقات بين الإخوان المسلمين والثورة الإسلامية الإيرانية

تتطلب أي دراسة للعلاقات بين الإخوان المسلمين والثورة الإسلامية الإيرانية ، إعادة النظر في علاقاتهما السابقة وبحث العوامل والأسباب التي أسهمت في إضعاف هذه العلاقات أو توثيقها .

ومن هنا يجب دراسة المراحل المختلفة التي مرت بها هذه العلاقات ، ونبدأ هذه المراحل بما قبل انتصار الثورة ، ثم نتتقل إلى تقويم العلاقات بعد انتصار الثورة الإسلامية .

## العلاقات بين الحركتين قبل انتصار الثورة

تعود العلاقات بين الحركتين إلى فترة تاريخية بعيدة نسبياً سبقت انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في عام ١٩٧٩ .

فبالإضافة إلى الالتقاء الفكري والتعاون والانسجام الموجود بين الحركتين إزاء قضايا العالم الإسلامي ، أثر النشاط الإصلاحي للسيد جمال الدين الأسد آبادي . كذلك فإن ظهور ثوار ومصلحين واقعيين ووحدويين ، مثل آية الله الكاشاني وآية الله القمي ونواب صفوي من جهة ، وحسن البنا وعمر التلمساني والشيخ شلتوت وغيرهم من جهة أخرى ، أسهم في زيادة التقارب بين الحركتين في الأربعينات والخمسينات . والمهم هنا أن العلاقة كانت قائمة بين الطرفين قبل ثورة ١٩٥٢ في مصر وبعدها ، ولم تتأثر بزعامة عبد الناصر وأصدائها في العالم العربي .

وقد تأثرت هذه العلاقة بعدة عوامل ، نذكر منها :

١ ـ الرؤية الوحدوية التي يحملها زعماء الحركتين تجاه المذاهب الإسلامية ، وابتعادهم عن التعصب الأعمى ، كانا من أهم مقومات هذه العلاقة . يتحدث عمر التلمساني عن أسباب هذه العلاقة ، وهو الذي يؤكد عراقتها فيقول : «إن جماعة الإخوان المسلمين لم تدخل يوماً في صراع مذهبي بأي شكل من الأشكال»[١] .

وفي المقابل يحمل (فدائيو الإسلام) النظرة نفسها . يقول عمر علي الضناوي في كتابه «كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث» نقلاً عن برنارد لويس : «وعلى الرغم من مذهبهم الشيعي فإنهم يحملون فكرة عن الوحدة الإسلامية تماثلُ إلى حد كبير فكرة الإخوان المصريين ، ولقد كانت بينهما اتصالات» وعندما يلخص الأستاذ الضناوي بعض مبادىء (فدائيو الإسلام) يجد فيها «أولاً ، الإسلام نظام شامل للحياة ؛ ثانياً ، لا طائفية بين المسلمين ، أي بين السنة والشيعة» ثم ينقل عن نواب قوله : «لنعمل متحدين للإسلام ولنترك كل ما عدا جهادنا في سبيل عز الإسلام . ألم يئن للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعة وسنة؟»[٢] .

٢ ـ دفع قمع الحركات الإسلامية والضغط عليها في مصر وإيران الحركتين إلى الارتباط وتوثيق العلاقة فيما بينهما للتخفيف من الاضرار التي تلحق بهما . وكان الشعور بضرورة ذلك يتجلى أكثر لدى الثوار الإيرانيين قبل ثورة الضباط الأحرار في مصر بسبب معاناتهم الشديدة من نظام الشاه . ثم ازدادت رغبة الإخوان في التقارب مع الحركة الإسلامية الإيرانية بعد ثورة ١٩٥٢ وقمع عبد الناصر لهم .

---

(١) لقاء مع عمر التلمساني ، مجلة (الدعوة المهاجرة) ، العدد ٧٣ ، السنة الثالثة والثلاثون ، شعبان ، ١٤٠٢ ، ص ١٣ .

(٢) عز الدين إبراهيم ، السنة والشيعة ضجة مفتعلة ، طهران ، مؤسسة الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٥ ، ص ١٦ ، ١٧ .

٣ ـ شهد العالم آنذاك أحداثاً وتطورات خطيرة استهدفت العالم الإسلامي والمسلمين جميعاً بغض النظر عن مذاهبهم وأهدافهم . وكان التقارب هو البارز في تلك الظروف بين الحركتين الثوريتين وتوجهات زعمائهما ، مما أسهم في تأكيد التعاون بينهما . يقول سالم البهنساوي في الصفحة ٥٧ من كتاب «السنة المفترى عليها» : «ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تؤدي إلى هذا التعاون» .

٤ ـ تأكد ضرورة التعاون بين الطرفين بعد ظهور القضية الفلسطينية ومؤامرة بريطانيا باستقدام يهود العالم إلى فلسطين ، وما نتج من ذلك من آثار مدمرة ، وكذلك بفعل الدور المهم الذي أدته الحركة الإسلامية الإيرانية ، وخصوصاً نواب صفوي وآية الله الكاشاني ، في تعبئة الرأي العام في إيران لمصلحة القضية الفلسطينية . ومن جانب آخر جاءت علاقة الشاه بالكيان الصهيوني واعترافه بإسرائيل عام ١٩٦٠ وقطع مصر لعلاقاتها الدبلوماسية مع إيران احتجاجاً على ذلك ، وإصدار مائة وخمسين عالماً من الأزهر بياناً دعوا فيه المسلمين لجهاد شاه إيران كأسباب لتشديد التقارب بين الشيعة والسنة في السنوات التالية « . . . خلق الاشتراك بين المعارضة في إيران والنضال القومي العربي الناصري ضد الشاه (جبهة متحدة) بين شيعة إيران والسنة العرب . وقد حظي علماء الدين الشيعة الإيرانيون المجاهدون باحترام كبير في المحافل العربية ـ السنية يندر أن يرى التاريخ له مثيلاً»[٣] .

٥ ـ وأخيراً يعتبر تأسيس مؤسسة (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) عنصراً مهماً من عناصر التقارب الفكري بين الجانبين ، وهو في الواقع أرض خصبة لتطوير العلاقات فيما بعد .

### دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

هيأ إنشاء هذه المؤسسة في مصر وإيران الأجواء المناسبة للتعاون بين السنة والشيعة خصوصاً مع ملاحظة التوجه الوحدوي الذي كان يحمله زعماء الطرفين . وقد جاء ظهور هذه المؤسسة بعد لقاء بين ممثلين عن المذاهب السنية

---

(٣) Middle East Journal, XIV, (Winter 1960), PP. 425 - 453.
راجع : حميد عنايت ، (أنديشه سياسي در إسلام معاصر) ، المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

الأربعة المعروفة وممثلين عن الطائفتين الشيعيتين الإمامية والزيدية ، وصدر عن هذا اللقاء البيان التالي : «لقد اتفقوا على أن المسلم هو من يعتقد بالله رباً ، وبمحمد نبياً ورسولاً لا نبي ولا رسول بعده ، وبالقرآن كتاباً ، وبالكعبة قبلة وبيتاً محجوباً ، وبالأركان الخمسة المعروفة ، وبالإيمان بالبعث وبالعمل بما هو ضروري في الدين . وكانت هذه الأركان التي ذكرنا ـ لا على سبيل الحصر ـ هي موضع اتفاق بين المجتمعين من ممثلي السنة بمذاهبهم الأربعة المعروفة وبين ممثلي الشيعة بمذهبيها الإمامية والزيدية»[٤] .

وإضافة إلى اشتراك شيخ الأزهر المفتي الكبير الإمام عبد المجيد سليم والإمام مصطفى عبد الرزاق والشيخ محمود شلتوت في اللقاء كان حسن البنا والشيخ حسن القمي عضوين بارزين فيه ، وكانت مشاركتهما مدخلاً للعلاقات المستقبلية بين الحركتين . يقول الباحث الإيراني المرحوم حميد عنايت في كتابه «أنديشه سياسي در إسلام معاصر» : «تحولت هذه المؤسسة سريعاً إلى محفل حر يجتمع فيه ـ حسب قول شلتوت ـ الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي إلى طاولة واحدة مع الشيعي الإمامي والزيدي ويتداولون فيما بينهم في القضايا الأدبية والعرفانية والفقهية بروح من الأخوة والمحبة» .

وفي هذا الشأن ، يقول عمر التلمساني : «في الأربعينات زار الإمام محمد تقي القمي ، وهو من أئمة المسلمين (دار المركز العام) للإخوان المسلمين ، ودارت بينه وبين الإمام الشهيد حسن البنا أحاديث طويلة لعدة مرات حول مبدأ التقريب بين المذاهب الإسلامية الستة»[٥] .

ويتحدث شخص آخر من علماء الإخوان المسلمين ، وهو سالم البهنساوي في الصفحة ٥٧ من كتابه «السنة المفترى عليها» فيقول :

«منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة ، وقد أدى

(٤) عبد الكريم الشيرازي ، الوحدة الإسلامية ، القاهرة ، دار الأزهر ، ص ٧ ـ ١٥ نقلاً عن مجلة (رسالة الإسلام) .
(٥) مجلة (الدعوة المهاجرة) ، لقاء مع عمر التلمساني ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة ١٩٥٤م للقاهرة» ثم يقول في الصفحة نفسها أيضاً : «ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تؤدي إلى هذا التعاون»(٦) .

ولا يخفى أن الإمام حسن البنا حين حج بيت الله الحرام عام ١٩٤٨ التقى المرجع الشيعي آية الله الكاشاني وتباحث معه في مختلف الأمور وكانت وجهات النظر متفقة بينهما . وفي كتاب «لماذا اغتيل حسن البنا» ينقل عبد المتعال الجبري ، وهو من الشخصيات البارزة في جماعة الإخوان وأحد تلامذة المرشد العام للجماعة ، عن روبير جاكسون قوله : «ولو طال عمر هذا الرجل (يقصد حسن البنا) لكان يمكن أن يتحقق الكثير لهذا البلد ، وخاصة لو اتفق حسن البنا وآية الله الكاشاني الزعيم الإيراني على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة والسنة ، وقد التقى الرجلان في الحجاز عام ١٩٤٨ ويبدو أنهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال» .

ويعلق الأستاذ الجبري قائلاً : «لقد صدق روبير ، وشم بحاسته السياسية جهد الإمام في التقريب بين المذاهب الإسلامية ، فما باله لو أدرك عن قرب دوره الضخم في هذا المجال . . مما لا يتسع لذكره المقام»(٧) .

ومن جانب آخر يتحدث المرشد السابق للإخوان المسلمين عمر التلمساني عن نشاط حسن البنا لتوحيد كلمة المسلمين ، فيقول : «بلغ إصرار حسن البنا على توحيد كلمة المسلمين حداً أنه كان ينوي إقامة مؤتمر يجتمع فيه ممثلو الفرق الإسلامية فلعل الله يهديهم إلى اتخاذ موقف يكفون به عن تكفير بعضهم بعضاً ، خصوصاً وأن قرآننا واحد وديننا واحد ونبينا (ص) واحد والهنا واحد . ومن هنا تأتي استضافة البنا للشيخ محمد القمي ، وهو من كبار العلماء الشيعة فترة غير قصيرة في المقر الأصلي لجماعة الإخوان المسلمين»(٨) .

وفي دراسته لابعاد الثورة الإسلامية يقول رئيس حركة (النهضة) التونسية راشد الغنوشي : «هناك دلائل كثيرة على تطور الثورة الإسلامية الإيرانية

(٦) إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٧) عبد المتعال الجبري ، لماذا اغتيل حسن البنا ، ط ١ ، القاهرة ، ص ٣٢ .

(٨) التلمساني ، الملهم الموهوب ، ص ٧٢ .

وانتصارها المشرق في التاريخ الحديث للحركة الإسلامية ، نذكر بالعلاقة الوثيقة التي كانت تربط بين الإمام الشهيد حسن البنا وبين الإمام الكاشاني الزعيم السابق للحركة الإسلامية في الأربعينات والخمسينات في إيران حيث وضعا برنامجاً للتعاون والتنسيق لقيام الدولة الإسلامية وتأييدها من الجميع في أي مكان تقوم فيه حسبما بلغني ممن أثق فيه ، فضلاً عن أن حركة «نواب صفوي» الفدائية في إيران كانت امتداداً لتفكير الإخوان»[٩] .

وبلغت مودة الإخوان المسلمين لبعض قادة الحركة الإسلامية الإيرانية ومنهم آية الله الكاشاني شأواً بعيداً ، حتى يقال إن بعض الإخوان في مصر «رشحوهم لزعامة الإخوان المسلمين»[١٠] .

وكان نواب صفوي قائد (فدائيان إسلام) من زعماء الحركة الإسلامية الإيرانية الذين ارتبطوا بعلاقات وثيقة مع الإخوان المسلمين في مصر وخطوا خطوات واسعة على صعيد توثيق العلاقات بين الحركتين . وفي هذا المضمار يقول عمر التلمساني : «منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي ، والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة ، وقد أدَّى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة ١٩٥٤ للقاهرة»[١١] . و«قابله عمر التلمساني في منزل الأستاذ سعيد رمضان المقيم الآن في جنيف ، وجلس معه ووجد فيه حمية إسلامية وغيرة على الإسلام»[١٢] .

وحول أهداف هذه الزيارة وأحداث تلك الحقبة يتحدث المفكر السوداني الدكتور حسن مكي في كتابه ، فيقول : «في ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٤م وصل نواب صفوي رئيس المنظمة إلى القاهرة للتنسيق مع (الإخوان المسلمين) والاستفادة من القاهرة وإمكانيات الإخوان في حركة مضادة للشاه ، ولكن ذات يوم وصول القاهرة تم حل جمعية (الإخوان المسلمين) من قبل مجلس الثورة

(٩) راشد الغنوشي ، مقالات حركة الاتجاه الإسلامي بتونس ، باريس ، دار الكروان ، ص ٨٣ .
(١٠) د . حسن مكي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(١١) إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، نقلاً عن سالم البهنساوي ، السنة المفترى عليها ، ص ٥٧ .
(١٢) لقاء عمر التلمساني مع هادي خسروشاهي ، مجلة العالم ، العدد ٩١ ، لندن ، نوفمبر ١٩٨٥ ، ص ٤٤ .

وفي مساء ذات اليوم كان صفوي المتحدث الرئيسي في لقاء جماهيري بجامعة القاهرة حيث أعلن مسؤوليته عن اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق (رزم آراء)»(١٣) .

وكتبت صحيفة (الجمهورية) المصرية عن هذا اللقاء تقول : «ووجدت (الحكومة) فرصتها في المؤتمر الذي عقده الإخوان المسلمون داخل أسوار القاهرة للاحتفال بذكرى (نواب صفوي) رئيس جمعية (فدائيان إسلام) الإيرانية في ١٢/ ١/ ١٩٥٤ حيث دفعت السلطة العسكرية بعناصر هيئة التحرير إلى اقتحام الجامعة وتخريب المؤتمر الإخواني ، ونشبت معركة شرسة بين الطرفين نتج عنها سقوط عشرات الجرحى ، وفي اليوم التالي أعلنت السلطة حل جماعة الإخوان المسلمين ومصادرة مقارها وأملاكها وأموالها واعتقال خمسمائة من قادتها وكوادرها ، وعلى رأسهم المرشد العام حسن الهضيبي تحت دعوى اعتداء الإخوان المسلمين على طلاب جامعة القاهرة المسالمين»(١٤) .

وفي كتاب «الإخوان المسلمون . . كبرى الحركات الإسلامية الحديثة» يشير الدكتور إسحاق موسى الحسيني إلى انضمام بعض الطلاب الإيرانيين المقيمين في مصر إلى جماعة الإخوان ، ويقول : «ومن المعروف أن صفوف الإخوان المسلمين في العراق كانت تضم الكثير من الشيعة . وعندما زار نواب صفوي سوريا ، وقابل الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين ، اشتكى له السباعي من أن بعض الشباب الشيعة ينضمون إلى الحركات العلمانية والقومية ، فصعد نواب أحد المنابر وقال أمام حشد من الشيعة والسنة : من أراد أن يكون جعفرياً حقيقياً فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين»(١٥) .

والجدير بالذكر هنا أن زعيم (فدائيان إسلام) نواب صفوي أدّى دوراً أساسياً في توثيق أواصر الأخوة والتعاون بين الحركتين يفوق دور أي شخص

---

(١٣) Oxford U.P Line, Richard p.m, Iresooiety of the moslem Brethersaow 195, p. 261.

(١٤) صحيفة الجمهورية ، القاهرة ، ١٥/ ١/ ١٩٥٤ .

(١٥) إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

آخر ، حتى ان راشد الغنوشي يعتقد أن «(حركة نواب صفوي) الفدائية في إيران كانت امتداداً لتفكير الإخوان»[١٦] .

من هنا كان نواب صفوي يتمتع بكثير من الحب في صفوف الإخوان الذين تأثروا كثيراً لشهادته . يشير الكاتب والمفكر المعروف في جماعة الإخوان الدكتور فتحي يكن في معرض حديثه عن زيارة نواب إلى القاهرة واستقبال الإخوان له بحرارة إلى إصدار الشاه حكم الإعدام بحقه ويقول : «كان لهذا الحكم الجائر صدى عنيف في البلاد الإسلامية ، فقد ثارت ثائرة المسلمين الذين يقدرون مواقفه الشجاعة وجهاده المرير ، وبادروا من سائر أنحاء العالم الإسلامي إلى إرسال آلاف البرقيات التي تستنكر حكم الإعدام بحق هذا المجاهد البطل ، لأن إعدامه وفقدانه كان خسارة كبرى في العصر الحديث» . وهكذا يصبح مسلم شيعي في رأي فتحي يكن كأحد شهداء الإخوان المسلمين ، وهو يعتبر أن «نواب» وصحبه باستشهادهم انضموا إلى قافلة شهداء الأمة الإسلامية ، وأن دماءهم الطاهرة أضحت مشعلاً ينير الدرب للأجيال القادمة لنيل حريتها واستقلالها . وهو ما حدث فيما بعد ، إذ لم يمض وقت طويل حتى اندلعت الثورة الإسلامية في إيران وأطاحت بالشاه وطغاته ، وتركته مشرداً بين بلدان العالم ، ليتحقق بذلك الوعد الإلهي : ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾[١٧] .

وبعد تنفيذ حكم الإعدام بحق نواب صفوي كتبت مجلة (المسلمون) الناطقة آنذاك باسم الإخوان المسلمين مقالة بعنوان (مع نواب صفوي) جاء فيها :

«والشهيد العزيز ـ نضّر الله ذكره ـ وثيق الصلة بـ (الإخوان المسلمون) وقد نزل ضيفاً ، في دارها في مصر في كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٥٤» . ثم تنقل المجلة : «رأى نواب في اعتقال الإخوان الذي يقول فيه «إنه حين يضطهد الطغاة رجال الإسلام في كل مكان يتسامى المسلمون فوق الخلافات المذهبية ، ويشاطرون إخوانهم المضطهدين آلامهم وأحزانهم ، ولا شك أننا بكفاحنا

(١٦) الغنوشي ، المصدر السابق .

(١٧) فتحي يكن ، الموسوعة الحركية ، بيروت ، ص ١٦٣ .

الإسلامي نستطيع إحباط خطط الأعداء التي ترمي إلى التفريق بين المسلمين . إنه لا ضير في وجود الفرق الإسلامية ، وليس في وسعنا إلغاؤها ، إنما الذي يجب أن نعمل على إيقافه ومنعه هو استغلال هذا الوضع لمصلحة المغرضين» . وفي نهاية المقال تنقل المجلة عن نواب قوله : «إننا متأكدون أننا سنقتل ، إن لم يكن اليوم فغداً ، ولكن دماءنا وتضحياتنا سوف تحيي الإسلام وتحفزه إلى النهوض ، إن الإسلام في حاجة إلى هذه الدماء والتضحيات اليوم ، ولن ينهض بدونها أبداً»[١٨] . ولم تكن هذه المواقف والأحاسيس المشتركة تقتصر على الإخوان وحدهم ، بل كان الإيرانيون يحملون مثل هذه الأحاسيس والمواقف تجاه حركة الإخوان .

فقد كانت (فدائيان إسلام) الجماعة الوحيدة بين جميع الجماعات الدينية والسياسية الشيعية المعاصرة في إيران التي ارتبطت مع نظيرتها السنية في العالم العربي بعلاقات تعليمية وعقيدية وحتى تنظيمية (كما قيل) . وخلال العقد الأخير ترجم الفدائيون أو أنصارهم إلى الفارسية الكثير من مؤلفات سيد قطب والسباعي . ونظراً إلى عرض هؤلاء المؤلفين آراءهم السنية المتشددة والتزام الفدائيين بالتشيع التزاماً مطلقاً ، فإن تجاوزهم لأي إحساس طائفي ، وهم أنشط الجماعات الشيعية المجاهدة في الوقت المعاصر ، لعمل جدير بالثناء»[١٩] .

وعلى العموم فقد كان فكر الإخوان ، وخصوصاً أفكار سيد قطب الثورية وتفاسيره كثيرة الرواج بين الشباب الإيرانيين الشيعة ، ووجدت صدى طيباً لها في أوساط المفكرين والثوار الإيرانيين ، ومن ثم ترجموا إلى الفارسية في السنوات التي سبقت الثورة الإسلامية الكثير من مؤلفات سيد قطب ومحمد الغزالي ومصطفى السباعي . وكان زعيم الثورة الإسلامية الإيرانية الحالي آية الله الخامنئي قد ترجم بنفسه قبل الثورة الإسلامية عدداً من مؤلفات سيد قطب .

وحول هذا الموضوع يقول المهندس بازركان : «لقد راج أدب سيد قطب وكذلك كتاب هيكل «حياة محمد» . وكان طالقاني متعاطفاً مع الإخوان ،

---

(١٨) مجلة المسلمون ، العدد ١ ، المجلد الخامس ، القاهرة ، نيسان ١٩٥٦ ، ص ٧٣ ـ ٧٦ .
(١٩) عنايت ، المصدر السابق ، ص ٧٠ و١٧١ .

وبالطبع فقد أدّت هذه الكتابات إلى زيادة جو الأمل والرغبة وتحريك بعض الكتاب الإيرانيين»[٢٠] .

## الإخوان المسلمون وانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية

بعد أن ألقينا نظرة على العلاقة بين الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية الإيرانية قبل الثورة ودرسنا الأسباب والعوامل التي أسهمت في توطيد هذه العلاقة ، نحاول فيما يلي أن ندرس هذه العلاقة في بداية اندلاع الثورة الإسلامية وبعد انتصارها .

حيث حظيت بعض القضايا بتأييد الإخوان المسلمين ودعمهم ، ومنها إعلان إسلامية الثورة والقضاء على الشاه ومحاربة الفساد والفسق والفجور وتأكيد الوحدة الإسلامية والأخوة بين المسلمين ودعم الثورة لفلسطين وللمسلمين عموماً ، وأخيراً مواجهة الثورة لكل الحركات غير الإسلامية سواء القومية منها أو الشيوعية . ولكن من جانب آخر حدثت قضايا أخرى على امتداد اثنتي عشرة سنة بعد انتصار الثورة ، لم تحظ برضى الإخوان ، بل كثيراً ما واجهوها بالمواقف الرافضة وذلك حسب أهميتها وحجمها . ومن هذه القضايا المواجهات الدموية بين أصحاب الثورة وأعدائها و الأحكام التي أصدرتها المحاكم الثورية وتأكيد الدستور كون رئيس الجمهورية الإيرانية شيعياً وإيرانياً وتحديد نظام ولاية الفقيه كأسلوب للحكم في إيران وحاكمية فئة رجال الدين وما يروجه الإعلام المعادي في شأن أوضاع أهل السنة في إيران ، والأهم من ذلك كله توثيق العلاقة مع النظام في سوريا وإطالة الحرب العراقية ـ الإيرانية . إن هذه القضايا جميعاً لم يستطع الإخوان المسلمون هضمها وتقبلها ، ومن ثم انعكست سلباً على علاقاتهم بالجمهورية الإسلامية وأدت في نهاية المطاف إلى ضعف هذه العلاقات وتأزمها .

من هنا ينبغي أن ندرس المراحل المختلفة التي مرت بها هذه العلاقات ، ونرى من الضروري هنا أن نشير أولاً إلى الملاحظات التالية :

---

(٢٠) مكي ، حركة البعث الإسلامي ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

ويعتقد بازركان بأنه لم يكن لهذه الكتابات أي دور في إشعال الثورة وخلق روح الثورة وإن كانت هناك ترجمات لكثير من الكتاب الإسلاميين في باكستان ومصر وبعض الأردنيين .

١ ـ يقوم الموقف السياسي للإخوان على عدم مواجهة إيران وعلى اعتبار من يواجهها خارجاً عن إرادة الإخوان . ويعود الدور الأساسي في اتخاذ هذا الموقف للتونسيين وممثلي الإخوان في لبنان ، وأبرزهم إبراهيم المصري والدكتور فتحي يكن وراشد الغنوشي . ومن هنا لم يحدث أن اتخذت إحدى الشخصيات البارزة في الإخوان أو إحدى مؤسساتهم الرسمية موقفاً رسمياً وصريحاً معادياً للثورة الإسلامية ، وحتى في الحالات النادرة التي يقف فيها أشخاص على مستوى أدنى مثل هذا الموقف ، فإن مسؤولي الإخوان يبادرون إلى اعتباره موقفاً شخصياً ليس إلاَّ .

٢ ـ لم تحصل ظروف مناسبة لتوثيق العلاقات بين الجانبين ولإقامة الاتصالات بينهما بسبب وقوع الحوادث المتسارعة والمتلاحقة ، ولم يجد الإخوان فرصة مناسبة لتقويم الثورة وتحليلها بسبب مشاكلهم في مصر ، وصراعهم مع النظام ، واغتيال السادات ، وظهور الانشقاقات المتتالية في صفوفهم بسبب مواقفهم المحافظة ، وظهور الخلافات بين الأجنحة المختلفة التي تشكل التنظيم الدولي للإخوان ، ثم اندلاع الحرب العراقية ـ الإيرانية وقطع الكثير من الدول العربية لعلاقاتها السياسية مع إيران ، وما أعقب ذلك من فرض حصار إعلامي وسياسي شامل على إيران ، وأخيراً اندلاع حرب الخليج الثانية ، أضف إلى ذلك ما ساد في إيران في السنوات العشر الأولى من عمر ثورتها من تعدد في مراكز القرار وعدم امتلاك قادتها للتجربة الكافية وكثرة الشائعات والدعايات التي تبثها المحافل الاستعمارية والتي أشرنا إليها سابقاً .

وفي سياق تأكيده على هذا الأمر ، يقول عمر التلمساني : «في مثل هذه الظروف كان المفروض أن تعقد بعض حلقات الحوار ، إلاَّ أنها لم تعقد» . ويضيف قائلاً : «لو أن الأمور تركت تسير كما كانت تسير أيام الإمام الشهيد (البنا) لسرنا خطوات بعيدة في مسألة التقريب . ولكننا لا نكاد نستفيق من محنة حتى نقع في محنة أخرى»[٢١] .

٣ ـ لما كانت جماعة الإخوان تتشكل من تيارات مختلفة ، فمن الطبيعي أن

---

(٢١) مجلة العالم ، لقاء عمر التلمساني مع هادي خسروشاهي ، العدد ٩١ ، لندن .

ينعكس ذلك على العلاقة مع الثورة الإسلامية ، فكانت متأثرة بموقف كل تيار من هذه التيارات حسب أوضاعه السياسية والاجتماعية وتوجهه الديني . فعلى سبيل المثال تختلف العلاقة مع بلدان شمال إفريقيا عنها مع بلدان الخليج ، إذ لا وجود لها مع الأخيرة ، ذلك أن قرب المذهبين المالكي والشافعي من المذهب الشيعي ، والابتعاد عن الخلافات المذهبية ، وقيام دول شيعية مثل الدولة الفاطمية ، وعدم نفوذ الوهابية وعشرات الأسباب الأخرى جعلت بلدان شمال أفريقيا تختلف بطبيعتها عن البلدان العربية المطلة على الخليج الفارسي ، وتختلف بعلاقتها مع الثورة الإسلامية تبعاً لذلك .

٤ ـ كان لكل من الجماعات التي انشقت عن الإخوان المسلمين في البلدان الإسلامية الأخرى لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، موقفها الخاص من الثورة الإسلامية ، ومن هذه الجماعات الجهاد الإسلامي والقطبيون (أنصار سيد قطب) والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة وغيرها . وإضافة إلى ذلك فإن موقف الإخوان لم يكن واحداً على كل المستويات ، بل كان هناك اختلاف واضح في هذه المواقف بين الكوادر والأعضاء العاديين والأنصار .

وبعد هذه الملاحظات ننتقل إلى دراسة العلاقات بعد انتصار الثورة الإسلامية ، ولا ضير أن نلقي قبل ذلك نظرة على المواقف الأولى للتنظيم الدولي للإخوان .

«فور حدوث الثورة بادرت أمانة سر التنظيم الدولي للإخوان المسلمين إلى الاتصال بالمسؤولين الإيرانيين بغية تشكيل وفد من الإخوان لزيارة إيران والتهنئة بالثورة وتدارس سبل التعاون . وفعلاً عينت إيران ضابطاً للاتصال بالتنظيم الدولي للإخوان في لوجانو ـ سويسرا بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٧٩ لدراسة القرارات في شأن العلاقة بإيران ، واتخذت بعض القرارات السريعة ، منها :

أ ـ تشكيل وفد من الإخوان لزيارة إيران وتقديم التهاني بمناسبة نجاح الثورة الإيرانية والإطاحة بالشاه ، وقد تشكل الوفد من :

١ ـ عبد الرحمن خليفة زعيم الإخوان المسلمين في الأردن .

٢ ـ المرحوم جابر رزق ممثلاً عن الإخوان المسلمين في مصر .

٣ ـ المرحوم سعيد حوى ممثلاً عن الإخوان في سوريا .

٤ ـ غالب همّت من الإخوان في سوريا .

٥ ـ عبد الله سليمان العقيل ممثلاً عن الإخوان في السعودية .

وفعلاً تمت الزيارة في الشهر السادس ١٩٧٩ ، ونشرت أخبارها في الصحف الإيرانية الناطقة بالعربية ومعها صور لأعضاء الوفد ، وهم يزورون القيادة الإيرانية .

ب ـ إصدار كتيب عن الثورة الإيرانية لإبراز الإيجابيات الصادرة عن الثورة وقيادتها من أقوال ومواقف .

ج ـ بناء صلات تنظيمية مع حركة الطلبة المسلمين في إيران عن طريق الاتحاد العالمي للطلبة المسلمين وتنشيط عملية الترجمة من وإلى الفارسية ، خاصة فيما يتعلق بكتابات الإخوان .

د ـ تزويد إيران بالفاعليات الإعلامية للاستعانة بها في المؤسسات الإعلامية للثورة في إيران»[٢٢] .

و«رغم هذا التهافت السريع تجاه إيران لم تبد القيادة في إيران حماساً كثيراً له رغم أنها استحسنته وقبلته ورحبت به»[٢٣] .

وفي هذا السياق يدعو أحد البيانات الصادرة عن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين الإمام الخميني بـ(فخر الإسلام والمسلمين)[٢٤] .

ولكن كما ذكرنا آنفاً لم تكن مواقف جماعات الإخوان في البلدان الإسلامية على وتيرة واحدة لأسباب وعوامل كثيرة .

---

(٢٢) النفيسي ، الإخوان المسلمون في مصر ، التجربة والخطأ ، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية ، ص ٢٤٨ و٢٤٩ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) عز الدين إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

في الوقت الذي نرى الموقف العدائي الذي وقفه النظام الحاكم في مصر من الثورة الإسلامية بعد انتصارها ، نجد الإخوان المسلمين في هذا البلد واضحين في تأييدهم للثورة الإسلامية ولقيادة الإمام الخميني . وحول هذا الأمر يقول كاتب مصري : «بدأت القيادة السياسية في الهجوم على الثورة في كل مناسبة وفي كل خطبة وتصفها بالدموية وبالكفر وبالعداء للعرب وبالأطماع الشخصية والإقليمية وبالإرهاب والتسلط ، في حين كانت الجماعة الإسلامية قد فرحت بالثورة في البداية»(٢٥) .

«وكانت جماعة الإخوان قد شكلت وفداً سافر إلى إيران بعد نجاح الثورة وذلك لتهنئة قادتها وإعلان تأييدها ووقوفها بجوار الثورة»(٢٦) .

كما وقفت مجلات (الدعوة) و(الاعتصام) و(المختار الإسلامي) إلى جانب الثورة مؤكدة إسلاميتها ومؤيدة لها ولزعيمها ، ونشرت صور الخميني على غلاف (الدعوة) والشاه يتساقط ويتشبث بالعلم الأميركي ، كما نشرت (الاعتصام) صورة الخميني على صفحة الغلاف(٢٧) .

«وفي عدد (صفر ١٤٠١ ـ كانون الثاني/ يناير ١٩٨١) كتبت (الاعتصام) على غلافها : «الثورة التي أعادت الحسابات وغيرت الموازين» وفي الصفحة ٣٩ تساءلت المجلة «لماذا تعتبر الثورة الإيرانية أعظم ثورة في العصر الحديث؟» . وفي نهاية المقال الذي كتب بمناسبة الذكرى الثانية للانتصار الإيراني وبعد أن تكلم الكاتب عن قوة الجيش الأمبراطوري ووسائله القمعية قال : «ومع ذلك انتصرت الثورة الإيرانية بعد أن سقط آلاف الشهداء . . . وكانت بذلك أعظم ثورة في التاريخ الحديث بفاعليتها ونتائجها الإيجابية وآثارها التي أعادت الحسابات وغيرت الموازين»(٢٨) .

(٢٥) حنفي حسن ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٢٦) الورداني صالح ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .
(٢٧) حنفي حسن ، المصدر السابق ، الحركة الإسلامية في مصر ، ص ٨٦ .
(٢٨) إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

«ووزعت الجماعة عدة منشورات تأييداً للثورة الإسلامية في إيران ، فقد أعطتها الثورة إحساساً بأن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى ، وأن الشاه والاستعمار وكل أجهزة القمع لا تستطيع أن تقف أمام الإسلام ، عقيدة وقيادة ، وأقام الإخوان نصباً تذكارياً للشهداء ، ووقفوا ضد استقبال الشاه المخلوع في مصر بعد أن أصبح طريداً في العالم كله ، وضد إقامة أسرته في مصر في قصر رسمي من قصور الدولة ودفنه في مصر»(٢٩) . «ولأول مرة تظهر صور الخميني في شوارع القاهرة ، ولأول مرة أيضاً تخرج المظاهرات تشجب وتستنكر زيارة الشاه حاكم إيران السابق لمصر وتعلن تأييدها للثورة الإيرانية»(٣٠) .

وبشكل عام «تعتبر جماعة الإخوان التيار الإسلامي الوحيد في مصر الذي يتبنى رؤية معتدلة تجاه الشيعة كمذهب في الوقت الذي يؤيد الثورة الإيرانية ويناصرها»(٣١) .

ولا شك أن الزعماء البارزين في الإخوان بشكل عام ، وفي المصريين بشكل خاص ، يحظون بنفوذ واسع في أوساط فروع جماعة الإخوان في مختلف البلدان . وعلى الرغم من كل الضغوط والدعايات والشائعات المغرضة والمكائد وسياسات الترغيب ، فإن الإخوان المسلمين في مصر لم يتخذوا موقفاً صريحاً معادياً للثورة وللقيادة ، بل إن بعض قياداتهم لم تقع في الانفعال ولم تفقد تماسكها حتى في ذروة اعتراضها على بعض أعمال وتصرفات رجال الثورة في إيران .

وفي لقاء مع سفير إيران السابق في الفاتيكان حجة الإسلام خسروشاهي يكذّب فقيد الإخوان المسلمين عمر التلمساني ما نسب إليه في مجلة المصور الرسمية الصادرة في القاهرة ، ويقول : «الإذاعات العالمية تسيطر عليها القوى الصهيونية وتوجهها توجيهاً لا نبتغيه . وهذه الإذاعات تصور إيران صورة غير طيبة . ولو انسقت وراء هذه الإذاعات وحكمت بما تقوله ، أكون قد حكمت

(٢٩) حنفي ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٣٠) الورداني ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
(٣١) المصدر نفسه .

حكماً غير شرعي ، لأن الرسول (ص) لما أراد إنسان أن يشهد ، أخذ بيده إلى خارج الجامع وأشار إلى الشمس ، وقال على مثل هذا فاشهد ، فأنا حتى لا أقول إن سؤالك غير مستوفي الأركان خذني إلى إيران لفترة شهر مثلاً ، ثم اسألني رأيي في إيران ، هل توجد مذابح أم لا؟ إنما أن أجيب بأن إيران فيها مذابح حسب ادعاء الإذاعات العالمية فهذه شهادة باطلة»[٣٢] .

وفي معرض رده على سؤال حول دعوى اتخاذ الإخوان المسلمين مواقف سلبية تجاه الثورة الإسلامية ، يقول مرشد الإخوان المسلمين : «إننا لم نهاجم الثورة الإسلامية في يوم من الأيام ، أما تقييمنا لها فلا نتمكن منه إلاّ إذا عشنا في داخل إيران نفسها . أما ما تدعيه وكالات الأنباء العالمية ، فلا يجوز لمنصف يتطلب الحقيقة أن يجعل ذلك مصدراً للحكم أو التقييم ، وإلاّ كان افتئاتاً على الحقيقة والواقع . وما سمعت أن أخاً هاجم إيران وأنا لا أبني حكمي على الأنباء العالمية ، لأنني أعلم أنها كلها مشوشة»[٣٣] . ثم يرد على اتهام السادات القائل بأن «الجماعات الإسلامية تريد تقليد الخميني ومنع المرأة من التعليم وتحريم الراديو والتلفزيون»[٣٤] فيقول : «ويدهشني ما يعتري السادات من حرارة تفوق الـ٥٠٪ إذا ما جاء ذكر الخميني أمامه أو على لسانه !! فعلاً مصدر «عكننه لسيادته بصورة مفزعة !! إن الجماعات الإسلامية لا تقلد الخميني في شيء خاصة أن الإخوان المسلمين متبوعون وليسوا تابعين . إنهم لا ينقصهم المنهاج ولا الأسلوب ولا الوسيلة فكلها مشروحة في رسائل الإمام الشهيد حسن البنا شرحاً وافياً . والإخوان المسلمون عندما رحبوا بالثورة الإيرانية رحبوا بها لأن قادتها أعلنوا أنها ثورة إسلامية قامت لتطبيق شرع الله ، والإخوان يرحبون بكل ما يدعو إلى تطبيق شرع الله ، هذا إلى جانب المعنى الإنساني في تلك الثورة ، فالشعب الإيراني كان

---

(٣٢) مجلة العالم ، عدد ٩١ ، لندن ، ص ٤٥ .

(٣٣) مجلة الطليعة الإسلامية ، العدد ١٨ ، لندن ، ص ٣٥ .

(٣٤) تعرضت جماعة الإخوان عدة مرات لحملات المسؤولين المصريين ، الذين وصفوا أعضاءها بالعملاء لإيران . فقد وصف زكي بدر وزير الداخلية المصري الإخوان بعد قمعهم بأنهم «تنظيم غير شرعي هدفه التخريب وتنظيم يتصل بالخميني وبإيران ويمول منها» ، السفير ٩/ ٦/ ١٩٨٩ ، بيروت .

مقهوراً تحت ظلم حاكم عات لا يرعى حرمات الله ، فلما هيأ الله للشعب الإيراني أن يتخلص من ذلك الحكم الشيطاني فرح بذلك كل منصف حر رحيم لا الإخوان المسلمون وحدهم ، فليس في الأمر تقليد يا سيادة الرئيس ، ولكنه إسلام وعدل وإنصاف»(٣٥) .

وفي كتابه المعروف «أيام مع السادات» ينتقد التلمساني السادات انتقاداً شديداً لاستقباله شاه إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية ، ويعتبر عمله هذا مخالفاً لرغبة الشعب ، ثم يدعوه لإجراء استفتاء عام في هذا الأمر .

ويعرب التلمساني عن أمله في رؤية إيران ، ويقول في جوابه عن السؤال التالي : «لماذا لا تسافرون إلى إيران؟» «إن هذه أمنيتي وكنت منذ سنة قد حصلت على تأشيرة سفر لدخول إيران مع الحاجة زينب الغزالي ، وقد منعنا من السفر في ذلك الوقت»(٣٦) .

وفي نهاية لقائه يمتدح زعماء الثورة ، ويخاطب خسرو شاهي قائلاً : «يشرفني أن ترفع تحياتي إلى الإمام الخميني وإلى سماحة الأستاذ الشيخ المنتظري والأستاذ الرفسنجاني والأستاذ الخامنئي ، وأنا قرأت كثيراً عن كل هؤلاء فأرجو أن تحملوا إليهم تحياتي ودعائي لهم ، وربنا يوفقهم جميعاً ويوقظ العالم الإسلامي مما فيه»(٣٧) .

وإضافة إلى مصر التي تعتبر القاعدة الأساسية لجماعة الإخوان المسلمين ، نجد الحركات الإسلامية الأخرى في مختلف البلدان العربية تقترب من الإخوان المسلمين في مواقفهم .

### السودان

كان لانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية تأثير كبير في الحركة الإسلامية المتنامية في السودان أسهم في توثيق العلاقة بين الحركتين . وحول هذا الأمر يتحدث الكاتب السوداني المعروف والأستاذ في جامعة الخرطوم الدكتور حسن

---

(٣٥) التلمساني عمر ، أيام مع السادات ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٣٦) مجلة العالم ، العدد ٩١ ، ص ٤٥ ، مصدر سابق .
(٣٧) المصدر نفسه .

مكي ، فيقول : «ساهم تصاعد الموقف الإسلامي في إيران بقيادة الإمام الخميني في رفع معنويات الإسلاميين على امتداد السودان ، وسعت قيادة الحركة السودانية لمقابلة الإمام الخميني في مقره في منفاه بباريس ، وتابع الإسلاميون أخبار الثورة ، وانطلقت تظاهرة طلابية ضخمة حشد لها الإخوان على مختلف أوضاعهم ، ورفعت التظاهرة مذكرة إلى السفارة الأميركية للرئيس الأميركي جيمي كارتر مطالبة أميركا برفع يدها عن طهران . . وفي اليوم التالي انسحب الرئيس بختيار من مقعد الرئاسة ، ومثل يوم الحادي عشر من شباط/ فبراير ١٩٧٩ يوم الفرح الأكبر لإخوان السودان الذين تابعوا بشغف وصول الإمام الخميني إلى طهران ، وعقد الإخوان آمالاً عظاماً على ثورة إيران ، وتصور بعضهم إمكانية قيام ثورة إسلامية سودانية على نسقها ، كما منَّى آخرون أنفسهم بتحالف استراتيجي بين الحركة الإسلامية الإيرانية والحركة الإسلامية السودانية ، مصوبين أنظارهم إلى وزير خارجية إيران حينها السيد إبراهيم يزدي الذي عرفه السودانيون حيث عمل معهم في مختلف تنظيمات العمل الإسلامي في أميركا ، وكان ذلك جزئياً لحاجة العمل الإسلامي في السودان إلى الظهير الخارجي»[٣٨] .

ويشير الكاتب في موضع آخر إلى أن جناح الإخوان المسلمين في السودان كان سباقاً في تأييد الثورة الإسلامية الإيرانية ، ويقول : «لقد سبقت الحركة الإسلامية السودانية (الإخوان المسلمون) إلى تأييد الثورة الإسلامية منذ حلول آية الله الخميني في باريس حيث تتالت المساندة الإسلامية السودانية في (نوفل لوشاتو) وانتهاء بطهران وقم . كما أن الاتحادات الطلابية التي سيطر عليها الإسلاميون أبدت دعمها ومباركتها للثورة وسيرت التظاهرات ورفعت المذكرات»[٣٩] .

«واستطاعت المراكز الإسلامية السودانية أن تخلق موجة تعاطف عامة وسط الشعب السوداني للثورة الإسلامية الإيرانية ، كما أصبح الخميني مثلاً أعلى

---

(٣٨) حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص ٨٤ .

(٣٩) انظر بيان الطلاب وبرقية تهنئتهم للإمام الخميني في الملحق .

للشباب السوداني المسلم ، هذه المساندة دعت المجلس القومي السوداني ووزارة الخارجية السودانية لإصدار بيانات مساندة ودعم للثورة الإسلامية الإيرانية»[٤٠] .

«وبعد انتصار الثورة وقيام الجمهورية الإسلامية سجلت الحركة الإسلامية حضوراً دائماً في الساحة الإيرانية وزارت قيادات الحركة إيران أكثر من مرة ودشنت في السودان جمعية الصداقة مع الثورة الإيرانية ، وعلى الرغم من أن ذلك بدا لعدد من الحركات الإسلامية العربية مسيئاً إلى علاقات الحركة السودانية بأخواتها في العالم العربي ، على الأخص في السعودية والكويت»[٤١] .

## تونس

في تونس وقفت الحركة الإسلامية موقفاً حازماً مع الثورة ، وكانت مجلة الحركة (المعرفة) تقف بجانب الثورة . . تباركها وتدعو المسلمين جميعاً لمناصرتها ، ووصل الأمر أن كتب زعيم الحركة هناك راشد الغنوشي في المجلة نفسها مرشحاً الإمام الخميني لإمامة المسلمين ، مما أدَّى إلى إغلاق المجلة بعد ذلك واعتقال زعماء الحركة على يد حكومة بورقيبة وصدور أحكام بالسجن والإعدام .

ويعتقد الغنوشي أن الاتجاه الإسلامي الحديث «تبلور وأخذ شكلاً واضحاً على يد الإمام البنا والمودودي وقطب والخميني ممثلي أهم الاتجاهات الإسلامية في الحركة الإسلامية المعاصرة ، ويعتبر أنه بنجاح الثورة الإسلامية في إيران يبدأ الإسلام دورة عضوية جديدة»[٤٢] .

ويقول في كتاب تحت عنوان (الحركة الإسلامية والتحديث) : «ولكن الذي عنينا من بين ذلك الاتجاه الذي ينطلق من مفهوم الإسلام الشامل مستهدفاً إقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية على أساس ذلك التصور الشامل . وهذا المفهوم ينطبق على ثلاثة اتجاهات كبرى : الإخوان المسلمين ـ الجماعة الإسلامية بباكستان

(٤٠) حسن مكي ، حركة البعث الإسلامي ، ص ١٧٠ .
(٤١) حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين ، ص ٨٤ .
(٤٢) الغنوشي والترابي ، حسن ، الحركة الإسلامية والتحديث ، ص ١٦ .

وحركة الإمام الخميني في إيران»[٤٣] .

وفي موضع آخر يقول : «لقد بدأت في إيران عملية لعلها من أهم ما يمكن أن يطرأ في مسيرة حركات التحرر في المنطقة كلها ، وهي تحرر الإسلام من هيمنة السلطات العاملة على استخدامه في وجه المد الثوري في المنطقة»[٤٤] .

وتحت عنوان (الثورة الإيرانية ثورة إسلامية) ، كتب في مجلة (المعرفة) : «إن الحركة الإسلامية في إيران ، وإن كانت قاعدتها شيعية ، فإنها تصب في التيار العالمي للبعث الإسلامي ، مستهدفة إيقاظ الأمة الإسلامية بكاملها ووضعها في القيادة الحضارية للعالم»[٤٥] .

ويضيف قائلاً : «وحين تنتصر الحركة الإسلامية في إيران فإنها تسجل بادرة عظيمة من الصراع المحتد اليوم في العالم بين قوى الطاغوت وقوى التحرر ، وبين الأنظمة الجبارة وبين الشعوب المحرومة المستضعفة ، ولذلك فسوف تكون نموذجاً يهتدي به كل الأحرار في العالمين الإسلامي والنامي ، وتصبح إيران قلعة للحرية ومركز الإشعاع الرسالي في العالم» «إن ثورة إيران هي ثورة الإسلام ضد الاستبداد والقهر والتبعية والاستغلال إنها ثورة المستضعفين ضد الطغيان السياسي والاستغلال الاقتصادي»[٤٦] .

وتحت عنوان (الرسول ينتخب إيران للقيادة) كتب في مجلة (العرفان) : «إن إيران اليوم بقيادة آية الله الخميني القائد العظيم والمسلم المقدام هي المنتدبة لحمل راية الإسلام في ربوع العالمين بكل وضوح وقوة وعزة لا تخشى في الله لومة أميركا ولا روسيا ولا أذنابهما في العالم ، إنها تشق طريقها نحو تطبيق الإسلام في واقع الحياة بكل جزئياته لتعطي للعالم المثال وتشحذ همم الإسلاميين في كل مكان ليرفعوا الهامات عالية ويتباهوا ويجاهروا بالتحرك الإسلامي

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٤٥) مجلة المعرفة الناطقة باسم الحركة الإسلامية في تونس ، العدد ٣ ، السنة الخامسة ، ١٢/٢/١٩٧٩ .

(٤٦) المصدر نفسه .

ويعلنوها ثورة واعية وهادفة على كل المستويات ، فقد آن الأوان لأن يكونوا للحق كالبرهان لا يترك زوراً وعلى الباطل كالبركان ويلاً وثبوراً . إن إيران بلاد سلمان الفارسي التي شرفها الله بحمل رسالة الإسلام التي تبرأ منها العرب وأصبحوا يشعرون بالنقص إذ ينتسبون إليها ، هي بلاد فارس التي انتخبها الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام لقيادة العالم والذود عن الإسلام يوم سئل عن هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ضرب بيده على عاتق سلمان وقال «هذا وذووه» ، ثم قال لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس . فالآية فيها تحذير وتبشير ، تحذير للعرب من الردة وتبشير بقوم يحبهم الله ويحبونه سيخلفونهم في حمل الرسالة الإسلامية ، فمن هؤلاء القوم؟ فيجيب الحديث عنهم إنهم أبناء فارس ، إن هذا الحديث يمثل نبوءة صادقة وحق اليقين يكشف به صاحبه عليه الصلاة والسلام عن واقعنا اليوم من وراء الحجب لأنه يستمد وحيه من علاَّم الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون الآن وما سيكون في المستقبل وما لم يكن لو كان كيف كان يكون»[٤٧] .

وفي مقالة أخرى ينتقد راشد الغنوشي موقف السكوت واللامبالاة الذي يقفه بعض الأشخاص وبعض التيارات ، ويدافع عن الثورة الإسلامية قائلاً :

«ليس هناك ما يبرر موقف الصمت أو إثارة الشكوك ، فالذي يبدو واضحاً أن دولة شيعية قوية ستولد في إيران وستكون طرفاً أساسياً في تحديد مصير المنطقة فلا مناص من مد الجسور الإسلامية المشتركة للتعاون معها في تصفية الوجود الاستعماري وقاعدته إسرائيل . . ذلك موقف تمليه عقائدنا ومصالحنا وإنسانيتنا .

رجاء ملح أن تصحح الحركة الإسلامية موقفها من قضية عادلة وإنسانية وفوق ذلك إسلامية تصارع أعتى قوى العصر . . . نريدها وقفة حازمة تعلن بصراحة ووضوح وقوة وقوف العاملين للإسلام في كل مكان وأنصار الحرية

(٤٧) الرسول ينتخب إيران للقيادة ، مجلة المعرفة ، العدد ٨ .

والعدالة مع إخوان العقيدة رواد الحرية والعدالة في إيران . . . أولئك الذين رفعوا رأس الإسلام عالياً في الدنيا كلها ، فلأول مرة في التاريخ يتوقف مصير أمبراطورية جائرة عاتية تدعمها الدول الكبرى وأذنابها ، ويتوقف مصير عرش تحميه سادس قوة عسكرية في العالم ، يتوقف مصير الأمبراطورية والعرش وحماته على كلمة رجل دين يعيش في المنفى . ولأول مرة في التاريخ تقام الصلاة الجماعية في الساحات الكبرى في باريس ولندن وواشنطن . إنها الصلاة التي أقيمت في نهاية التظاهرات الكبرى التي انطلقت تأييداً للثورة الإيرانية»(٤٨) .

ويتحدث الغنوشي في سياق تقويم العلاقة بين الحركة الإسلامية في تونس والحركة الإسلامية الإيرانية فيقول : «إن حركتنا قد تفاعلت وأكثر الحركات الإسلامية قد تفاعلت مع شعار الثورة من وقت خلقه . تشرفت بلقاء الإمام في باريس قبل انتصار الثورة ورجعنا إلى تونس ممتلئين بفيض من مشاعر الثورة ومشاعر التغيير . والحقيقة أننا تفاعلنا مع اقتحامنا مع شعارات ومبادىء وقضايا الثورة الإسلامية في إيران مثل محطة ونقطة تحول كبير في حياة حركتنا وأعطاها قوة دفع أقوى واقتداراً أكثر على فهم المجتمع وعلى الصراع ضد الدكتاتورية السياسية انتصاراً لقضية الحرية والعدل الاجتماعي ضد الاستغلال الاقتصادي والنظر إلى العالم كأنه صراع بين قوى الهيمنة وقوى ضعيفة . لذلك هذه المفاهيم وهذا الخطاب ساهم في انتشار واسع في أوساط الشباب ، وأستطيع أن أقول إن حركتنا ربحت سنوات كثيرة في وقت قليل وأستطيع أن أقول إن خطاب الثورة الإسلامية الذي تفاعلنا معه خطاب ومشروع إسلامي يطرح مشروعاً لإنقاذ الإسلام وإنقاذ المحرومين من وضعهم»(٤٩) .

ثم يشير إلى هجوم الأعداء على الثورة الإسلامية ، ويقول :

«ورغم كل ما حصل لنا في الطريق من متاعب ولقد حوكمنا عشر سنوات

---

(٤٨) الغنوشي ، راشد ، مقالات حركة الاتجاه الإسلامي في تونس ، دار الكروان ، باريس ص ٨٣ .

(٤٩) لقاء الغنوشي في الجزائر الطلاب الأعضاء في الجمعية الإسلامية في جامعة طهران ، بتاريخ ٢٨/٣/ ١٩٩١ .

في الثمانينات ، كانت الثورة تدافع عن نفسها تجاه العدوان العراقي عليها المدفوع بالنظام الدولي وأتباعه وعملائه . قد كنا نحن في تونس ندفع ضريبة دعمنا للثورة الإسلامية في إيران ومنذ ١٩٨١ ، آلاف الشباب في السجون وآخرين استشهدوا . وكان من التهم الرئيسية هو علاقتنا الروحية والفكرية مع الثورة الإسلامية في إيران ، لأنهم لم يجدوا علاقة مادية ولكن كان يكفيهم هذه العلاقات الروحية والخطاب الثوري . . .»[٥٠] .

## الأردن

وقف الإخوان المسلمون في الأردن أيضاً موقفاً مؤيداً للثورة الإسلامية الإيرانية ، فقد أعلن محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين تأييده للثورة ، قبل وبعد زيارته لإيران ، كما طالب إبراهيم زيد الكيلاني الملك حسيناً أن يتجنب طريق العداء . وأنشد يوسف العظم قصيدته الشهيرة التي نشرت في أكثر من مجلة ، ومنها (الأمان) ، ودعا فيها إلى مبايعة الإمام الخميني قائلاً في نهايتها :

| | |
|---|---|
| بالخميني زعيماً وإمام | هدّ صرح الظلم لا يخشى الحمام |
| قد منحناه وشاحاً ووسام | من دمانا ومضينا للإمام |
| نهزم الشرك ونجتاح الظلام | ليعود الكون نوراً وسلام[٥١] |

## لبنان

«في لبنان كان تأييد الحركة الإسلامية للثورة من أكثر المواقف وضوحاً وعمقاً ، ووقف الأستاذ فتحي يكن زعيم الحركة ومجلته الفذة (الأمان) من الثورة موقفاً إسلامياً ثورياً مشرفاً . وزار الأستاذ يكن إيران أكثر من مرة وشارك في احتفالاتها وألقى المحاضرات في تأييدها[٥٢] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التنظيمات العالمية للإخوان وقفت في السنوات

---

(٥٠) المصدر نفسه .
(٥١) إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(٥٢) المصدر نفسه .

الأولى من انتصار الثورة مواقف مؤيدة لها في صراعها مع القوى الاستعمارية وفي مختلف الأحداث التي مرت بها . فعلى سبيل المثال أصدرت هذه التنظيمات بياناً بمناسبة احتلال الطلاب السائرين على خط الإمام لوكر التجسس أعلنت فيه تأييدها لعمل الطلاب في احتجازهم الجواسيس . وجاء في جانب من هذا البيان الذي صدر تحت عنوان (إلى المسؤولين عن الحركات الإسلامية في كافة أنحاء العالم) : «ولو كان الأمر يخص إيران وحدها لقبلت حلاً وسطاً بعد أن تبينت ما حولها . ولكن الإسلام وشعوبه في كل مكان قد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي الوحيد في العالم الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين لتثبيت حكم الله فوق حكم الحكام وفوق حكم الاستعمار والصهيونية العالمية» ويشير البيان إلى رؤية الثورة الإيرانية لمن يحاول أن يفت في عضدها على أنه واحد من أربعة : «إما مسلم لم يستطع أن يستوعب عصر الطوفان الإسلامي وما زال يعيش زمن الاستسلام فعليه أن يستغفر الله ، ويحاول أن يستكمل نقص فهمه بمعاني الجهاد والعزة في الإسلام ، وإما عميل يتوسط لمصلحة أعداء الإسلام على حساب الإسلام متشدقاً بالأخوة والحرص عليها ، وإما مسلم إمّعة يحركه غيره بلا رأي ولا إرادة ، وإما منافق يراهن بين هؤلاء وهؤلاء»(٥٣) .

إلاّ أن عمر التلمساني لا يوافق على مثل هذه الأعمال بسبب سلوكه الإصلاحي ، فهو يعتقد «أن إيران لو سلكت سبلاً أخرى لأحرزت نجاحاً أكثر»(٥٤) .

وفي حديثه عن مشروع وساطته يقول : «طلبت مني السفارة الأميركية في القاهرة أن أتوسط في قضية الرهائن الأميركان في طهران ، فاستأذنت الحكومة المصرية وسافرت إلى أوروبا ، لأذهب من هناك إلى طهران . ولكني رأيت في أوروبا بياناً لوزارة الخارجية الإيرانية تقول فيه : «كل من يتدخل في قضية الرهائن فهو عميل لأميركا» فعدت أدراجي إلى مصر»(٥٥) .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٣١ ، ٣٢ .
(٥٤) مجلة المجلة (العدد ١٠١ ، لندن ، ١٦/ ١/ ١٩٨٢) .
(٥٥) المصدر نفسه .

## أفول العلاقات بين الإخوان والثورة الإسلامية الإيرانية

لم تكد تمضي بضع سنوات على انتصار الثورة الإسلامية حتى أصاب الوهن العلاقات بين الإخوان والثورة ، واتجهت بفضل زعماء الإخوان نحو الأفول . على أن الإخوان ، وكما ذكرنا سابقاً لم يحدث أن وقفوا موقفاً صريحاً ورسمياً ضد الثورة ، بل حافظوا على بقايا جسور معها . إلاّ أنهم في تحليلاتهم ونشراتهم الداخلية كانوا يصرحون بمعارضتهم لبعض خطوات ومواقف الحكومة الإسلامية . ومن جانب آخر فإن بعض المطبوعات المحسوبة على الجماعة حولت تأييدها إلى نقد ثم إلى هجوم على الثورة وعلى التشيع(٥٦) .

ويظهر أن تغيير الموقف هذا يعود إلى عدة أسباب ، منها :

١ ـ كون المنهج الإصلاحي المحافظ والمرن الذي يلتزمه زعماء الإخوان غير قادر على الانسجام مع المواقف الحاسمة التي يقفها قادة الثورة الإيرانية ومن ثم استيعابها . فقد كان الإخوان يعبرون عن تشكيل المحاكم الثورية ومعاقبة عملاء نظام الشاه بـ«دموية الثورة في القضاء على خصومها والتعجيل في إصدار الأحكام»(٥٧) ، ذلك أن هذه الأعمال تتناقض ـ في رأيهم ـ مع روح الإسلام المسالمة .

إضافة إلى ذلك كانت الثورة الإيرانية ترى أن (الجهاد) و(الشهادة) عنصران مهمان يجب أن يحتلا مكانة خاصة في إيجاد العلاقات بين الحركة الإسلامية الإيرانية والحركات الإسلامية الأخرى ، ومنها الإخوان المسلمون ، وهو ما يتنافى والنهج المسالم الذي يسلكه الإخوان . فعلى سبيل المثال في الوقت الذي نجد فيه الطابع المحافظ للإخوان المسلمين في السودان أضعف منه في البلدان الأخرى وعلاقتهم بالثورة الإيرانية أقوى من غيرها ، نرى مؤلف «الحركة الإسلامية في السودان» يعتبر أن إيران ارتكبت أخطاء في علاقتها بهذا البلد ، ويقول : «إن قيادة

---

(٥٦) مقالة (الخميني بين آمال المسلمين ومؤامرات الصليبية والشيوعية) ، مجلة الدعوة ، العدد ٣٤ ، مارس ١٩٧٩ . وأيضاً : مجلة الاعتصام ، عددا ذي الحجة ١٤٠٠ ومحرم ١٤٠١ ، والأعداد الصادرة في ٨٥ ـ ١٩٨٦ .

(٥٧) كتيب لم ينشر يشتمل على تحليل داخلي للإخوان المسلمين صادر في بيروت .

الحركة الإيرانية الإسلامية فشلت في أن تتفهم طبيعة السودان وطبيعة حركته الإسلامية ، مما أدَّى إلى تقلص مستمر في علاقات حركة الثورة الإيرانية بالحركة الإسلامية السودانية ، كان الإيرانيون يريدون ملحين التعامل مع حركة احتجاجية جهادية تعتمد منطق الثورة والشهادة متناسين أن عمر حركة الشيعة المؤسسية قرابة الألف عام بينما عمر الحركة الإسلامية السودانية لم يتجاوز الأربعين عاماً بعد .

كانت الحركة الإسلامية السودانية تريد أن تشد إيران إلى ميادين الدعوة والثقافة والإرشاد بدعم جهود الدعوة الإسلامية والتبشير الإسلامي في مجتمع لا يزال قطاع كبير منه في مرحلة التأهب لتلقي أبجديات العقيدة الإسلامية»(٥٨) .

وفي مصر أيضاً :

«إن الأحداث التي صاحبت فترة التحفظ واغتيال السادات وظهور تيار الجهاد كل ذلك قد دفع بالإخوان إلى إعلان براءتهم من التطرف وفكرة جهاد الحاكم التي برزت في الفترة الأخيرة في الوسط الإسلامي بمصر . وعليه والتزاماً من جهة الإخوان بصدق الموقف والظهور أمام الحكومة بمظهر التيار المعتدل كان لا بد لهم أن يتراجعوا في موقفهم تجاه الثورة الإيرانية التي تتبنى الخط الجهادي وتنادي بالثورة على الحكومات العربية والحكم المصري على وجه الخصوص وحتى لا يتهموا بالعمالة لإيران»(٥٩) .

ولا ينبغي هنا أن ننسى الدور المهم الذي أدَّته الوسائل الإعلامية الغربية ، ذلك أنه «تلت مرحلة انتصار الثورة مرحلة الحرب الإعلامية التي شنتها وسائل الإعلام الغربية ضد الثورة ، خصوصاً في خصوص المحاكم الثورية وطبيعة السلطة في إيران . كما استغلت وسائل الإعلام الغربية حركة القوميات والعصيان المسلح لإظهار الثورة الإيرانية بأنها مجرد فوضى وعودة لعصور اللاقانون ، إذ ركز الإعلام المعاكس ومنذ البداية على تخلف القيادة الدينية وعجزها عن إدارة الدولة»(٦٠) .

---

(٥٨) مكي ، حركة الإخوان ، ص ١٧١ .

(٥٩) الورداني ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٦٠) مكي ، حركة البعث الإسلامي ، ص ٢٠٥ . المصدر السابق .

٢ ـ كان للضغط السياسي والنفسي الذي مارسته الأنظمة العربية بحق الإخوان في مختلف البلدان العربية لصرفهم عن تأييد الثورة الإسلامية الإيرانية ، دور كبير في تغيير موقف الإخوان من الثورة . وكان بعض المشاكل التي واجهتها الثورة مسوّغاً كافياً لهذا الأمر . يقول الدكتور فهمي الشناوي في مقالة حول الثورة الإسلامية ألقاها في المعهد الإسلامي في لندن : «منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران نصب حولها ستار حديدي أقوى من الستار الذي كان حول الثورة الروسية البولشفية . استخدم العرب في بناء هذا الستار ، وكان البعث العراقي هو الرائد في هذه العملية نظراً إلى تصادم النظرية البعثية مع النظرية الإسلامية ، ثم تحول الوضع من مجرد ستار عازل إلى حرب معلنة يمولها العرب من دماء وبترول المسلمين» .

ويتحدث الشيخ عبد العزيز عودة ، وهو من الشخصيات الفلسطينية البارزة ، عن ضغط النظام الأردني على جماعة الإخوان في الأردن وفلسطين المحتلة ، فيقول : «لم يكن بمقدور بعض الأنظمة المعادية للثورة الوقوف ضدها علانية في البداية فالتزمت الصمت أو تظاهرت بالتأييد إلى أن قامت الحرب ، وبدأت حملة التأليب والتحرك ضد الثورة ، ويشيرون إلى أن نظام الحكم في الأردن مارس دوراً ضاغطاً على الإخوان في الأردن حتى يقوم هؤلاء بالإيعاز للإخوان في الأرض المحتلة بتغيير موقفهم من الثورة الإيرانية»[٦١] .

ويعرض الكاتب المصري الورداني للحديث عن دور النظام المصري في الضغط على الإخوان المسلمين لتغيير موقفهم من الثورة الإسلامية الإيرانية ، فيقول : « . . . إلاّ أن موقف الإخوان هذا قد أخذ في التراجع والاتجاه نحو السلب . . . لقد علل الإخوان موقفهم الجديد هذا بأن إيران تناصر حكم الأسد في سوريا ، لكن حقيقة الأمر تكمن في الضغوط السياسية التي تعرضوا لها من قبل نظام السادات الذي انحاز إلى العراق وأعلن معاداته لإيران بالإضافة إلى الموقف السعودي المعادي لها»[٦٢] .

(٦١) أبو عمرو ، زياد ، المصدر السابق ، لقاء مع الشيخ عبد العزيز عودة .
(٦٢) الورداني ، صالح ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

وإلى جانب ذلك يأتي دور الأنظمة الخليجية الغنية والإخوان المسلمين في هذه البلدان في الضغط على الإخوان المسلمين في البلدان الأخرى ، لأنه «من المعروف أن جماعة الإخوان لها صلاتها الوثيقة بالسعودية ، ومن ثم لا بد أن ينعكس عليها موقفها المعادي لإيران والمناصر للعراق . . .»(٦٣) . وبعبارة أخرى «بدون شك أثر النهج الخليجي في العلاقات وهذا انتهى سواء بالدافع الذاتي أو بالضغط من الأنظمة»(٦٤) بحيث «أدّى تعاطف إخوان السودان مع ثورة إيران الإسلامية وزيارة حسن الترابي لإيران إلى صدى في منطقة الخليج التي اتهمت إخوان السودان بالعجز عن فهم منطق الشيعة وأن ما حدث في إيران صحوة شيعية وليس إسلامية ، كما أدّى إقبال الإخوان على إيران إلى صدود سعودي جزئي عن الحركة الإسلامية السودانيّة»(٦٥) .

وإذا كانت خطوة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في قطعها العلاقات الدبلوماسية مع مصر احتجاجاً على معاهدة كامب ديفيد ، تعد حركة سياسية أصولية توافق تطلعات المسلمين المجاهدين(٦٦) ، فإن النظام المصري أفاد منها كثيراً فيما بعد في التفريق بين الحركتين الإسلاميتين في مصر وإيران ، وفي منع أي ارتباط فكري وربما (تنظيمي) بينهما . وحين رأت بعض الأنظمة العربية الآثار الناتجة من قطع العلاقات ، عمدت بدورها إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران وإغلاق سفاراتها فيها لمنع حدوث أي تعاون محتمل بين الحركتين وتعاقب على اتباع هذه السياسة كل من المغرب وتونس والسودان والبحرين وموريتانيا ولبنان ، وهكذا «وسيراً مع سياسة الإخوان الدائمة التي تبتني على عدم استفزاز الحكومات ومهادنتها قدر الإمكان ، توقفوا عن حملتهم الإعلامية المناصرة للثورة

---

(٦٣) المصدر نفسه .

(٦٤) لقاء الباحث مع إبراهيم المصري إحدى شخصيات الإخوان البارزة في لبنان (بيروت ١٩٩١) .

(٦٥) مكي ، محمد أحمد حسن ، حركة الإخوان المسلمون ، مصدر سابق ، ص ٨٤ .

(٦٦) لسنا في هذا الكتاب في صدد تقويم وتحليل آثار قطع العلاقة مع مصر الذي تم بأمر من الإمام الخميني احتجاجاً على توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل . ولكننا نرى من الضروري في مثل هذا التقويم أن تؤخذ في الحسبان ظروف تلك المرحلة التي تحتم على إيران أن تتخذ مثل هذه الخطوة حيث سبق تصميم الدول العربية في قمة بغداد على قطع العلاقة مع مصر .

الإيرانية ولاذوا بالصمت في مواجهتها ، بل أخذت تظهر بوادر العداء من ناحيتهم تجاه الثورة»[٦٧] .

٣ ـ من جانب آخر ، وللأسباب الكثيرة التي أشرنا إليها آنفاً ، كانت هناك ظروف مناسبة جداً لتحويل هذه الخلافات إلى صراعات مذهبية وعقائدية . وقد استطاع أعداء الثورة بسلاحهم الفعال هذا أن يحققوا جزءاً كبيراً من أهدافهم دون أدنى عقبة . إلاّ أن بعض المخالفين للجماعة يعتقدون «أن الإخوان قاموا بإثارة قضية الخلاف بين الشيعة والسنة كذريعة لتبني موقف معاد من الثورة الإسلامية في إيران»[٦٨] .

«ويدعي أنصار الإخوان أنه على الرغم من أن هذه الثورة انبعثت من منطلقات إسلامية ، إلاّ أنها أخذت تفقد بريقها عاماً بعد عام ، وعلى الرغم من نجاح الثورة في اقتلاع حكم الشاه وأركانه فهي لا تستطيع أن تدعي بأنها أقامت دولة إسلامية نموذجية ترتكز على مؤسسات مستقرة . . . ثم إنه يفترض بدولة إسلامية تسعى لاستيعاب كل الطاقات الإسلامية أن يكون طرحها إسلامياً يتجاوز الخلافات المذهبية ، بينما يلمس الجميع أن الطابع المذهبي للدولة يتأكد يوماً بعد يوم من خلال إعلامها وممارساتها داخل إيران وخارجها»[٦٩] .

وفي هذا السياق يقول الكاتب المصري المعروف الدكتور الحنفي : «ثم غيرت الجماعة الإسلامية موقفها بعد سيادة التخلف التقليدي على موقفها المبدئي وجعل الخلاف العقائدي هو الأساس وليس الثورة الفعلية والتحقق العملي ، مما جعلها تميز حركتها وثورتها المستقبلية عن الثورة الإسلامية في إيران وترفض أي تشابه أو مقارنة بينهما . وبعد أن نشر كتاب «الحكومة الإسلامية» في مصر ، رفضت الجماعات الإسلامية توزيعه لأن فيه خلافاً عقائدياً مع أهل السنة»[٧٠] . وفي ردِّها على هذا الأسلوب ، كتبت إحدى الافتتاحيات :

---

(٦٧) الورداني ، صالح ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
(٦٨) د . أبو عمرو ، زياد ، المصدر السابق ، نقلاً عن عبد العزيز عودة ، ص ١٥٦ .
(٦٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ . نقلاً عن مجلة النذير .
(٧٠) د . حنفي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

«من الجماعة الإسلامية في باكستان . . . حتى من علماء السعودية . . . ومئات الشخصيات والعلماء توجهوا إلى طهران وبعد ذلك وحتى بداية العدوان الصدامي ، كان هناك إجماع إسلامي واضح على تأييد الثورة الإسلامية في إيران . . . وأيضاً لم يقل أحد يوماً إنهم شيعة( !) ولم نكن نسمعها . . . ولكن بعدها بشهور وعندما تحول مجرى الحرب لتبدأ حكومة وشعب الإسلام في إيران بتحقيق الانتصارات تلو الانتصارات على قوى العدوان العالمية ، بدأنا نسمع الهمس يتردد هنا وهناك حول شيعة وسنة وطائفة وطائفة واستعمار وأطماع إلى آخر سلسلة مصطلحات الانقسام والمؤامرة»(٧١) .

وحول هذا الأمر يقول الورداني صاحب كتاب «الحركة الإسلامية في مصر» : «وبعد مضي سنوات من عمر الثورة ، خاصة بعد اندلاع الحرب بين إيران والعراق ، بدأ الحماس تجاه الثورة يفتر ، وبدأت التيارات الإسلامية في التراجع وتصنيف مواقفها تجاهها . . . وبدأت تظهر بوضوح في الوسط الإسلامي بمصر النعرة المذهبية ، وأخذت الحملة العدائية للشيعة يتسع نطاقها بشكل لافت للنظر حتى إنه قد تم إغراق سوق الكتاب الإسلامي بكم كبير من الكتب والدراسات التي تهاجم الشيعة وتطعن فيهم وتشكك في الثورة الإيرانية ، وهي تباع بسعر الكلفة ، وكثير منها لا يعرف مصدرها»(٧٢) .

ولا ننس هنا الدعم المادي الذي يقدمه المتعصبون من السنة والمرتبطون بالأنظمة العربية الرجعية وبالوهابية وببعض تيارات الإخوان إلى المناطق السنية في إيران . وقد اعترف بعض المفكرين السنة العرب بهذا الأمر ، ولاموا الإخوان لاتخاذهم مثل هذا الموقف . يقول المفكر الكويتي الدكتور عبد الله فهد النفيسي في هذا المجال : «وأدرك الطرفان بعد فترة غير وجيزة (٨٤ ـ ١٩٨٥) أن ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ وبدلاً من أن يتدارس الإخوان أوراقهم ومواقفهم ويضعوها في أطرها السياسية العامة ، انتقلوا للطرف الآخر من الطيف السياسي ، فشكل

---

(٧١) افتتاحية (إما أن ننهض جميعاً أو أن نقتل فرادى) ، مجلة الطليعة الإسلامية ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٨٣ ، ص ٤ .

(٧٢) الورداني ، صالح ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

التنظيم الدولي للإخوان لجنة سموها بتسمية تدل على قصور سياسي بيِّن ، وهكذا تشكلت (لجنة فتح إيران) وجعلوا من عمان (الأردن) مقراً لها وعينوا لها رئيساً ، وأفرزوا لها العناصر ووضعوا لها الميزانية من أموال أعضاء الجماعة الذين يدفعونها ولا يعرفون كيف تصرف ، ولا في ماذا أنفقت ، فالثقة بالقيادة مطلقة وعمياء» . ويضيف قائلاً : «ومن غريب الأمور أن تكون مهمة هذه اللجنة ـ بل إحدى مهماتها ـ تحويل الشعوب الإيرانية إلى أهل السنة ، وكان هذا الأمر قد صار من أولويات العمل الإسلامي على افتراض إمكانيته» . وفي نهاية المقال يتساءل الكاتب باستغراب ، قائلاً : «ألم يكن من الأولى أن يشكل التنظيم الدولي للإخوان بقيادته التي تفتقر إلى الشرعية والأهلية لجنة لفتح القدس وتحرير الأقصى؟ لكنه القصور السياسي وسوء تقدير الموقف الذي يجعل صاحبه يتعامل مع الأوهام وكأنها حقيقة»[٧٣] . ويذهب إلى القول : «لقد كان سوء تقدير الموقف داء بارزاً في ممارسات (مكتب الإرشاد العام) ، خاصة في مجال العلاقات السياسية وتفسير الأحداث الكبيرة والخطيرة مثل الثورة الإيرانية»[٧٤] .

واللافت للنظر هنا توجيه بعض الشخصيات المناصرة لجماعة الإخوان النقد لطريقة التعامل مع الثورة الإسلامية . فمثلاً ينتقد كاتب الإخوان المعروف أنور الجندي ضمنياً موقف الإخوان من الثورة الإسلامية ، فيقول :

«ولما قام الانقلاب الإيراني : وهو انقلاب إسلامي قام في نطاق الإسلام وصنع الأعاجيب ، وغير الموازين ، فالتفتت قوى العالم الغربي نحو الإسلاميين وأخذت تتوجس من الإسلام ونهضته وتدرس حقيقة الإسلام وكيف يقضى عليه وكيف يحال بينه وبين أن يكون وريث الحضارة القائمة ، ومن جملة محاربة الثورة الإيرانية استدراج من قاموا بالانقلاب ، إلى مواقف تنحدر بهم عن مستوى حقيقة الانقلاب ، ونحن وقعنا مع هذا الانقلاب بما تقع فيه الدعوة الإسلامية ، فبدلاً من أن نتجرد إلى الله ونأخذ بيد المقصرين ونسدد خطاهم ونشد ثغراتهم أخذنا نفضحها»[٧٥] .

---

(٧٣) د . النفيسي ، عبد الله : مقالة الإخوان المسلمون في مصر . التجربة والخطأ ، ص ٢٤٩ . (الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية) .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

(٧٥) الجندي ، أنور ، تاريخ الدعوة الإسلامية ، ص ٢٢١ . مصدر سابق .

٤ ـ قضايا الإخوان الداخلية : منذ انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ وحتى نهاية حرب الخليج واجه الإخوان المسلمون مشاكل داخلية كبيرة شغلتهم عن تنظيم وتقويم علاقاتهم الخارجية . فقد انشغلت الجماعة بعدة قضايا ، أهمها :

ـ ظهور اتجاهات جديدة منشقة عن الجماعة الأم ، ومنها : منظمة الجهاد الإسلامي والتكفير والهجرة والجماعة الإسلامية والجماعات السلفية المحافظة ، إضافة إلى وقوع حرب باردة بين الجماعات المنشقة والجماعة الأم .

ـ فقدان الانسجام والتنسيق بين فروع الجماعة في البلدان المختلفة ، وظهور اتجاهات جديدة تخالف الاتجاه التقليدي للجماعة ، كجماعة الإخوان المسلمين في السودان بزعامة الدكتور حسن الترابي وحركة الاتجاه الإسلامي في تونس بزعامة راشد الغنوشي وغيرهما .

ـ الصراع الواسع مع الشيوعيين والناصريين ، وانتهاء شهر العسل بين الإخوان وأنصارهم من جهة ونظام ، السادات من جهة ثانية .

ـ السعي المتواصل للحصول على مجوز قانوني يسمح لهم بممارسة نشاطاتهم بصورة رسمية .

ـ ما أعقب اغتيال السادات من ضغط وقمع .

وقد دفعت هذه الأمور الإخوان المسلمين إلى الانشغال بمشاكلهم الداخلية ولم تسمح بالتفاعل مع الثورة الإسلامية .

٥ ـ علاقة الجمهورية الإسلامية بجبهة الصمود العربية : انعكست العلاقة الوثيقة بين الحكومة الإيرانية وحكومات جبهة الصمود والتصدي العربية بصورة عامة ، وسوريا بصورة خاصة ، سلبياً على العلاقات بين الحركة الإسلامية الإيرانية وجماعة الإخوان المسلمين . فقد كانت الجماعة تنظر إلى هذه الحكومات على أنها أبغض وأقسى الأنظمة السياسية الموجودة في المنطقة ، على الرغم من سمعتها التي حصلت عليها بفعل ظروف سياسية معينة .

إن الحالة القطبية السائدة في العالم آنئذ ، والإعلام المكثف للأنظمة النفطية العربية التي تتظاهر بالإسلام ، وأيضاً ارتباط حكومات الصمود والتصدي بالسياسة السوفياتية ، قد أسهمت في توسيع الهوة بين الإخوان المسلمين وهذه الحكومات . إلاّ أن الأسباب الأساسية في خلقها وتوسيعها هي الأوضاع الخاصة في ليبيا وقيادتها ، ونشر الشيوعية رسمياً في اليمن ، وقمع المسلمين بشدة في الجزائر ، واضطرابات الإخوان المسلمين في سوريا . وكانت المعاهدة العسكرية الاستراتيجية التي وقعت عام ١٩٨٥ بين ليبيا وإيران ، والزيارة الرسمية التي قام بها مسؤولون إيرانيون للجزائر ، والأهم من ذلك كله العلاقة الاستراتيجية بين إيران وسوريا ، كانت كلها بمثابة القنبلة التي نسفت جسر العلاقات بين الحركتين الإسلاميتين ، واستمرت لسنوات طوال تلقي بسلبياتها الكبيرة على هذه العلاقات .

وكانت هذه الأمور ذريعة كافية لكوادر الإخوان وأنصارهم ليهاجموا الثورة الإسلامية بعنف في كل مجلس واجتماع ، وليتهموا المسؤولين الإيرانيين بالطائفية والتعصب المذهبي ، وليعتبروهم حلف لـ(أعدى أعداء المسلمين)(٧٦) .

ودخلت العلاقة بين إيران والإخوان مرحلة جديدة إثر نشوب الصراعات الطائفية والقومية في إيران ، وسقوط حكومة بازركان المؤقتة ودخول إيران في وضع خاص إثر احتلال السفارة الأميركية وما عانته من حصار اقتصادي وعسكري ، وحرب مع العراق ، وعزلة سياسية فرضت عليها ، وظهور ظروف سياسية جديدة دفعت إيران إلى التسريع في توثيق علاقتها مع سوريا . وكان الإخوان في صدد طلب المساعدات المادية والعسكرية والفنية من إيران للإطاحة بالنظام في سوريا بعد أن وثقوا علاقتهم بالعراق والأردن والسعودية والدول الأخرى التي تخاصم سوريا . إلاّ أن إيران «لم تستجب أو إنها ماطلت»(٧٧) في تلبية طلباتهم .

---

(٧٦) التلمساني ، عمر ، أيام مع السادات ، ص ١١٠ .

(٧٧) كتيب تحليل داخلي غير منشور يتحدث فيه الإخوان عن العلاقات بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ، صادر في بيروت .

وفي زيارة رسمية قام بها الشيخ خلخالي لسوريا وصف (الإخوان المسلمين) بأنهم (إخوان الشياطين)[٧٨] . وبعد فترة زمنية هُوجم الإخوان المسلمون السوريون في كلمة ألقيت في مسجد الإمام الخميني في طهران ، ونشرت هذه الكلمة في الصفحة الأولى من صحيفة كيهان ، ونشرت أيضاً مقالاً يحمل توقيع (وحدة الحركات التحررية في الحرس) تهاجم سلوك التنظيم الدولي للإخوان وتصرفات زعمائه . ووصفت الصحيفة نفسها زعماء الإخوان بأنهم إما بسطاء أو عملاء ، بينما وصفت الإخوان في سوريا بالعمالة وشبهتهم بالمنافقين في (منظمة مجاهدي خلق)[٧٩] .

وما كان من الإخوان المسلمين في سوريا إلاّ أن أبرزوا ردود فعل عنيفة ، كان أولها نشر (مجلس الثورة الإسلامية في سوريا) بياناً مفصلاً هاجم بعنف الجمهورية الإسلامية ، ووصف إيران بأنها مركز الفوضى ، ووصف زعماءها بأنهم أناس متعصبون ، وأشار إلى تصريحات المسؤولين الإيرانيين في شأن الإخوان واتهمهم بشراء الأسلحة من إسرائيل .

وكانت هذه التصريحات قد وجدت أصداء واسعة في نشرات الجماعة ، وشكلت لزمن طويل ذرائع يتمسك بها الإخوان في شتى أنحاء العالم في مهاجمتهم الثورة الإسلامية وتوجيههم النقد إليها[٨٠] .

وفي مثل هذه الظروف وقف الكثير من فروع الإخوان المسلمين في البلدان الأخرى بصورة غير رسمية ضد الموقف الإيراني . وبالمقابل ردت إيران عليهم ، فأدَّى ذلك إلى تأزم الأوضاع بين الحركتين وأوصل العلاقات بينهما إلى أسوأ مراحلها .

وانتقد عمر التلمساني في حديث له ، موقف إيران بصورة غير مباشرة ، وفي الوقت نفسه أعرب عن رفضه لردود فعل الإخوان في سوريا .

---

(٧٨) يجب ملاحظة الموقع المهم الذي كان يشغله آية الله خلخالي آنذاك وشهرته في العالم نتيجة موقعه في المحاكم الثورية لرموز العهد السابق .

(٧٩) صحيفة كيهان ، العدد ١ (١١٥٦١ و١١٥٦٢) تحليل لأوضاع الإخوان المسلمين ولمواقفهم السياسية .

(٨٠) كانت الأسئلة الأهم التي يطرحها الإخوان في السنوات الماضية حين يلتقون الإيرانيين في مواسم الحج أو في المؤتمرات الإسلامية العالمية تتعلق بموقف إيران من الإخوان ، وشراء الأسلحة من إسرائيل ، وتصريحات آية الله خلخالي في شأن الإخوان .

وفي لقاء مع مجلة الدعوة يقول التلمساني في رده على السؤال التالي : ما هو موقفكم من البيان الصادر عن قيادة الثورة الإسلامية في سوريا في الرد على التصريح الإيراني ، علماً أن التصريح تضمن تجريحاً لبعض مواقفكم السياسية ، فما ردكم على ذلك؟

ـ «عندما اطلعت على هذا البيان كنت أود أن يكون على غير ما جاء به ، فتبادل الاتهامات بين المسلمين ضار بهم ، وخير المتخاصمين من يبدأ أخاه بالسلام»[٨١] . ويضيف قائلاً : «حقاً أن بعض المواقف تحرج إلى حد الغضب ، ولكن الحكيم من يملك نفسه عند الغضب ، ولو أن ما جاء في البيان فيه مصلحة لإخوتنا المجاهدين في سوريا لأيدته وحثثت عليه ، ولكن لا أراه إلاَّ تنفيساً عن بعض ما أساء وما كان يجب ألاَّ يكون ، ولكنها إرادة الله ، وكم كنت أحب أن يكون اللوم على الأخطاء بغير هذا الأسلوب الذي قد يزيد الأمر حدة على حدته . إننا في حاجة إلى اكتساب أصدقاء أكثر من حاجتنا إلى كسب أعداء ، حتى لو كان الأعداء موجودين من قبل ، فمن الخير أن نخفف من حدة عداوتهم بدلاً من أن نزيدها لهيباً على لهيبها»[٨٢] .

ويذهب بعض الإخوان المسلمين إلى الاعتقاد بأن الإخوان في سوريا أخطأوا حين تقربوا إلى إيران[٨٣] .

٦ ـ حرب الثماني سنوات بين العراق وإيران : «شكلت هذه الحرب لفترة طويلة من الزمن عنصراً بارزاً في تباين وجهات النظر ما بين الإخوان وإيران»[٨٤] . وقد تعرضت العلاقة بينهما لمطبات كثيرة إثر استمرار الحرب ودخول عوامل مختلفة فيها على امتداد ثماني سنوات .

ففي بداية الحرب دان الإخوان المسلمون العراق ، واعتبروه مبتدئاً بالحرب

(٨١) مجلة الدعوة المهاجرة ، مصدر سابق .
(٨٢) المصدر نفسه .
(٨٣) كتيب تحليل داخلي غير منشور يتحدث فيه الإخوان عن علاقتهم بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ، مصدر سابق .
(٨٤) كتيب تحليل داخلي يتحدث فيه الإخوان عن علاقتهم بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ، مصدر سابق .

في سبيل القضاء على الثورة الإسلامية الإيرانية ، ولم يترددوا مطلقاً في اتخاذهم هذا الموقف الرسمي الذي أعلنوه في بيان صادر عن تنظيماتهم العالمية ، يخاطبون فيه الشعب العراقي ، ويهاجمون بعنف «حزب البعث الملحد الكافر» في العراق .

فقد ورد في البيان : «إن هذه الحرب أيضاً ليست حرب تحرير للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يملكون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً ، فشعب إيران المسلم قد حرّر نفسه من الظلم والاستعمار الأمريكي الصهيوني في جهاد بطولي خارق وبثورة إسلامية عارمة فريدة من نوعها في التاريخ البشري وتحت قيادة إمام مسلم هو دون شك فخر للإسلام والمسلمين»(٨٥) ، ثم يتكلم البيان عن أهداف العدوان الصدامي قائلاً : «ضرب الحركة الإسلامية وإطفاء شعلة التحرير الإسلامية التي انبعثت من إيران» ، وفي نهاية البيان يخاطب الشعب العراقي : «اقتلوا جلاديكم فقد حانت الفرصة التي ما بعدها فرصة ، ألقوا أسلحتكم وانضموا إلى معسكر الثورة ، الثورة الإسلامية ثورتكم»(٨٦) .

ونقرأ في مجلة الاعتصام المقربة من الإخوان المسلمين في مصر في عددها الصادر في ذي الحجة ١٤٠٠ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٠) سخرية بقادسية صدام حسين المزعومة ، فنرى على غلافها عبارة «الرفيق التكريتي تلميذ ميشيل عفلق الذي يريد أن يصنع قادسية جديدة في إيران المسلمة» . وفي الصفحة ١٠ من العدد نفسه كتبت الاعتصام تحت عنوان «أسباب المأساة» : الخوف من انتشار الثورة الإسلامية في العراق .

«ثم قالت «ورأى صدام حسين إلى فترة الانتقال التي يمر بها جيش إيران وتحوله من جيش أمبراطوري إلى جيش إسلامي هي فرصة ذهبية لا تكرر للقضاء على هذا الجيش قبل أن يتحول إلى قوة لا تقهر بفضل العقيدة الإسلامية في نفوس ضباطه وجنوده» . وفي عدد محرم ١٤٠١ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٠) كتب د . جابر رزق أحد أبرز صحفيي الإخوان المسلمين في «الاعتصام» الصفحة ٣٦ معلّلاً أسباب الحرب يقول : «إن الوقت الذي اندلعت فيه الحرب هو عينه

(٨٥) إبراهيم عز الدين ، السنة والشيعة ، ص ٣٣ .
(٨٦) المصدر نفسه .

الوقت الذي فشلت فيه كل الخطط الأمريكية التآمرية على ثورة الشعب الإيراني المسلم» ويقول (ص ٣٧) : «ونسي صدام حسين أنه سيقاتل شعباً تعداده ـ أربعة أضعاف الشعب العراقي ، وهذا الشعب هو الشعب المسلم الوحيد الذي استطاع أن يتمرد على الإمبريالية الصليبية اليهودية» ، ثم يواصل حديثه قائلاً : «والشعب الإيراني بكامل هيئاته ومنظماته مصمم على مواصلة الحرب حتى النصر وحتى إسقاط البعث الدموي . . كما أن التعبئة الروحية والنفسية بين كل أفراد الشعب الإيراني لم يسبق لها مثيل ، والرغبة في الاستشهاد تأخذ صورة التسابق والإقدام ، والشعب الإيراني واثق تماماً أن النصر في النهاية سيكون للثورة الإيرانية المسلمة» . ثم يذكر جابر رزق أن هدف الاستعمار من الحرب محاولته إسقاط الثورة ويقول : « . . وبسقوط النظام الثوري الإيراني يزول الخطر الذي يتهدد هذا النوع من الطواغيت الذين يرتجفون من تصورهم احتمال ثورة شعوبهم ضدهم وإسقاطهم ، مثلما فعل الشعب الإيراني المسلم ضد الشاه العميل» ، وفي نهاية المقال يقول : «ولكن حزب الله غالب . . ولكن لا بد من الجهاد والاستشهاد ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز»[٨٧] .

ويتهم عمر التلمساني مرشد الإخوان المسلمين العراق صراحة بابتداء الحرب مع إيران ، ويقول : «أما من جهة من بدأ الحرب فهي ليست مسألة من عندي أو من إيران أو أي إنسان ، والذي يعلمه العالم كله أن العراق هو الذي بدأ بالاعتداء ، وهذا شيء لا آتي فيه بجديد ، فالتاريخ يروي الوقائع»[٨٨] .

وفي لقاء مع مجلة الدعوة الناطقة باسم الإخوان يقول : «وما كان للعراق أن يبدأ الحرب قبل أن تدور مفاوضات مكثفة حول طلباته ، ولا أريد أن أسبق التاريخ في التعرض للأسباب التي حدت بالعراق إلى المبادأة بالهجوم»[٨٩] .

ودأب الإخوان على المطالبة بمنع استمرار الحرب المدمرة التي أشعلتها «الأصابع الإسرائيلية التي ترى في استمرار هذه الحرب إجهاضاً للقوتين (الإيرانية

(٨٧) مجلة الاعتصام ، عدد محرم ١٤٠١ ، ص ٣٦ و٣٧ .
(٨٨) مجلة العالم ، العدد ٩١ ، ، ص ٤٥ .
(٨٩) مجلة الدعوة ، ص ١٢ ، مصدر سابق .

والعراقية) حتى تمكن إسرائيل من إدخال المنطقة كلها فيما تريده من حلول وهي آمنة خطر الشمال العراقي ـ الإيراني على حد سواء»[٩٠] .

ومع اجتياز المرحلة الأولى من الحرب العراقية المفروضة على إيران وظهور تحولات جديدة في ميادين القتال ، تحول الإخوان عن موقفهم السابق لأسباب كثيرة ، واتخذوا موقفاً آخر يتناسب مع المرحلة الجديدة التي دخلتها الحرب ، فقد نشطوا في دعوة الدول الإسلامية للتوسط بين الطرفين ووقف الحرب بينهما بعد أن تقدمت القوات الإيرانية في الأراضي العراقية وانطلق إعلام العراق والدول الرجعية العربية يدعو بقوة لوقف الحرب وإقامة الصلح . بل أصبح الإخوان يحمِّلون إيران بصورة غير مباشرة مسؤولية الاستمرار في الحرب ، فقد ورد في بيان لهم : «إنما أن يحارب المسلمون بعضهم بعضاً بهذه الصورة فهذا أمر لا يقره الشرع ، خاصة أن الرسول (ص) يقول : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» ، وهذا ما يختص بالأفراد ، فما بالك إذا كانت الحرب بين دولتين»[٩١] . وكان مرشد الإخوان ، بعد أن انتقلت الحرب إلى داخل الحدود العراقية ، يتمنى على حكومات الدول الإسلامية أن تواصل بجدية جهودها لوقف الحرب[٩٢] .

إلاّ أن التحليلات الداخلية للإخوان كانت أكثر صراحة ، فقد «كان موقف الإخوان واضحاً بضرورة وقف الحرب ، وأن العراق إذا كان يتحمل مسؤولية بدايتها ، فإن مسؤولية إيران باستمرارها لا تقل خطورة ، نظراً إلى ما تسببه من إزهاق النفوس وتخريب للمدن وتبديد لثروات المسلمين ، فضلاً عن أنها استدرجت أساطيل الدول الكبرى إلى منطقة الخليج حماية لسفنها ودفاعاً عن مصالحها»[٩٣] .

وفي لقاء أجرته صحيفة كيهان (العدد ١٤٤٣٩) مع زعيم الإخوان المسلمين في الكويت الدكتور إسماعيل الشطي يردّ على مؤاخذة المراسل له لعدم

(٩٠) مجلة الوطن العربي ، العدد ٤١٧ ، باريس ، شباط ١٩٨٥ ، ص ٣٧ مقابلة مع عمر التلمساني .
(٩١) عمر التلمساني ، مجلة العالم (العدد ٩١) ، ص ٤٤ و٤٥ .
(٩٢) مجلة الدعوة ، ص ١٢ ، مصدر سابق .
(٩٣) كتيب تحليل داخلي للإخوان . . . مصدر سابق .

وقوفه إلى جانب إيران في حربها مع العراق ، فيقول : «كنا في الأساس نعارض الحرب ونعتقد أن استمرار الحرب سيبدِّد الثروات ويهدر دماء الكثير من المسلمين ، وكنا نرى النظام الحاكم في العراق نظاماً كافراً ، إلاَّ أننا كنا في الوقت نفسه نعارض احتلال إيران للعراق . وهذا هو موقفنا طوال الحرب بين العراق وإيران» .

ونخلص من هذا إلى وجود أسباب كافية جعلت الإخوان المسلمين يعدلون عن مواقفهم السابقة إلى مواقف جديدة «فقد كانت إيران تدفع باتجاه استمرار الحرب حتى سقوط النظام العراقي ، بينما يرى الإخوان أن الحرب قد استنفدت أغراضها باستعادة إيران أراضيها ، وأنه لا داعي لمزيد من سفك دماء المسلمين في كلا الجانبين»[٩٤] .

وما نراه هنا على قدر كبير من الأهمية أن مواقف الإخوان في تأييدهم لإيران في بداية الحرب وحيادهم في مراحلها الأخرى لم تتحول إلى تأييد للعراق ، حتى في أسوأ الظروف التي مرت بها علاقاتهم بالجمهورية الإسلامية ، بل حافظوا على مواقفهم المحايدة ، ولا يستثنى من ذلك إلاَّ الإخوان في سوريا . ففي ظل العلاقات المتأزمة بين الجانبين يقول التلمساني : «فأنا لا أستطيع أن أقول كلمة يشتم منها أنني أحمل على هذا الفريق أو ذاك ، لأن الوضع ما عاد يحتمل هذا ، وإذا كان هناك حكومة بعثية في العراق ، فالشعب العراقي شعب مسلم»[٩٥] .

زار ممثل الإخوان المسلمين في مجلس الشعب المصري الشيخ صلاح أبو إسماعيل العراق ونقض موقف الإخوان المحايد بتأييده العراق وتوجيهه الإهانة لإيران وللإمام الخميني ، لكن عمر التلمساني بادر في لقائه مع مجلتي المختار الإسلامي والعالم إلى اعتبار كلامه «موقفاً شخصياً لا يرتبط بالإخوان»[٩٦] .

(٩٤) المصدر نفسه .
(٩٥) مجلة العالم ، العدد ٩١ ، ص ٤٥ . مصدر سابق .
(٩٦) المصدر نفسه ، ص ٤٤ . يقول عمر التلمساني لمراسل المجلة : «في كلمة واحدة ولا أزيد عليها : إن الأستاذ صلاح أبو إسماعيل في ذلك الموقف كان يعبر عن رأيه الشخصي» .

إلاّ أن هذا لا ينفي أن بعض الإخوان أخذوا يشككون في ما بعد في أهداف إيران من وراء استمرارها بالحرب ، فمثلاً نرى الإخوان المسلمين في لبنان وبعد أن يأتوا في تحليل داخلي لهم على ذكر الأهداف التوسعية التي دفعت العراق إلى إشعال الحرب وأسباب دعم الغرب والأنظمة العربية للعراق بعد فشل خطة تحرير الرهائن الأميركان في طهران ، ينتقلون إلى ذكر غاية إيران من استمرارها بالحرب ، فيقولون : «الحرب الخارجية كانت هي الحل الوحيد لمشاكل إيران ، فقد نجح الإيرانيون في تحقيق ثورة ، لكنهم غير مهيئين لبناء دولة وهم يفتقدون مناهج التعليم وكوادره وقواعد الاقتصاد وبناء الجيش الجديد . . . والحرب الخارجية وحدها هي القضية التي يمكن أن يتوحد عليها كل الإيرانيين ، وأن تدفن فيها المشاكل التي تواجههم ، واستطاع النظام خلالها إزاحة الواجهات السياسية التي أدت دورها بإعدامها جسدياً وتصفيتها سياسياً ، ودفع بكل الطاقات إلى الجبهة العسكرية»[٩٧] .

(٩٧)كتيب تحليل داخلي للإخوان . . .

# مستقبل العلاقات بين الإخوان المسلمين والجمهورية الإسلامية الإيرانية

لا شك أن العلاقات الحالية والمستقبلية بين الجمهورية الإسلامية وجماعة الإخوان المسلمين ستخضع لتأثير التحولات الخطيرة التي حدثت على الصعيد العالمي وغيرت الوضع الدولي السابق ، وهي تحولات ستؤدي إلى تغيير خط الإخوان ومنهجهم تغييراً جذرياً ، وبالتالي ستؤدي إلى تغيير علاقتهم بالإسلاميين الأصوليين الآخرين .

وبعد أن درسنا العلاقات السابقة بين الحركتين الإسلاميتين ، سنلقي نظرة سريعة على العوامل المؤثرة في العلاقات الحالية والمستقبلية بينهما في ضوء التطورات العالمية الجديدة :

١ ـ أزال انتهاء حرب الثماني سنوات بين العراق وإيران وقبول الأخيرة الصلح واحدة من أهم العقبات التي تعترض سبيل العلاقات بين الإخوان والثورة الإسلامية ، ولم يُبق ذريعة للتيارات المحافظة والسلفية في الجماعة للتحجج بإصرار إيران على الاستمرار في الحرب[٩٨] .

٢ ـ سيؤدي انهيار الماركسية في الاتحاد السوفياتي السابق وبلدان شرق أوروبا وما أعقبه من هزيمة منكرة لأعداء الإخوان الأساسيين والتقليديين ، أي الأحزاب اليسارية والماركسية في البلدان العربية والإسلامية ، إلى إحداث تغيير كبير في

(٩٨) حول هذا الأمر ورد في التحليل الداخلي للإخوان المسلمين في لبنان ما يلي : «سوف تكون إيران مع نهاية الحرب مع العراق قوة مركزية ذات تأثير في المنطقة . وهذا ما يتضح بالتدريج في المواقف اليومية للدول المجاورة لإيران وكذلك لأوروبا وأميركا ، فقد أصبح الجميع يخطب ودّها ، إما لهيبتها أو مراعاة للمصالح المستقبلية . ومن هنا فإن هذه الظروف تدفعنا كحركة إسلامية لاتخاذ مواقف تتناسب وطبيعة هذه المرحلة ، فليس في وسعنا أن نتجاهل إيران كقوة سياسية وديموغرافية في المنطقة» .

تصنيف الإخوان لأعدائهم ، إذ إن الماركسية لا يمكن أن تبقى العدو رقم واحد بالنسبة إلى الإخوان ، ومن جانب آخر فإن طغيان الغرب وأميركا وتعاملهما الاستغلالي والاستكباري مع العالم الإسلامي سيجعلهما في طليعة أعداء الإخوان ، وهذا ما يتفق مع موقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية ويؤدي إلى التقريب بين الجانبين .

٣ ـ كما ذكرنا آنفاً فإن التطورات السياسية والأيديولوجية العميقة التي نتجت من تغير نظام المعسكرين وانهيار أحد طرفيه ستؤثر كثيراً في العلاقات بين الحركتين . وقد جاء التخلي التدريجي للحركة الإسلامية الإيرانية عن مرحلة (الراديكالية) وانتهاجها السياسة التي تعرف بالذاتوية وتوجهها أخيراً في سياستها الخارجية نحو تجديد العلاقات مع الكثير من البلدان الغربية وبعض البلدان العربية ، وخصوصاً الأردن وتونس والمغرب ومصر وبلدان الخليج الفارسي ، بمثابة خطوة كبيرة في اتجاه سياسة الإخوان المحافظة . ومن جانب آخر أدرك الإخوان ضرورة إعادة النظر ، ولو جزئياً في خططهم التقليدي بعد انتصار الإخوان المسلمين في السودان وسلوكهم نهجاً مخالفاً للنهج التقليدي للجماعة ، وبعد تصاعد إقبال الشباب على الإسلام الثوري وما تعرض له الإخوان من قمع مرة أخرى في بلدان شمال أفريقيا وغيرها ، وأخيراً بعد التجربة المرة التي مر بها الإسلاميون في الجزائر وتونس وسعيهم لإقامة حكومة إسلامية عن طريق النشاطات البرلمانية . وطبيعي أن تؤدي إعادة النظر هذه إلى تقارب كبير مع الجماعات الراديكالية المنبثقة من الإخوان وإلى الاقتراب من مواقف الجمهورية الإسلامية ، ومن ثم تعزز نقاط الالتقاء معها .

٤ ـ حرب الخليج : أدت حرب الخليج الثانية وهجوم أميركا وحلفائها على العراق إثر احتلاله الكويت ، إلى التفات الحركات الإسلامية ومنها جماعة الإخوان إلى دور إيران باعتبارها أهم بلد إسلامي معاد للغرب في المنطقة . ومن جانب آخر دفعت حدة الأزمة وموقف الشعوب الإسلامية الرافض الحركات الإسلامية ، وخصوصاً الإخوان المسلمين ، إلى إدراك موقعها التاريخي في هذه الظروف الحساسة . ونظراً إلى أهمية هذا الأمر في إعادة العلاقات بين الحركتين ، رأينا أن ندرسه من زاويتين :

أ ـ التأثير المباشر للحرب في العلاقات الحالية والمستقبلية بين الحركة الإسلامية الإيرانية والإخوان المسلمين ، دون أن نخوض في تقويم مواقف الإخوان وآثارها في التنظيمات العالمية للإخوان وإسهامها في زيادة الصراعات الداخلية بينهم . وفي هذا البحث نتناول المراحل الثلاث التي مرت بها الأزمة وآثار كل مرحلة في العلاقة بين الحركتين :

**المرحلة الأولى : احتلال العراق للكويت**

أصدر الإخوان وزعماؤهم في هذه المرحلة بيانات تدين النظام العراقي ، وكان أولها في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠ . ولكي نتعرف أكثر بطبيعة مواقف الإخوان نطالع آراء مأمون الهضيبي في هذا المجال ، باعتباره الناطق الرسمي الحالي باسم الإخوان ، ففي لقاء أجرته معه مجلة الشراع اللبنانية يقول : «في ١٣ آب / أغسطس أصدرنا بياناً قلنا فيه إن الاجتياح العراقي للكويت أمر غير مشروع وعُدوان ظالم على كل المستويات ، وحذرنا مما أصبح حاصلاً الآن ، وقلنا إن الاجتياح العراقي للكويت سيفتح باب التدخلات الأجنبية التي تتربص بالمنطقة لإعادة عهد الاستعمار الذي كان موجوداً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وناشدنا الرئيس العراقي سحب قواته من الكويت ، كما ناشدنا رؤساء الدول العربية وملوكها أن يتدخلوا بسرعة قبل أن تتدخل القوات الأجنبية . هذا هو موقفنا الذي اتخذناه علناً ونحن لم نعتمد غيره أبداً»(٩٩) .

وجاء في البيان الصادر عن الإخوان المسلمين في الحادي عشر من آب/ أغسطس : «يجب أن تسوّى (هذه الأزمة) بالوسائل السلمية ، وهي النبراس الذي نهتدي به والدستور الذي نخضع له . . . ثم طبقاً لأحكام ميثاق جامعة الدول العربية والقانون الدولي وغير ذلك من المواثيق والقوانين التي تنظم العلاقات بين الدول في الكيان الدولي» .

---

(٩٩) مجلة الشراع ، العدد ٤٧٣ ، بيروت ٢٩ نيسان ١٩٩١ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

وجاء في بيان آخر يحمل توقيع محمد حامد أبو النصر مرشد الإخوان الحالي في السادس من آب/ أغسطس : «وفي الآونة التي بدا أن الخلاف بين الكويت والعراق اتخذ طريقاً سلمياً للحل والتفاهم ، فوجئنا بالغزو العسكري للكويت . فكان هذا عملاً مروعاً ومثيراً للدهشة ومخيباً للآمال ولا يغيب عن الذهن أن هذا الحدث الضخم يفتح أبواب شر خطيرة وكبيرة ويؤثر في مجريات كفاح الشعوب الإسلامية في كل الأرجاء ، خاصة في فلسطين المحتلة ، ويُخشى أن يستغله العدو الصهيوني لتحقيق مآربه . . . لا تقر (الجماعة) استخدام القوة في العلاقات بين الدول العربية ، وهي تعارض كل تدخل عسكري من دولة عربية أو مسلمة ضد دولة أخرى» .

ويلاحظ المتتبع لمواقف الإخوان وإيران إزاء احتلال العراق للكويت أنها متوافقة كثيراً ، وليس ثمة اختلاف كبير بينها ، فالحركتان متفقتان على النقاط التالية :

١ ـ إدانة الاحتلال العراقي للكويت .

٢ ـ ضرورة حل الخلاف على مستوى بلدان المنطقة دون أي تدخل أجنبي .

٣ ـ عدم اللجوء إلى القوة في حل المشاكل المشتركة ، وتأكيد الحلول السلمية .

وبذلك تهيأت الظروف المناسبة لإعادة العلاقات بين هاتين الحركتين الإسلاميتين .

### المرحلة الثانية : مرحلة الحضور العسكري الأميركي في المنطقة

واجه زعماء الإخوان في البلدان المختلفة بالغضب القاطع قدوم القوات الأجنبية إلى أرض الحجاز المقدسة بدعوة من حكام السعودية ، وانعكس موقفهم السياسي والديني الرافض سلباً على علاقتهم مع حماتهم التقليديين في السعودية

وفي البلدان النفطية العربية الأخرى ، ومن ثم تهيأت أسباب تحسين العلاقة مع الجمهورية الإسلامية[١٠٠] .

وكان حامد أبو النصر مرشد الإخوان المسلمين قد أصدر بياناً لإدانة الحضور العسكري الغربي في المنطقة جاء فيه :

«تستنكر حركة الإخوان وتعارض بكل قوة التدخل الأميركي العسكري في أزمة الخليج أياً كانت الأسباب التي تتذرع بها حكومة الولايات المتحدة الأميركية ، والجماعة تعارض وجود القوات العسكرية أو غيرها من القوات الأجنبية وتطالب بانسحابها على الفور ، فوجودها أمر مرفوض على جميع المستويات وبكل المقاييس ، ومن شأنه أن يعيد صور الحماية والاحتلال السافرين للمنطقة» . وترفض حركة الإخوان رفضاً قاطعاً إرسال قوات عسكرية مصرية إلى السعودية «فإنه يكون من المرفوض رفضاً كاملاً إرسال أي قوات عربية بصفة عامة أو مصرية بصفة خاصة لأنه سيكون من المسلم به أن وضع القوات العربية في المنطقة سيكون وضع التابع للقوات الأمريكية وحليفاتها الأجنبية التي لها حق التصرف وحق المبادرة . . . .» .

وفي هذا المجال يقول مأمون الهضيبي :

«لما بدا أن القوات الأميركية بدأت تغزو المنطقة ، وهذا ما توقعناه ونحن لسنا بالبساطة لنقتنع أو نغش أنفسنا أن القوات الأميركية أتت لتحرير الكويت ـ هذا غير ممكن ـ القوات الأميركية أتت لتحافظ على مصالحها ولتضرب أية قوة عندنا وخاصة القوة التي يمكن أن تهدد إسرائيل من الوجود في فلسطين ، ولهذا

(١٠٠) في مؤتمر طهران وفي لقاء مع صحيفة (اطلاعات) يقول إبراهيم غوشه الناطق الرسمي باسم الإخوان المسلمين في فلسطين (حماس) في معرض رده على سؤال عن مدى صحة المزاعم القائلة باتباع حماس للسياسة السعودية قبل حرب الخليج وبأنها الممول الرئيسي لها : «تتخذ حماس قراراتها بصورة مستقلة وترفض أن يتدخل أحد في قراراتها ، لأننا مستقلون في إرادتنا وفي سياستنا . والدليل على استقلالنا السياسي هو موقفنا المستقل في حرب الخليج وإدانتنا للدعوة التي وجهتها السعودية للقوات الأجنبية ، إلاّ أن الكثير من المسلمين في السعودية وفي بلدان الخليج والأردن والمغرب العربي يساعدون حماس مادياً باعتبارها حركة إسلامية مجاهدة ، ونحن نقبل هذه المساعدات دون قيد أو شرط» .

عارضنا هذا الغزو الأجنبي وطالبنا الدول العربية والإسلامية أن تقوم بعمل تحمي به نفسها وتردع به العراق وتستعيد منه الكويت ولو بعد فترة . فهذا خير من أن نخسر كل شيء ونصبح كلنا مستعمرين من قبل قوات أجنبية ، وهذا ما حصل . وأصبحت أميركا ولأول مرة في التاريخ الدولة الوحيدة في التصرف بكل شؤون العالم . ومن خلال وضع يدها على النفط في هذه المنطقة أصبحت تتحكم بمعظم مصادر الطاقة في العالم ، وصارت تتحكم بالتالي بالصناعة الأوروبية واليابانية . وباختصار نحن ضد الغزو العراقي للكويت وضد التدخل الأجنبي أيضاً»(١٠١) .

ويلاحظ أن مواقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحركة الإخوان المسلمين في شأن أزمة الخليج واحتلال الكويت وحضور القوات الغربية في المنطقة تلتقي في النقاط التالية :

١ ـ إدانة حضور هذه القوات في المنطقة والسعي لإخراجها .

٢ ـ معارضة هجوم الحلفاء على العراق .

٣ ـ معارضة قرارات مجلس الأمن وحصاره الاقتصادي المفروض على العراق .

وقد أسهمت عدة أسباب ، منها ضغط الرأي العام للمسلمين وتغيير أسلوب إعلام صدام وتأكيده الشعارات الدينية والأهمية الكبيرة التي تتمتع بها إيران على صعيد الموقع الجغرافي والكثافة السكانية ومعاداتها للغرب وغير ذلك ، أسهمت في ترطيب الأجواء بين الإخوان والجمهورية الإسلامية ، وفي دفع الإخوان إلى إعادة علاقاتهم بها بعد سنوات من القطيعة . وبدأ هذا التحرك بزيارة

---

(١٠١) يرد مأمون الهضيبي على السؤال «يرى كثيرون أن مواقفكم خلال المعركة تحديداً كانت مؤيدة لصدام حسين؟» بما يلي : «أما بالنسبة إلى صدام حسين لم يكن بيننا وبينه في يوم من الأيام أي من أنواع العلاقة يمكن تفسيرها بأنها علاقة مودة أو حسنة أو حتى مهادنة ، فهو قتل كثيرين من الإخوان المسلمين وقتل الكثيرين من المسلمين السنة حتى لو لم يكونوا من الإخوان المسلمين فهو صاحب نظام استبدادي لا نقبله للعراق ولا لأية دولة أخرى . ـ مجلة الشراع العدد (٤٧٣) ـ ٢٩/ نيسان/ ١٩٩١ ـ بيروت ـ ص ٤٠ ، ٤١ .

شخصيات مهمة من الإخوان إلى إيران ومباحثاتهم في طهران تحت عنوان (الوفد الإسلامي) . وقد كتبت نشرة (الإنسان) الفصلية المقربة من الإخوان حول هذا الأمر تقول :

«كان سفر الوفد الإسلامي إلى طهران بهدف بحث الشؤون الإسلامية العامة وتنشيط العلاقات بين هذه المنظمات الإسلامية ونظائرها من المؤسسات الدينية والفكرية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتبادل الخبرة والمعرفة في حقول التربية الإسلامية وتطبيق المنهج الإسلامي وتحديد أساليب التعاون في جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم أمام الأخطار ، وكذلك تبين موقف إيران من أحداث الخليج ، وقد اجتمع الوفد مع آية الله خامنئي قائد الثورة الإسلامية ، وهاشمي رفسنجاني رئيس الجمهورية الإيرانية ، ورئيس مجلس الشورى ونائبه وعدد من أعضاء المجلس ومجلس الخبراء والسيد بشارتي نائب وزير الخارجية وبعض رؤساء الأقسام في الوزارة وعدد من العلماء والمفكرين من مؤسسات علمية مختلفة . وقد تبودلت بين المسؤولين الإيرانيين وأعضاء الوفد أحاديث صريحة حول أهداف الزيارة وموقف إيران من أزمة الخليج والدور الذي يمكن أن تمارسه لإبعاد شبح الحرب عن المنطقة والتوصل إلى حل عربي ـ إسلامي يؤكد الحقوق المشروعة لجميع الأطراف والإسهام في كسر الحصار العدواني على العراق . وقد اتسمت هذه اللقاءات بالعمق والوضوح والحرص على جمع الكلمة الإسلامية وقد شكر الوفد لقائد الثورة ورئيس الجمهورية مشاعر الأخوة التي أحاطت بالوفد طيلة زيارته لإيران الشقيقة كما اتفق الجميع على مواصلة اللقاءات لخدمة أهداف الشعوب الإسلامية وتطلعاتها في سيادة المنهج الإسلامي وما يحققه من أسباب القوة والمنعة والعدالة وبناء وحدة حقيقية تحمي أوطان المسلمين من أطماع الطامعين . وقد اتسمت جميع اللقاءات في العواصم الأربع بروح المودة والاحترام والحرص على الحوار المسؤول الذي يزيل الشكوك ويرسي دعائم الثقة ويوجه الجميع نحو خدمة الأهداف الإسلامية[١٠٢]» .

وفي سياق التأكيد على الدور المهم الذي تنهض به إيران في المنطقة ، يشير إبراهيم غوشه الناطق الرسمي باسم حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين

(١٠٢) مجلة الإنسان ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٩١ ، باريس .

(حماس) إلى اختلاف وجهات النظر بين الحركتين ، ويقول : «افتخر بزيارتي للجمهورية الإسلامية ثلاث مرات خلال أزمة الخليج ، فقد زرتها في أيلول وتشرين الثاني من عام ١٩٩٠ وفي شباط عام ١٩٩١ مع اندلاع الحرب . وكنا في وفد يضم إخواناً من أجنحة مختلفة يهدف لعرض آرائه . وكانت مواقفنا متقاربة مع المواقف الإيرانية ، فقد كنا ندين دخول القوات العراقية للكويت وحضور القوات الأميركية والغربية إلى المنطقة ، ونطالب بانسحابها ، وندعو الإخوة العراقيين والكويتيين أن يحلوا مشاكلهم في إطار العالم العربي . وكان لنا خلاف بسيط مع الجمهورية الإسلامية ، فقد كنا نقول للإخوة الإيرانيين إنه على الرغم من الخلافات بين العراق وإيران إثر حرب الثماني سنوات ، فإن العدو الأميركي إذا ما انفرد بالعراق فسيقضي عليه ومن الممكن أن يفعل بإيران مثل ذلك غداً ، وكنا نقول إن المصلحة تقتضي أن يقف الإخوة الإيرانيون إلى جانب الشعب العراقي لتقف قوة البلدين بوجه الهجوم الأميركي لئلا تنفرد بأحدهما . وكان هذا اقتراحنا دائماً . وفي لقائنا الإخوة العراقيين كنا نقول لهم إننا نعارض هذه الحرب ونطلب منهم أن يخرجوا قواتهم من الكويت ليستخدموها ضد الإسرائيليين»(١٠٣) .

ويبدو أن عدم الرضا من الموقف الإيراني كان أعمق مما هو في المواقف الرسمية ، ففي حديث لأبي عمرو المصري يقول : «أتصور أن الإخوان يعتبرون إيران مقصرة إزاء الحرب (حرب الخليج) وخاصة بعد زيارة الوفد لإيران . وهناك عناصر من غير الإخوان لم تر أن الزيارة كانت إيجابية»(١٠٤) .

**المرحلة الثالثة : الهجوم العسكري للحلفاء وهزيمة العراق**

خيَّم الإحباط على الحركات الإسلامية بعد هزيمة العراق في حربه مع الحلفاء . وأثيرت حساسية السنة ومنظماتهم بشكل مفرط بعد أن نشط العراق في تغطية هزيمته المنكرة واتهامه إيران وتركيا بتحريض الأكراد في الشمال والشيعة في الجنوب على الثورة وإثر دعايات الإعلام الغربي في صدد الأخطار الناتجة من

(١٠٣) مقابلة مع الناطق الرسمي لحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ، صحيفة (اطلاعات) الإيرانية العدد ١٩٤٦٤ ، ٢ نوفمبر ١٩٩١ .

(١٠٤) لقاء شخصي في بيروت مع إبراهيم المصري إحدى الشخصيات الإخوانية البارزة .

إقامة دولة شيعية في جنوب العراق . وبلغ الأمر ببعض المعترضين على موقف إيران المحايد تجاه الهجوم الغربي وعدم دعمها للعراق عملياً أن اتخذوا مواقف سلبية من إيران . فعلى سبيل المثال ينتقد مأمون الهضيبي المستشار السياسي للإخوان المسلمين في مصر موقف إيران وتركيا ويقول : «إنهم يريدون تدمير العراق ، فهناك أطماع إيرانية بالاستيلاء على الولاية الشيعية ، أو على الأقل بإقامة ما يسمى بولاية شيعية تبقى تحت حمايتها وتدخل في حوزتها ، والأكراد في الشمال (الذين يريدون الأمر نفسه) تستعملهم تركيا لإضعاف العراق . . . وإن تأييد إيران للشيعة في جنوب العراق يؤكد الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة ويعمِّقه ، وإن كنا نرجو أن لا تصبح الدولة الإيرانية دولة طائفية»(١٠٥) .

بينما نرى الإخوان المسلمين في الكويت الذين أغضبهم موقف الإخوان ودفعهم إلى الخروج من التنظيم العالمي ، يعتبرون موقف الإيرانيين موقفاً صحيحاً وواضحاً ، ويعتقدون «أن الإيرانيين عارضوا حركة صدام في الوقت الذي وقفوا ضد الأميركيين ، ومن ثم فهم لم يؤيدوا أميركا وصداماً معاً ، لأنهم كانوا ينظرون إليهما بعين واحدة . ولم يكن في وسع إيران أن تستغل حاجة صدام إليها فتؤمن له طلباته»(١٠٦) .

وعلى أية حال كان لموقف إيران من النظام في العراق وإدانتها له في المحافل العالمية وإعادة علاقاتها مع بلدان الخليج ، وأخيراً دعمها لانتفاضة الشيعة في الجنوب والأكراد في الشمال ، انعكاس سلبي على العلاقات بين الإخوان وإيران .

## دراسة مستقبل العلاقات بين الحركتين

تركت أزمة الخليج أثرها في الأجنحة المختلفة لجماعة الإخوان ، وخصوصاً في التنظيم الدولي للجماعة ، ودار خلاف كبير بينها تركز بصورة أساسية على

(١٠٥) مجلة الشراع ، العدد السابق .

(١٠٦) مقابلة مع الدكتور إسماعيل الشطي زعيم الإخوان المسلمين في الكويت والعضو السابق في مجلس قيادة التنظيمات العالمية للإخوان المسلمين ، صحيفة كيهان الإيرانية ، العدد ١٤٤٣٩ ، ١٩٩٢ ، ص ١٢ .

إدانة «المعتدي» وتدخل القوى الأجنبية في المنطقة . وكان الخلاف ينحو منحى دينياً وفقهياً في بعض الأحيان(١٠٧) . ومما زاد من تعقيد الأمور حضور قوات الحلفاء في أرض الحجاز المقدسة ، واللهجة الإسلامية التي كان يتحدث بها صدام ، وهجومه الصاروخي على إسرائيل ، العدو التقليدي للمسلمين ، والمأساة الإنسانية الناتجة من الحصار الاقتصادي المفروض على العراق . ففي الوقت الذي بادر الإخوان في مصر فور احتلال العراق للكويت إلى إصدار بيان دانوا فيه هذا الاعتداء وطالبوا بانسحاب القوات العراقية ، نرى أن الإخوان في الأردن كانوا على العكس يطالبون (بدعم العراق ومساندته) ، وهم في الواقع إنما يحذون حذو الإخوان المسلمين في سوريا ، ذلك «أن الحملة المسعورة ضد العراق لا تستهدفه وحده بل تستهدف الكيان العربي والإسلامي كله» . وبعد ذلك إن غالبية التنظيم الدولي قد انحازت للموقف العراقي ، وذلك إثر الاجتماع الذي عقدته الجماعة الإسلامية في باكستان في ١٧ شباط/ فبراير الماضي وشاركت فيه وفود إخوانية من بعض الأقطار العربية والسودان فلم يشر هذا الاجتماع إلى الغزو العراقي وطالب ببناء جبهة إسلامية لمواجهة «الهجمة الاستعمارية الشرسة على البلاد الإسلامية» . ثم جاء المؤتمر الشعبي الإسلامي الذي عقد في الخرطوم بعد ذلك ليدعم قرارات اجتماع الباكستان ، ولم يكن أمام جماعة الكويت ومن شايعهم

---

(١٠٧) وأخذ الخلاف في بعض الحالات طابعاً دينياً وفقهياً حول تفسير الآية الكريمة ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾ فاعتبرت الغالبية من الإخوان في البداية أن مهمتها هي تحقيق الصلح بين الطائفتين لكن بعد التدخل الأجنبي ركزت تلك الغالبية على طرد الأجنبي . بينما اعتبر إخوان الكويت ومعهم قطاعات واسعة من الإخوان في البلدان العربية والإسلامية أنه لم يحدث في الأصل قتال بين طائفتين «بل هو غزو من العراق للكويت ، كان يستوجب قتال الإخوان للغزاة» . وفي هذا السياق تشير رسالة إخوان الكويت للمرشد العام للإخوان المسلمين في مصر إلى هذا الأمر فتقول : «لقد فجعنا بالمبادرة الإخوانية التي لا تعترف بالبغي الذي وقع على أهل الكويت والذي تمثل في هتك الحرمات ، إننا لم نكن في حالة اقتتال حتى يرسل التنظيم الدولي وفداً للمصالحة . لقد بغوا علينا وغدروا بنا والحالة التي كنا فيها هي الحالة الواردة في الجزء الثاني في الآية الكريمة : ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾ . فلماذا الوساطة بين الجاني والمجني عليه . . القاتل والضحية ! !» .
ثم تمضي الرسالة الكويتية إلى المرشد العام فتقول : «ويا ليت أدت الوساطة إلى الأغراض التي أعلن عنها في الأردن ، إذ إنه بدأ يتحول من وفد وساطة إلى وفد مساندة للنظام المعتدي في العراق» . . ثم تشير الرسالة إلى تحول الوفد إلى «بوق إعلامي للنظام العراقي» .

من القيادات الإخوانية في بعض الأقطار العربية والإسلامية ، إلاّ أن يعتبوا على المرشد العام في رسالة أخرى تتهم الإعلام الإخواني بأنه «ساهم في حجب الأنظار عن مأساة أهل الكويت التي صنعتها مجازر النظام العراقي ومدينة البيان الذي صدر في باكستان» . وفي خطوة احتجاجية على المواقف «غير الشريفة»[١٠٨] أعلنت جماعة الإخوان المسلمين في الكويت رسمياً (خروجها من التنظيمات العالمية وتغيير اسمها من الإخوان المسلمين إلى الحركة الإسلامية الدستورية)[١٠٩] .

ووجدت إيران نفسها في موقع خاص إزاء هذا الإفراط والتفريط وهذه المواقف غير المتجانسة التي وقفها الإخوان المسلمون في أزمة الخليج .

ومن جانب آخر وجد موقف إيران المتعقل في أزمة الخليج ، على الرغم من خلافها القائم مع العراق وعدم استغلالها الظرف المناسب للانتقام من خصمها اللدود ، أصداء طيبة في نفوس الإخوان على الرغم من وجود بعض الانتقادات الجزئية من بعض فروع التنظيمات العالمية للإخوان ، وقد دفعت أجنحة الإخوان المختلفة بفعل ذلك إلى تبادل الآراء مع الجمهورية الإسلامية وإلى إقامة العلاقة معها . ومما أكد أحقية الموقف الإيراني في نظر الإخوان التطورات التالية للحرب وما رأوه من قمع وحشي في معاملة النظام العراقي لشعبه .

### حل القضية الفلسطينية

وجدت الشعوب والحركات الإسلامية نفسها في موقع شديد الحساسية إثر تصميم الحلفاء على حل القضية الفلسطينية حلاً سلمياً نهائياً وقبولهم بسيطرة

---

(١٠٨) الكلمة التي استعملها إسماعيل الشطي زعيم الإخوان المسلمين في الكويت في لقائه مع صحيفة كيهان . صحيفة كيهان ، العدد ١٤٤٣٩ ، ١٩٩٢ .

(١٠٩) يرى المتتبع للبيانات الصادرة عن الأجنحة المختلفة للإخوان المسلمين في مختلف البلدان بهذه المناسبة في الفترة الواقعة بين احتلال الكويت وتحريرها الاختلاف الكبير في وجهات النظر بين هذه الأجنحة من جانب ، والتغير الكبير في مواقف الجناح الواحد من جانب آخر ، فعلى سبيل المثال نرى حركة النهضة في تونس تصدر في وقت بياناً لها تحت عنوان (لبيك عراق العروبة والإسلام) ، ثم تعتبر في وقت آخر أن الحل الأفضل هو (استقالة صدام حسين دكتاتور العراق) .
انظر : مجلة الإنسان ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، نيسان ١٩٩١ . ومجلة العالم ، العدد ٣٩١ ، آب ، ١٩٩١ .

إسرائيل على الأراضي المحتلة ، والذي جاء كنتيجة طبيعية من نتائج حرب الخليج وإثر موافقة جميع الحكومات العربية تقريباً على إقامة مؤتمر السلام في مدريد . وهنا برزت طهران مرة أخرى برفعها راية الرفض لإقامة هذا المؤتمر ومؤتمرات السلام الأخرى ولتسوية القضية الفلسطينية بالطرق السلمية وبدعوتها زعماء الحركات الإسلامية والوطنية لمؤتمر (دعم الثورة الإسلامية للشعب الفلسطيني) في طهران ، مما جعلها تحتل مكانة جديدة في نفوس المسلمين وكأنها قبلة آمالهم .

وفي مثل هذه الظروف التي قطعت كل الآمال ، بدأ الإخوان المسلمون صفحة جديدة في علاقاتهم مع الجمهورية الإسلامية ، كان أبرز معالمها الحضور الفاعل لزعماء الإخوان من البلدان والأجنحة المختلفة في المؤتمر المذكور ، ومباحثاتهم المكثفة مع مسؤولي الجمهورية الإسلامية .

# الخلاصة

نخلص مما مرَّ بنا ومن خلال متابعة التطورات العالمية الخطيرة والظروف الخاصة التي تمر بها الحركات الإسلامية ، أن العلاقات المشتركة بين الإخوان والجمهورية الإسلامية في طريقها إلى التحسن ..ونختم بحثنا بإعادة ذكر بعض الأدلة التي أوردناها سابقاً لدعم الرأي الذي خلصنا إليه :

١ ـ أصبحت أميركا العدو رقم واحد بالنسبة إلى الإخوان بعد انهيار الماركسية وانتهاء حرب الخليج والقضية الأفغانية ، وفي خضم النظام العالمي الجديد .

٢ ـ توتر علاقات الإخوان بحماتهم التقليديين في العربية السعودية وبلدان الخليج النفطية إثر دعوة هذه البلدان للحلفاء واشتعال حرب الخليج ، ومشاركتها في مؤتمر مدريد ، وقطعها المساعدات عن المجاهدين في أفغانستان .

٣ ـ موقف إيران المعارض من الحلول المقترحة في شأن القضية الفلسطينية ، وإصرارها على المعارضة رغم الضغوط الدولية .

٤ ـ الموقف الحاسم الذي وقفته إيران من أوضاع الجزائر ودعمها المعنوي القوي للإسلاميين الفائزين في الانتخابات الأخيرة .

٥ ـ من الممكن أن يذهب الإخوان بفعل النتائج المذلة لحرب الخليج وبعد فشل أطروحة الإخوان بتقديم (الإصلاح) على (الجهاد) إثر موقف القوى الدولية من نتائج الانتخابات الجزائرية ، إلى التقرب من الحركات الإسلامية الأصولية في العالم العربي ، ومن ثم إلى التعايش مع أفكار الثورة الإسلامية الإيرانية .

ونقول هنا إن دراستنا لمستقبل العلاقات بين الإخوان والجمهورية الإسلامية تقوم على افتراض احتفاظ الإخوان بوجودهم وموقعهم . ومن ثم لا بد أن تواجهنا التساؤلات التالية :

ـ هل الافتراض المذكور صحيح وواقعي؟

ـ ألا تجعل الانشقاقات غير الرسمية المتتالية وظهور حركات إسلامية راديكالية وثورية في سائر أنحاء العالم العربي موقع الإخوان ووجودهم أمام خطر حقيقي؟

ـ هل يستطيع الإخوان الاحتفاظ بأهميتهم السابقة في خضم التطورات الكثيرة الأخيرة؟

ـ وأخيراً هل ستكون العلاقات المشتركة متوازنة ، وهل تحقق أهداف الجانبين؟

من الطبيعي أن الجواب النهائي على هذه التساؤلات سيكون ناقصاً وبعيداً عن الواقع ما لم تؤخذ في الحسبان الحسابات المختلفة ، ومن هنا يجب أن نبحث في هذا الأمر ولو قليلاً :

من المعروف أن جماعة الإخوان المسلمين بقيت منذ تأسيسها في أواخر العشرينات وحتى بداية السبعينات ، الجماعة الإسلامية التي لا تنازع في الساحة السياسية والاجتماعية والدينية في أكبر بلد عربي سني (مصر) ، ولم يكن أي تيار إسلامي قادراً على منافستها حتى في أحلك الظروف التي مرت بها ، فقد ظلت تبسط ظلالها على المجتمع المصري حتى بعد تعرضها لأشد حالات التعذيب والقمع في العهد الناصري ، ولم يكن أحد يجرؤ على الادعاء بانتهاء أو ضعف دور الجماعة في الساحة الاجتماعية والثقافية المصرية ، ولم يكن أي حزب أو تجمع قادراً على أن يحل محلها .

ولم يحدث أن واجهتهم تيارات إسلامية معارضة إلاّ بعد خروجهم من السجن على يد السادات في أواسط السبعينات ودخولهم الساحة السياسية في البلاد .

وبذل الإخوان جهوداً كبيرة في البداية لاحتواء هذه التيارات وتذويبها في الجماعة ، إلاّ أنهم فشلوا في تحقيق ذلك بفعل ظروف سياسية واجتماعية جديدة ظهرت في العالمين العربي والإسلامي . وزادت هذه التيارات من التزامها بمواقفها ومعارضتها للإخوان داعية إياهم إلى انتهاج الأصولية والعنف . وكانت النتيجة أن

بدأ مستوى حضور الإخوان يتراجع منذ أواسط السبعينات ، ولم يستطيعوا البقاء منفردين في الساحة الاجتماعية والثقافية بعد أن ظهرت عشرات التيارات والجماعات الإسلامية في كثير من البلدان العربية . وإلى جانب عوامل ظهور الأصولية التي أوردناها في الفصل الأول ، يمكن أن نحدد عوامل تدني مكانة الإخوان بما يلي :

١ ـ أسهمت الظروف الجديدة التي ظهرت في العالم العربي ، وخصوصاً في مسقط رأس الإخوان (مصر) بعد سفر السادات إلى إسرائيل وعقده اتفاقية كامب ديفيد مع العدو التقليدي للإخوان . وكذلك أسهمت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الناتجة من سياسة الأبواب المفتوحة التي اتبعها النظام المصري ، في القضاء على الحلول السلمية وعلى خط الاعتدال وكل خط محافظ ، ودفعت الشباب المسلم نحو العنف .

٢ ـ كانت الآثار الأيديولوجية الناتجة من انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ، ونجاح الأسلوب الثوري الراديكالي للشيعة في القضاء على إحدى أبرز القوى العسكرية والسياسية في العالم ، وطرح شعارات جديدة في مختلف شؤون الحكم ، والانتصارات المتلاحقة التي أحرزتها الثورة في مواجهة مؤامرات القوى الأجنبية ، واستمرار الحكومة الإسلامية . . كان كل ذلك مثاراً للتساؤلات حول جدوى الأساليب التقليدية التي جربت في السابق على صعيد المواجهة .

٣ ـ كان الخوف المتزايد لدى الأنظمة العربية من اتساع نشاط الجماعات الإسلامية الراديكالية سبباً لتعاملها القمعي مع هذه الجماعات للحد من خطرها المتفاقم ولقطع الطريق على أي علاقة مع الحركة الثورية في إيران ، وهذا ما أدَّى إلى تجذير الاتجاه الراديكالي في هذه الجماعات وإلى إثارة التساؤلات حول تنظيمات الإخوان والجماعات المحافظة ، ودفعها إلى اتخاذ موقف سلبي .

٤ ـ فقدت الجماعة كبار قادتها ورجالها البارزين ، وتزعمها رجال من الدرجة الثانية والثالثة ، ولا تخلو أجواؤهم من التنافس فيما بينهم ، وانحلال التنظيم الدولي للجماعة ، وعجزت كوادر الجماعة حتى الآن عن انتخاب زعيم أو مرشد

لها بعد وفاة حسن الهضيبي . . ومن غير الممكن أن تخلو هذه الأمور مجتمعة من التأثير سلبياً في قوة الإخوان ومكانتهم .

٥ ـ النجاح الكبير وغير المتوقع الذي أحرزته (الجبهة القومية الإسلامية) وهي سابقاً جبهة الإخوان المسلمين في السودان والجناح المعارض والمنافس للإخوان في مصر ولتنظيمهم الدولي ، في إقامة أول حكومة إسلامية في بلد عربي سني منذ تأسيس الإخوان وحتى الآن ، وتحقيق ذلك بأسلوب غير مألوف ومرفوض أساساً لدى الإخوان ، وهو أسلوب (الانقلاب العسكري) ، وظهور هذه الحكومة في مظهر (النموذج) و(المحور) بالنسبة إلى جميع الجماعات والتيارات الإسلامية الراديكالية والثورية في سائر أنحاء العالم السني .

٦ ـ كسب تيار غير إخواني في الجزائر (جبهة الإنقاذ الإسلامي) لقاعدة شعبية واسعة ، ونجاحه الكبير في الساحة السياسية وفي انتخابات البلاد بأسلوب غير معروف وغير مقبول لدى الإخوان ، على الرغم من وجود المعارضة الضمنية من قبل الإخوان في مصر ووجود حزب حماس ـ الإخوان المسلمين في الجزائر ـ بزعامة نحناح ومعارضة هذا الحزب لجبهة الإنقاذ وإدانته لها .

٧ ـ التحولات التي حصلت داخل الجماعة إثر حرب الخليج الثانية ، وانشقاق الإخوان المسلمين في الكويت ، وقطع البلدان الخليجية مساعداتها المالية عن الجماعة لعدم اتخاذها موقفاً حاسماً ضد صدام حسين لاحتلاله الكويت .

وهكذا فإن هذه العوامل مجتمعة أو منفردة أدَّت إلى إضعاف جماعة الإخوان وإحداث الانشقاقات فيها ، وإلى ظهور جماعات راديكالية جديدة وإحياء الجماعات المنشقة عن الإخوان ، ومنها الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية (التكفير والهجرة) والجماعات الإسلامية الأخرى في مصر ، وحركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة) في تونس ، والجبهة القومية الإسلامية في السودان ، وجبهة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر ، والنفير الإسلامي وشباب محمد في الأردن ، وحزب الله في فلسطين المحتلة وعشرات الأحزاب والمنظمات والتجمعات الصغيرة الأخرى .

إلاّ أن هذا لا يعني انتهاء أمر جماعة الإخوان المسلمين ، بل ثمة أدلة كثيرة تشير إلى أن هذه الجماعة ما زالت تحتفظ بوجود قوي في العالم العربي ولا يمكن تجاهلها في العلاقات بين الجمهورية الإسلامية والعالم الإسلامي .

وسوف تكون جماعة الإخوان قادرة على الاحتفاظ بمكانتها وقوتها في المستقبل مع توافر العوامل التالية :

١ ـ أصبحت الجماعات الإسلامية الراديكالية في العقد الماضي (عقد الثمانينات) وخصوصاً في السنوات الأخيرة ، عرضة لأشد حملات القمع من قبل الأنظمة التي أحست بخطر هذه الجماعات ، ومثال ذلك القمع الدموي الذي تتعرض له حركة الاتجاه الإسلامي في تونس ، والمواجهات اليومية بين الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية من جهة والنظام المصري من جهة أخرى ، والحملات الشرسة التي تتعرض لها جبهة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر على الرغم من خطها المعتدل نسبياً في بداية أمرها ، والنشاطات التي تقوم بها الخلايا الأولية للنفير الإسلامي وشباب محمد في الأردن . ومن الطبيعي أن الضربات المتتالية التي تتعرض لها هذه الجماعات تسلب منها كل قدرة على التحرك والمبادرة ، وتجعل عملها مقتصراً على ردود الفعل ، بينما نجد جماعة الإخوان بفروعها تتمتع بحرية نسبية في ممارسة نشاطاتها السياسية والاجتماعية والثقافية وفي إعادة بناء تنظيماتها .

٢ ـ كانت إعادة تنظيم الإخوان المسلمين في فلسطين المحتلة والإعلان عن وجودهم باسم (حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس) ، والتزامهم الخط الجهادي ضد الكيان الصهيوني ، وتنامي وجودهم باستمرار ودورهم الأساسي في انطلاقة انتفاضة الشعب الفلسطيني ومنافستهم لكبريات المنظمات الفلسطينية الفاعلة . . كان كل ذلك بمثابة رد اعتبار كبير للإخوان . وإضافة إلى ذلك فإن النجاح الذي حققه الإخوان في الأردن في الانتخابات البرلمانية وحضورهم الواسع في الساحة السياسية بعد التطورات الناتجة من حرب الخليج ومن الحريات السياسية التي منحها ملك الأردن ولو بصورة محدودة ، رجح كفة الإخوان المسلمين بصورة واضحة في العالم العربي .

٣ ـ كما ذكرنا سابقاً فإن الأغلبية الساحقة من التيارات الإسلامية الراديكالية كان لها جذور في جماعة الإخوان ، وأغلب زعمائها من الذين تربوا في هذه الجماعة ، وعلى الرغم من وجود خلافات كثيرة بينهم وبين الجماعة ، فإنهم لم يريدوا أو لم يستطيعوا أن يسيئوا إليها أو يواجهوها مواجهة علنية وعميقة ، وكل ما حصل بين الجانبين حتى الآن يبقى في إطار الانتقادات الداخلية دون أن يتجاوز أعضاء هذه التيارات . ومن هنا فإن صورة جماعة الإخوان لا تزال غير مشوهة في أذهان الناس ، بل تعتبر مقدسة في كثير من البلدان .

وأما الهجمات الإعلامية الأخيرة فهي ذات صفة صحفية تهدف إلى الإيقاع بين هذه التيارات وإلى تحقيق أهداف رسمتها الأنظمة(١١٠) . وآية ذلك المواجهات العلنية والرسمية بين بعض الجماعات ، مثل الجهاد الإسلامي وحماس في فلسطين ، والجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين في مصر ، والجبهة القومية الإسلامية في السودان والتنظيم الدولي للإخوان ، وجبهة الإنقاذ الإسلامي وحماس في الجزائر ، وحركة النفير الإسلامي والإخوان المسلمون في الأردن .

٤ ـ في الوقت الذي جعل الزعماء الشباب وغير المعروفين للحركات الراديكالية والثورية الحديثة (جهاد) الحكومات في طليعة أهدافهم ، مما جعلهم يعيشون ظروفاً صعبة ويحرمون من أي نشاطات أخرى ، نرى أن الإخوان لا يواجهون مثل هذه الظروف ، بل يسعون إلى تقوية وجودهم مستفيدين من ماضيهم الذي يمتد إلى ستين سنة ومن امتلاكهم لعشرات المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية ، ومن وجود الكوادر العقيدية المجرِّبة .

٥ ـ يعتبر الناس أن قمع الحكومات والأجهزة الدينية الرسمية المرتبطة بها للتيارات الإسلامية الراديكالية أهون بكثير منه بالنسبة إلى جماعة الإخوان المسلمين ، حتى إن بعض الأنظمة وجدت من الضروري تماماً تقوية جماعة الإخوان في سبيل قمع التيارات الثورية البديلة .

(١١٠) آخر تقرير في هذا المجال ، مقالة تحت عنوان ، وثيقة سرية للجهاد الإسلامي : (الإخوان ، منظمة كافرة) نشرتها مجلة روز اليوسف ، العدد ٣٣٦٩ ، ٤/ ١/ ١٩٩٣ ، مصر .

ويعترف الإخوان بهذا الأمر ، ويحاولون الإفادة من التناقض الموجود لإدامة وجودهم وحفظ موقعهم . وهم يعتبرون أن اعتدالهم وتطرف التيارات الراديكالية السبب الأبرز لكسبهم الشرعية ، ومن ثم دأبوا على تحذير الأنظمة من العواقب الوخيمة المترتبة على استبدالهم بالتيارات الثورية المتطرفة .

٦ ـ على الرغم من كل هذه التطورات ، فإن جماعة الإخوان ما زالت تحتفظ بموقعها التقليدي في كثير من البلدان العربية ، وتتمتع بشعبية كبيرة نسبياً . ومن العوامل التي هيأت هذا الأمر للإخوان طبيعة الشعوب العربية وشدة الهجمات الإعلامية التي تشنها الأنظمة على الجماعات الأصولية ، والخط المعتدل الذي يلتزمه الإخوان ، إضافة إلى طبيعة الاعتدال التي يتميز بها المذهب السني ، وهو مذهب أغلب المسلمين في العالم العربي .

من جانب آخر فإن المثقفين المتدينين يشكلون قاعدة مهمة للإخوان ، وما نجاحهم المستمر في انتخابات نقابات الصحفيين والمحامين وغيرها إلاّ شاهد على قوة وجودهم في هذه المحافل المثقفة .

وفي المقابل ، نجد أفكار الجماعات الراديكالية والثورية غير مألوفة في كثير من المواقع ، في الوقت الحاضر على الأقل ، وتوصف بأنها بدع وخروج عن إجماع المسلمين . ورغم أن تغيير الظروف في السنوات الأخيرة كما في الجزائر وبعض المناطق في مصر ، قد رجّح كفة هذه الجماعات ، إلاّ أن الشيء المعروف في الوقت الحاضر وفي الظروف الراهنة ، على الأقل ، ان الاخوان المسلمين لم يفقدوا القاعدة الشعبية التي تؤيد خطهم في كثير من البلدان العربية .

# المصادر

# المصادر الفارسية


١ ـ إخوان المسلمين ، بهمن آقايي ـ خسرو صفوي .
٢ ـ شكوفايي انقلاب إسلامي در مصر ، محمد علي نقوي ، انتشارات نور ، ١٣٦١ .
٣ ـ جنبشهاي إسلامي درجهان عرب ، هرايردكمجيان ، ترجمة حميد أحمدي .
٤ ـ كرايشهاي سياسي درجهان عرب ، مجيد خدوري ، ترجمة عبد الرحمن عالم .
٥ ـ كتاب خاطرات حسن البنَّا ، جلال الدين فارسي ، دفتر نشر فرهنك إسلامي .
٦ ـ سيري دراندیشه هاي سياسي عرب ، حميد عنايت .
٧ ـ أنديشه سياسي درإسلام معاصر ، حميد عنايت .
٨ ـ رويارويي مسلكها وجنبشهادر خاورميانه ، علي سمان .
٩ ـ أنديشه إصلاحي درنهضتاي إسلامي ، محمد جواد صاحبي ، انتشارات كيهان ، چاپ أول ، تهران ، ١٣٦٧ .
١٠ ـ شش كفتار درباره دين وجامعة ، حميد عنايت .
١١ ـ زمينه هاي تفكر سياسي ، محمد مسجد جامعي ـ انتشارات الهدى ، تهران .
١٢ ـ إحياي تفكر إسلامي ، أستاذ شهيد مرتضى مطهري .
١٣ ـ ولايت فقيه «حكومت إسلامي» ، إمام خميني ، انتشارات أمير كبير ، تهران ١٣٦٠ .
١٤ ـ سير سوسياليزم در مصر ، حميد عنايت ، انتشارات خوارزمي ، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي ، چاپ دوم ، ١٣٦٥ .
١٥ ـ پيامبر وفرعون ، زيل كوپل ، ترجمة حميد أحمدي ، انتشارات موسسه .
١٦ ـ بنياد كرائي إسلامي ، ديلپ هيدر ، انتشارات بالادين ـ لندن .

# المصادر العربية


١ ـ الإخوان المسلمون بين إرهاب فاروق وعبد الناصر ، علي صديق ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٨٧ .

٢ ـ الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ، زكريا سلمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى : ١٩٨٧ .

٣ ـ الإخوان المسلمون ، ريتشارد ميتشل ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٤ ـ الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (٣ جلدات) ، محمود عبد الحليم ، دار الدعوة للطبع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٥ ـ الإخوان المسلمون والصلح مع إسرائيل ، كروم حسنين .

٦ ـ الإخوان المسلمون نحو جيل مسلم .

٧ ـ الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ، كامل الشريف ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥١ .

٨ ـ الإخوان المسلمون لسان حال دعوة الحق والقوة ، زكريا خورشيد .

٩ ـ الإخوان المسلمون على مذبحة المناورة ، طارق المهدوي ، دار آزال ـ بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٩٨٦ .

١٠ ـ الإخوان المسلمون والتنظيم السرِّي ، عبد العظيم رمضان .

١١ ـ الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ، د . موسى الحسيني ، دار بيروت للطباعة ـ بيروت ، ط٢ : ١٩٥٥ .

١٢ ـ إخوان المسلمين وتاريخها ، إسحق موسى الحسيني ، بيروت .

١٣ ـ إخوان المسلمون نشأة مشبوهة وتاريخ أسود ، بدون ذكر المؤلف ، منشورات مكتب الإعدادي دار تشرين ، دمشق : ١٩٨٥ .

١٤ ـ حركة الإخوان المسلمين في السودان ، حسن مكي محمد أحمد ، جامعة الخرطوم .

١٥ ـ مذابح الإخوان في سجون ناصر ، جابر رزق ، دار الاعتصام .

١٦ ـ كيف يفكر الإخوان المسلمون ، أحمد محمد شاموق ، دار الفكر ـ الخرطوم ١٩٨١ .

١٧ ـ أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان ، حسين محمد أحمد حمودة ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة .

١٨ ـ التنظيمات الإسلامية في مصر ، محمد محفوظ ، رياض الريس ، لندن .
١٩ ـ لمصر لا لعبد الناصر ، محمد حسنين هيكل ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .
٢٠ ـ الحركة السياسية في مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٦٥ ، طارق البشري ، دار الشروق ،القاهرة
٢١ ـ مصر في عصر السادات ، د . عبد العظيم رمضان ، دار الرقي بيروت ، ط ١ : ١٩٨٦ .
٢٢ ـ الجماعات الإسلامية في جامعات مصر ، بدر محمد بدر ، ط ١ : ١٩٨١ ، القاهرة .
٢٣ ـ النقط فوق الحروف ـ الإخوان المسلمون والنظام الخاص ، أحمد عادل كمال ، الزهراء للإعلام العربي ، چاپ أول : ١٤٠٧ .
٢٤ ـ التنظيمات الإسلامية في مصر (الذين ظلموا) ، محمد محفوظ ـ رياض الريس ـ لندن .
٢٥ ـ الشيخ حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمين ، رؤوف شبلي ، دار الأنصار ، ١٩٧٨ .
٢٦ ـ الحركات الإسلامية في مصر ، الدكتور حسن حنفي ، المؤسسة الإسلامية للنشر ، ط ١ : ١٩٨٦ .
٢٧ ـ الحركات الإسلامية في مصر (رواية واقعية لمرحلة السبعينات) ، صالح الورداني ، البداية للنشر ـ القاهرة ـ ط ١ : ١٩٨٦ .
٢٨ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر ، عبد العظيم رمضان .
٢٩ ـ الحركات الإسلامية في مصر وإيران ، رفعت السيد أحمد ، سيناء للنشر ـ القاهرة ١٩٨٩ .
٣٠ ـ الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ، عمر التلمساني ، دار الأنصار .
٣١ ـ الصامتون الموتى يتكلمون (عبد الناصر ومذبحة الإخوان) ، سامي جوهر ، القاهرة .
٣٢ ـ قصة تنظيم الجهاد ، عادل حمودة ، القاهرة .
٣٣ ـ الخطايا العشر من عبد الناصر إلى السادات ، إبراهيم دسوقي ، القاهرة .
٣٤ ـ حسن البنا . . . متى وكيف ولماذا .
٣٥ ـ أيام مع السادات ، عمر التلمساني ، القاهرة .
٣٦ ـ لماذا اغتيل حسن البنا ، عبد المتعال الجبري ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط ١ .

٣٧ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الحصاد .
٣٨ ـ من حركة الجيش إلى كامب ديفيد ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، مصر .
٣٩ ـ سيد قطب من البلاد حتى الاستشهاد ، عبد الهادي بو طالب ، دار القلم ـ دمشق .
٤٠ ـ سيد قطب من القرية إلى المشنقة ، عادل حمودة ، سينا للنشر القاهرة .
٤١ ـ الإسلاميون والقضية الفلسطينية ، إبراهيم طرابلسي ، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة .
٤٢ ـ السلطان عبد الحميد السلطان الذي فقد عرشه من أجل فلسطين ، رفيق النطشة .
٤٣ ـ الحركة الإسلامية في فلسطين (الضفة الغربية وغزة) ، زياد أبو عمرو ، القدس للطباعة ، بيروت ١٩٨٩ .
٤٤ ـ مسير الجهاد الإسلامي في فلسطين ، الجهاد الإسلامي ، بيت المقدس .
٤٥ ـ الإسلاميون والقضية الفلسطينية ، جعفر عبد الرزاق ، منظمة الإعلام الإسلامي ، ط ١ : طهران .
٤٦ ـ المنهج ـ مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الإسلامي المعاصر ، دكتور فتحي إبراهيم ، دار الفكر الإسلامي ، ١٩٨٩ .
٤٧ ـ حماس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ، سينا للنشر ، مصر .
٤٨ ـ الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي ، د . يوسف القرضاوي ، الشركة المتحدة .
٤٩ ـ الوحدة الإسلامية ، عبد الكريم شيرازي (من مجلة رسالة الإسلام) ، الأزهر .
٥٠ ـ الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ـ الوحدة العربية ـ جامعة الأمم المتحدة : بيروت ، مجموعة من المؤلفين ـ مركز دراسات ـ ط٢ : ١٩٨٩ .
٥١ ـ الصحوة الدينية الإسلامية ـ خصائصها ـ أطوارها ـ مستقبلها ـ الوطن العربي ، د . مصطفى الفيلالي .
٥٢ ـ مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ، حسن البنا .
٥٣ ـ الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، د . فؤاد زكريا ، دار الفكر للدراسات والنشر ـ القاهرة .
٥٤ ـ الصراع بين العلمانية والإسلام في الشرق الأوسط ، أمين حسن عمر ، بيت المعرفة ، السودان .

٥٥ ـ الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية ـ (أوراق في النقد الذاتي) ، د . عبد الله النفيسي ، مكتبة مدبولي ـ ١٩٨٩ .
٥٦ ـ حركة البعث الإسلامي في إيران ، حسن مكي محمد أحمد .
٥٧ ـ العرب وإيران وهم الصراع وهم الوفاق ، فهمي هويدي ، دار الشروق ـ القاهرة ـ بيروت ١٩٩١ .
٥٨ ـ دراسة حول الأبعاد الاستراتيجية للسياسة الإيرانية ، بسَّام الحركة ، ط١ : بيروت ١٩٩١ .
٥٩ ـ الأصوليات المعاصرة (أسبابها ـ مظاهرها) روجيه غارودي ، ترجمة د . خليل أحمد خليل ، دار عام ألفين ـ باريس ١٩٩٢ .
٦٠ ـ الصراع بين العلمانية والإسلام ـ أمين حسن عمر ، ترجمة د . أسامة حسن ـ السودان أم درمان ، بيت المعرفة للإنتاج الثقافي ـ ط١ ـ ١٩٩٠ .
٦١ ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، د . يوسف القرضاوي ـ الشركة المتحدة .
٦٢ ـ إيران من الداخل ، فهمي هويدي ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ط٣ : ١٩٨٨ .
٦٣ ـ مقالات المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي في طهران ـ منظمة الإعلام إسلامي ، طهران .
٦٤ ـ تجديد الفكر الإسلامي ، د . حسن الترابي ـ الدار السعودية .
٦٥ ـ موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية ، د . عز الدين إبراهيم ، منظمة الإعلام الإسلامي ـ طهران ـ ط٢ : ١٩٨٦ .
٦٦ ـ مع الشيعة الإمامية ـ محمد جواد مغنية .
٦٧ ـ السنة والشيعة ضجة مفتعلة ـ الدكتور عز الدين إبراهيم منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران .
٦٨ ـ الشيعة والحاكمون ـ محمد جواد مغنية ـ در الجواد للطباعة ـ بيروت ـ ط٦ ١٩٨٤ .
٦٩ ـ الفكر السياسي الشيعي ـ د . حسن عباس حسن ، الدار العالمية للطباعة ـ ط١ : ١٩٨٨ .
٧٠ ـ هوية الصراع ـ عادل رؤوف ـ مؤسسة كيهان للصحافة والنشر ـ ط١ ١٩٨٩ .
٧١ ـ الإرهاب المقدس ـ أمير طاهري ـ المكتب العربي للمعارف ـ القاهرة .

٧٢ ـ الإسلام الاحتجاجي في تونس ـ د . عبد الباقي الهرماسي ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ تونس .
٧٣ ـ مقالات (حركة الاتجاه الإسلامي بتونس) راشد الغنوشي ـ دار الكروان للطباعة ، باريس ١٩٨١ .
٧٤ ـ قنابل ومصاحف ـ عادل حمودة ـ الزهراء للإعلام ـ القاهرة .
٧٥ ـ مؤتمر مدريد في الشرع والعقل ـ عبد القادر أبو فارسي ـ المؤسسة الإسلامية للطباعة ـ بيروت ـ ١٩٩١ .
٧٦ ـ الغضب المقدس ـ بسام مرتضى ، روين رايت ، تقريب وتعليق ـ دار التيار الجديد ، بيروت .
٧٧ ـ خريف الغضب ـ محمد حسنين هيكل ـ شركة المطبوعات للتوزيع ـ بيروت ط٨ ـ ١٩٨٤ .
٧٨ ـ أيام من حياتي ، زينب الغزالي ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة .
٧٩ ـ رسالة المؤتمر الخامس ـ حسن البنا ـ ١٩٣٨ .
٨٠ ـ مذكرات الدعوة والداعية ـ حسن البنا ـ دار الشهاب ـ القاهرة .
٨١ ـ معالم في الطريق ـ سيد قطب . دار الشروق ١٩٧٣ : بيروت/ القاهرة .
٨٢ ـ حرب الثلاثين سنة ـ محمد حسنين هيكل .
٨٣ ـ الشهيدان حسن البنا وسيد قطب ، صلاح شادي ـ دار الوفاء ـ القاهرة ، ط٣ .
٨٤ ـ تقرير عن التشيع في مصر ، طالب الحسيني الرفاعي ، دار أهل البيت ، القاهرة ، ١٣٩٢ هجري .
٨٥ ـ الشيعة في مصر . صالح الورداني/ القاهرة .
٨٦ ـ مشاهد العترة الطاهرة ، عبد الرازق كمومة ، مؤسسة البلاغ ، بيروت .
٨٧ ـ الإخوان المسلمون (الحرية في الضفة الغربية وقطاع غزة) ، د . زياد أبو عمر .
٨٨ ـ حسن البنا . . الرجل والفكرة ـ محمد عبد الله السحان ، دار الاعتصام ، ط ١٩٧٨ .

الغلاف: كريم الحاج

# ايران والإخوان المسلمين

دراسة تاريخية تستند الى المصادر الغزيرة، موضوعها العلاقات التي قامت بين إيران والحركة الإسلامية فيها منذ الأربعينات، وحركة الأخوان المسلمين في مصر. ويجد المؤلف أكثر من سبب واحد لتبرير هذه الدراسة عبر المقارنة بين كل من مصر وإيران؛ فهناك أولاً الوزن المميز لكل من البلدين، داخل العالم الإسلامي، وهناك ثانياً موقع مصر داخل العالم السني، وموقع إيران داخل العالم الشيعي. فضلاً عن ذلك، فإن المؤلف يريد أن يسلط الضوء على تاريخ من الصلات امتدت خلال خمسين سنة من التاريخ المعاصر، وانتهت بغير ما بدأت.

إن كتاب السيد عباس خامه يار، هو الأول في موضوعه، وتكمن أهميته في توخي المؤلف للموضوعية، وبناء المعطيات التي يقدمها على مصادر غزيرة جعلته ملماً بكل جوانب الموضوع الذي يتناوله. إضافة الى كون الكاتب قد جعل موضوعه العلاقة بين إيران والاخوان، الا انه في واقع الأمر قد أستعرض مواضيع مهمة أخرى متصلة بموضوعه الرئيسي، وتتعلق بمواقف الحركات الاسلامية في البلدان العربية المختلفة، من الجمهورية الإسلامية في إيران، وتبدل هذه المواقف تبعاً لتبدل أو تطور الظروف السياسية.